المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
فرع العقيدة

الولاية والأولياء في الإسلام

رسالة
مقدمة من الطالب

الخضر عبد الرحيم أحمد

لنيل درجة التخصص الأولى «الماجستير»

فرع العقيدة
الدراسات العليا الشرعية

إشراف

الدكتور كمال محمد هاشم نجا

١٤٠١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ ❀ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا
يَتَّقُونَ ❀ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ
ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ❀

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

﴿ رب أوزعني أن اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والديّ وأن اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ (١)

اللهم لك الشكر أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد ،

شكرا استوجب به المزيد الذي وعدت به في كتابك العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، بقولك الكريم :

﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد ﴾ (٢)

فاشكرك شكرا يجعلني في القليل الشكور ، سبحانك لا أحصي ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك ،فاسألك اللهم باسمائك الحسنى التي امرتنا ان ندعوك بها ، كما ذللت صعاب هذا البحث وأدنيت قاصيه ، ووفقت واعنت على اتمامه ان تجعله عملا خالصا لوجهك الكريم وان تتجاوز عما فيه من قصور وان تجعله عملا مقربا اليك برحمتك وفضلك يا اكرم من سئل واوسع من اعطى .

وبعد :

فاذا كان شكر المولى عز وجل واجبا على كل مسلم فكذلك شكر الناس لقوله عليه الصلاة والسلام : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " (٣)

فلهذا اتقدم بالشكر الجزيل للقائمين على شئون جامعة " ام درمان الاسلامية بالسودان ، وجامعة ام القرى الموقرة بمكة المكرمة . الأولى لاتاحتها الفرصة بايفادها لي لتلقي العلم في هذا البلد الطاهر الامين بعد أن اهلتني لذلك .

والثانية لحسن استقبالها لي ولزملائي وتذليلها لكل صعب يعوق طريقنا في تحصيل العلم .

---

(١) النمل الاية : ١٩ (٢) ابراهيم الاية : ٧

(٣) اخرجه أحمد في مسنده ٢٥٨/٢ والترمذي في السنن ٢٢٨/٣ وابو داود ٢٥٥/٤

كما أشكر جميع العاملين بسفارة السودان بجدة ،واخص بالذكر منهم المستشار الثقافى لما نلمسه فيهم من روح طيبة و معاملة كريمة كان لها اثرها الطيب فى مواصلة دراستنا .

كما يسعدنى ويشرفنى أن اتقدم بوافر شكرى و مزيد تقديرى لاستاذى الجليل فضيلة الدكتور كمال محمد هاشم نجا الذى اعتبره مثالا نادرا فى رعايته لطلابه و بذله لوقته و راحته فى سبيل توجيههم الى ما ينفعهم فى بحثهم حتى يؤدوه على الوجه الاكمل بقدر المستطاع ، ولقد كان لعلمه وابوته الروحية الاثر البالغ فى توفية هذا البحث حقه حيث لم يكتف بالوقت المخصص للاشراف بل فتح لى بيته دون ما يشعرنى بحرج او مضايقة فجزاه الله عنى وعن العلم خير الجزاء وبارك له فى عمره و علمه واعظم النفع به .

كما لا يفوتنى ان اتوجه بالشكر لكل اساتذتى بفرع العقيدة بجامعة ام القرى ولكل زميل اعان باعارة مرجع ، أو وجه بكلمة نصح فجزى الله الجميع خير الجزاء انه لا يضيع اجر المحسنين .

المقدمـــــة

الحمد لله نستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئآت أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ان لا اله الا الله ، وأشهد ان محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يـــدي الساعة ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فانه لا يضرّ الا نفســـه ولا يضر الله شيئا .

وبعد :

فان رسالة الاسلام هي الرسالة الخاتمة التي أعز الله سبحانه بها هـذه الأمة ، حينما أخذت بها فاتبعت هذا الدين القيم ، واستحقت بذلك المدح والثناء العظيم من الله الرحمن الرحيم . قال تعالى :

﴿ كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (١) وقال سبحانه :

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شـهيدا ﴾ (٢)

فوعت دورها فادركت أن سر فلاحها وقوتها ، هو التمسك بهذا الدين والسير على نهج خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله اجمعين ، فهو صلى الله عليه وسلم القدوة الحسـنة ، كما قال الله تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجـو الله واليـــوم الاخر ﴾ (٣) وقال سبحانه : ﴿ وان تطيعوه تهتدوا ﴾ (٤)

وأيقنت ان مخالفتها لهذا النهج تعرضها للفتنة والعذاب الأليم قال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم ﴾ (٥)

---

(١) آل عمران : ١١٠ (٢) البقرة : ١٤٣
(٣) الاحزاب : ٢١ (٤) النور : ٥٤
(٥) النور : ٦٣

ولقد مكن الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة في الأرض بقدر ايمانها واتباعها ، فعز جانبها ، وقوى سلطانها ، فبدل الله سبحانه ذلها عزا ، وفقرها غنى ، وضعفها قوة ، فهابها أعداؤها وخضعوا لها صاغرين ، ولكن لا يقر لهم قرار وهي على هذا الاستقرار ، فآثروا الكيد لها سرا يدفعهم الحقد الدفين يتربصون بها الدوائر وكلما وجدوا ما يحمل على اضعافها استغلوه كي ينفثوا سمومهم ، ويمزقوا اوصال هذه الأمة ، وكان اكبر الثغرات التي نفذ منها الأعداء للقضاء على وحدة هذه الأمة واطفاء جذوة الايمان التي هي روحها ترجمة فلسفة اليونان ، فقد أثارت الشكوك عند بعض المسلمين ، وخرجت بهم عن النهج القويم في معرفة ما يجب عليهم من امور دينهم واطلقوا لانفسهم العنان في الفكر حتى زجوا بانفسهم في مباحث فوق مستوى ادراكهم وحتى أداهم اطلاعهم على تلك الفلسفة الى ان انحرفوا عن الدين القويم فضلوا سواء السبيل ، الأمر الذي اضطر بعض علماء الاسلام الى دراسة هذه الفلسفة والوقوف عليها كي يردوا على ما فيها من أباطيل .

هذه الفلسفة التي جعلت قلوب ابناء هذه الأمة شتى ، وايمانهم شكا وقوتهم ضعفا ، ووحدتهم فرقة ، فانعكس امر هذه الأمة من علو الى انحدار ومن هدى الى ضلال ، وتخلفت عن دور القيادة بقدر ابتعادها عن ايمانها النقي الصافي الماخوذ عن كتاب ربها الذي هو روحها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى :

﴿ وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم • صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الأمور ﴾ (١)

فتعالت أصوات المخلصين في كل زمان ومكان تدعوها الى الصحوة من ثباتها العميق ، وكلما ارتفعت اصوات المخلصين دعاة الحق أولياء الرحمن ، تصدى لهم دعاة الباطل أولياء الشيطان .

---

(١) الشورى، الاية ٥٢ـ٥٣

فبدأت تستيقظ شيئا فشيئا ولكن بعد فترة من الركود طويلة خلطت عليها الحق بالباطل ،وافسدت تصورها فى كثير من عقائدها فاصبحت فى حاجة الى من يأخذ بيدها فيبصرها الطريق المستقيم ولهذا انشئت الجامعات الاسلامية فى كثير من بلاد المسلمين ،وكانت جامعة ام درمان الاسلامية ،احدى هذه الجامعات التى انشئت لهذا الغرض . وكنت والحمد والمنة لله وحده ممن انعم الله عليهم بتلقى الدراسات الاسلامية فى هذه الجامعة ، كما كان من تمام هذه النعمة على أن أكون ضمن مبعوثيها الى أم القرى البلد الأمين التى ختم الله فيها رسالته ،و منّ علىّ كذلك بالانتساب الى فرع العقيدة بجامعتها الموقرة ، وكان من فضل الله علىّ بعد اكمال السنة المنهجية ،أن اواصل العمل لنيل درجة التخصص الأولى فى العقيدة ،ولما كان لزاما للحصول على هذه الدرجة الكتابة فى احد الموضوعات التى تحتاج الى بحث فقد اخترت موضوعا هو " الولاية والأولياء فى الاسلام " .

ولقد كان من دوافع اختيار هذا الموضوع ما يأتى :

(١) ـ اختلاف الناس فى مفهوم " الولاية " حتى اخرجها بعضهم بكلامه من وضوحها الظاهر ، الى الغموض والخفاء ، وحتى صارت صفة لنوع خاص من الناس يتوارثونها ضمن تراثهم .

(٢) ـ عقدت عدة ندوات ومناظرات فى وسائل الاعلام عندنا بالسودان مدارها الولاية والاولياء ،فبعض يرى أن الولاية عامة فى كل من تحقق بالايمان والتقوى دون التفات الى طقوس و شكليات والبعض الاخر يحصرها فى نوع معين من الشيوخ ، يلتزمون اعمالا معينة ، و يتصفون بصفات خاصة .

(٣) ـ نشطت كثير من الكتابات فى هذا العصر توجه المسلمين الى التصوف ، على انه المنهج الاسلامى الحقيقى الذى يؤدى الى الولاية الحقة ،و تصف الرسول صلى الله عليه وسلم بانه الصوفى الأول وان التصوف هو المنهج التطبيقى الوحيد للاسلام الحق .

(٤) ـ ندرة الكتابة فى هذا الموضوع ،من الكتاب الفاهمين لدينهم ،الآخذين بتعاليمه ،الذابين عن حياضه ،الدارسين للاقوال الباطلة ،والقادرين على دحضها

حيث لم أعثر على كتاب افرد هذا الجانب العقدى الهام بالبيان سوى رسالة قيمة مع صغر حجمها لشيخ الاسلام ابن تيمية بعنوان " الفرقان بين اولياء الرحمــــن واولياء الشيطان " .

الى كثرة ما كتب في الولاية من كتب ألتبس فيها الحق بالباطل وأخرجت ألفاظ فيها عن معانيها الشرعية .

كل هذه العوامل مجتمعة شجعتنى على أن يكون البحث بالعنوان المذكور ليكون اسهاما منى جهد المستطاع فى الكشف عن هذه الحقيقة و معرفة من هــــو ولى الله حقاً ؟

<u>العقبات التى واجهتها فى البحث :</u>

(١) ـ لقد أدركت منذ اللحظة الأولى ان مهمتى ليست سهلة وأن علىّ أن أخوض فى ميادين متعددة لكشف المؤثرات الحقيقية فى الآراء المختلفة وان أبين الولاية والطريق اليها عند كل من تكلم فيها .

(٢) ـ ندرة المصادر التى يحتاج اليها البحث فى شقيه :

أ ـ الجانب الاسلامى لقلة ما كتب فيه باستقلال مما جعلنى ابحث فى كثير من الكتب الدينية كالتفسير و التوحيد وكتب الحديث و علومه .

ب ـ وجانب التصوف لندرة وجود كتبه فى مكتبات الجامعة فالموجود فيها المختص بهذه الناحية قليل .

(٣) ـ الموضوع من السعة بحيث يحتاج الى جهد كبير حتى يكتب فى صفحات قليلة وافية بالمطلوب دون أن تؤدى بالقارئ الى السآمة والملل .

(٤) ـ غموض كثير من أقوال المتصوفة الأمر الذى جعلنى أقضى وقتــــا طويلا محاولا معرفة ما أرادوا بتلك الأقوال .

و لقد لقيت من ذلك عناء يكثر مثله على مثلى كباحث مبتدئ وأرجــــو الله سبحانه ان أكون قد وفيت الموضوع حقه وحظيت منه بالتوفيق والقبول انه ولى ذلك .

منهج البحث :

ومنهجي في هذا البحث منهج علمي حيث أني أبسط أقوال المؤيدين والمعارضين ما ارى أنه حق منها ، وما هو باطل ، واتبع ذلك بالأدلة مع رد كلام الخصوم فارجح ما اهتدى الى انه الصواب ، واكثر من الاستشهاد بآيات الكتاب العزيز والاحاديث الصحيحة لانهما المصدران الأساسيان لكل من أراد ان يكتب فيما يتصل بعقيدة المسلمين وأن هذا هو منهج الذين كتبوا في علم التوحيد من سلف هذه الأمة الصالح .

ولا أتعصب الا لما أرى انه الحق تؤيده النصوص الصحيحة و اقوال علماء هذه الأمة الثقات .

ولم أهمل طرق البحث التي توصلت اليها جهود علماء مناهج البحث في هذا العصر الحديث ، ليخرج هذا البحث مقبولا في شكله ومحتواه وذلك قدر الجهد المستطاع ولا ادعي لنفسي الكمال فالكمال لله وحده .

خطة البحث :

وقد جاء هذا البحث المتواضع في ثلاثة أبواب بعد المقدمة تتلوها خاتمة .

فأما الباب الأول فقد كان بعنوان : الولاية .

وقد حوى ثلاثة فصول :

الفصل الأول بعنوان : تعريف الولاية لغة وشرعا وقد شمل مبحثين :

المبحث الأول : في تعريف الولاية لغة .

وبعد جمع التعريفات توصل البحث الى ان المعنى الأصلي لكلمة الولاية هو القرب ، وما عداه من المعاني المذكورة في كتب اللغة فروع عنه ودائرة عليه .

المبحث الثاني : في تعريف الولاية شرعا .

وقد اتضح من هذا البحث ان المعنى الشرعي لا يبعد عن المعنى اللغوي ، غاية ما في الأمر ان القرب في المعنى الشرعي انما هو قرب معنوي ، وهو القرب من الله تعالى .

أما الفصل الثاني فقد كان بعنوان : أنواع الولاية وأدلتها من الكتاب والسنة .

وقد أشتمل على مبحثين :

المبحث الأول بعنوان : أنواع الولاية وأدلتها من الكتاب .

حيث توصل البحث الى ان انواع الولاية خمسة :

أ ـ ولاية خاصة بالله تعالى .

ب ـ ولاية بينه وبين المؤمن .

جـ ـ ولاية بين المؤمنين .

د ـ ولاية بين الشيطان والكافر .

هـ ـ ولاية بين الكافرين .

ويمكن حصر هذه الأنواع في : ولاية الله ـ وولاية الشيطان .

والمبحث الثاني كان بعنوان : أدلة الولاية من السنة .

حيث تطرق لذكر كثير من الاحاديث الشريفة الدالة على الولاية .

أما الفصل الثالث فقد جعلته في : الطريق الى الولايــة . وتحته مبحثان :

المبحث الأول : في الايمان .

حيث تطرق البحث الى ان الايمان هو باب الدخول الى الولاية فاقتضى الأمر تعريفه في اللغة والشرع ،والتعرض لآراء العلماء فيه ومناقشتها ،وترجيح ما تدعمه الأدلة الصحيحة .

المبحث الثاني في : العبادة .

وقد عرفتها لغة وشرعا وتطرق البحث لذكر الكثير من انواعها ، وشرط الاتباع فيها لانها الوسيلة التي تؤدى الى الولايــة الكاملة وقارنت في هذا البحث بين طريق الولاية في الاسلام ، وما احدثه المتصوفة ،وقد ظهر من هذا ان الطريق واحد ، هو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وتوصــل البحث الى ان ما لم يكن دينا في زمنه صلى الله عليه وسلم ،و زمن خلفائه الراشدين ، فليس بدين بعدهم ،بل هو من البدع المستحدثة .

الباب الثاني في : الأوليـــاء .

وتحته ثلاثة فصـول :

الفصل الأول في بيان : من هو الولي ؟ وتحته مبحثان :

المبحث الأول : تعريف الولي في الاسلام .

وقد اتضح منه ان كل من آمن بالله ايمانا صادقا فهو ولي الله وان الولاية تتفاوت بتفاوت الايمان ، فالايمان الكامـــل ينتج الولايـة الكاملة التي تقي صاحبها من النار . والايمان الناقص وهو الذي يقع صاحبه في المعاصي دون أن يتوب منها ، يؤدي الى الولاية الناقصـة التي تحـــول دون خلود صاحبها في النار .

أما المبحث الثاني فهو بعنوان : الولي عند الصوفية .

وتطرق البحث الى مفهومه عندهم ،كما تطرق الى فكرة تفضيل الولي على النبي ،التي قال بها بعضهم ودحضها بالأدلة الدامغـــة كما تعرض لقصة الخضر مع موسى عليهما الســـلام التي جعلها المتصوفة مستندا لكثير من مزاعمهم الفاسدة فأبطل مزاعمهم بالحجج المقنعة .

وأما الفصل الثاني فقد كان في : مراتب الأولياء . وتحته مبحثان :

المبحث الأول : مراتب الأولياء في الاسلام .

فتوصل البحث الى اختلافهم في مراتب الولاية الكاملة اذ هي اربعة مراتب :

مرتبة النبيين — والصديقيـن — والشهداء — والصالحيـــن جمعـها الله سبحانه في قوله ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئـك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقيــن والشهداء والصالحين ﴾

وهم المقـربون وأصحاب اليميـن

أما المبحث الثاني فهو بعنوان : مراتب الأولياء عند المتصوفة .

وقد تطرق البحث الى عرض أفكارهم من امهات كتبهم كما أوردها وناقشها وتوصل الى أنها بنيت على حديث الابدال ، فبين بطلان نسبته الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فانهارت بذلك كل اقاويلهم التي بنيت على هذا الحديث الموضوع .

وأما الفصل الثاني فقد كان بعنوان : كرامات الأولياء .

حيث تطرق البحث الى ذكر أنواع الخارق للعادة بايجاز وتعريف كل انواع مع التركيز على بيان الفرق بين الكرامة وبين كل من المعجزة والسحر .

وقد ذكرت في هذا البحث كثيرا من الكرامات التي اجراها الله على أيدي أوليائه ، بيانا لجواز وقوعها .

أما الباب الثالث : فقد كان بعنوان : من اباطيل التصوف .

وسيجد القارىء استفاضة في هذا الباب ، وما ذاك الا لاقتناعي ان التصوف الذي روج له أصحابه دخيل على الاسلام ، وانه كان من أقوى عوامل الانحراف في هذه الأمة ، لأنه نما وترعرع في احضان التشيع الباطني فهو اعجمي البيئة باطني النزعة وقد جذب كثيرا من المسلمين لجهلهم بحقيقة الاسلام فصار اوسع افكار الهدم انتشارا وأقواها زعزعة لعقائد المسلمين ، فأورثهم فسادا في تصورهم العقدي والسلوكي ونخر وحدتهم كما ينخر السوس العظام فتواثبت عليهم الأمم كما تتواثب الأكلة على القصعة .

وهذا الباب اشتمل على تمهيد وثلاثة فصول .

أما التمهيد :

فقد ذكرت فيه اصل كلمة " صوفي " و " تصوف " وآراء الباحثين من مؤيدين ومخالفين كما أوردت فيه بعض تعريفات المتصوفة لهاتين الكلمتين محاولا الوصول الى معنى يوحد بينها ، ولكن دون جدوى ، الا الوصول الى ان لفظ الكلمة ومضمونها دخيلان على الاسلام .

وأما الفصل الأول فهو بعنوان : مقامات الأولياء واحوالهم كما يراها الصوفية .

وتطرق البحث للمؤثرات التي كونت الفكر الصوفي ، واثر فلسفة اليونان فيه ، والعلاقة بين التشيع والتصوف . ثم أوردت نقد بعض العلماء للتصوف عامة وللغزالي خاصة .

أما الفصل الثاني فقد كان بعنوان : المكاشفات كما يراها الصوفية .

فتوصل البحث الى ان اتخاذها طريقا للمعرفة يمت الى فكر فلسفي ويؤدى الى اهمال العقل وابطال النظر الذى دعا اليه القرآن الكريم ،وقد ذكرت فى هذا الفصل نقد الفقهاء والمتكلمين لهذه النظرية وابطالها .

وأما الفصل الثالث فقد كان بعنوان : الاتحاد ـ والحلول ـ ووحدة الوجود فى الفكر الصوفى .

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول فى : الاتحاد وابطاله .

وظهر منه أن من اوائل القائلين به من المتصوفة ابن الفارض خلافا لمن جعله من القائلين بوحدة الشهود .

أما المبحث الثانى فقد كان بعنوان : الحلول وابطاله .

وظهر من هذا المبحث أن من اوائل القائلين به من المتصوفة الحــلاج .

أما المبحث الثالث فبعنوان : وحدة الوجود فى الفكر الصوفى .

وقد تطرق البحث الى بيان ماهيتها ، وقد بينت فيه ان البسطامى هو الذى ادخلها الفكر الصوفى ،وان ابن عربــى هو الذى اكملها وجعلها ذات كيان محدد .

كما تطرق البحث الى بعض الافكار الهدامة التى انبنت على هذه النظرية كوحدة الاديان التى نادى بها كثير من المتصوفة ،والحقيقة المحمدية ،كما بينت فيه آراء المؤيدين لابن عربــى وآراء علماء الاسلام فيه .

وبعد أن انتهيت من هذه الأبواب بفصولها ذكرت خاتمة للبحث تشتمل على أهم النتائج التى توصلت اليها .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الباب الأول
في
الولاية
وتحته ثلاثة فصول

الفصل الأول في تعريف الولاية لغة وشرعا

الفصل الثاني في أنواع الولاية وأدلتها من الكتاب والسنة

الفصل الثالث في الطريق إلى الولاية

الباب الأول : الولايــــة .

الفصـل الأول

تعريف الولايـة لغة وشرعا

المبحث الأول : تعريف الولاية في اللغة :

إن المنهج العلمي السليم في الكشف عن حقيقة من الحقائق العلمية يوجه الباحث حين يود معرفة حقيقة معينة إلى البحث في عـناصرها ومقوماتهـــا الأساسية ، قبل أن يبدأ بمشخصاتها التي تميزها .

ومن هنا لزم الوقوف على حقيقة كلمة الولاية في معاجم اللغة ، ذلك أن المعنى الشرعي لا يبعد عن المعنى اللغـوي ، بل هو تقييد له ،لأن النقل والتجـوز خلاف الأصل ،لا يصار إلى واحد منهما إلا بدليل .

وبالاستقراء تـجد أن لفظ (و ،ل ،ى) قد أطلق في لســـان العرب على معان عدة ،كما جاء في ترتيب القاموس و ل ى ، الولي : القرب والدنو ... والولي المحب ، والصديق ،والنصير ، والولاية بالكســر : الخطة والسلطان ، ... والمولى : المالك ، والعبد والمعتق والمعتـق والصاحـب والقريب كابن العم ونحـوه ، والجار والحليف ، والابـن ، والعم والنزيـل والشريك ، والرب والمنعـم ، والمنعم عليه والمحب والتابع والصهر) (١) .

ومن أطلق لفظ الولاية على السلطان .

استدل لقوله بما جاء في القاموس المحيط :

(ولي الشيء وعـليه ولاية وولايـة ... وبالكـسر الخطة ،والسلطان ، والامارة ،وأوليته الأمر ووليته اياه) (٢)

---

(١) الطاهر أحمد الزاوي ، ترتيب القاموس ، ج ٤ ص٦٥٨ ط عيسى الحلبي بدون تاريخ

(٢) الشيخ مجد الدين بن يعقوب الفيروزابادي ،القاموس المحيط ج٤ فصل الواو باب الواو والياء ص٤٠٤ ط دار الجيل بدون تاريخ .

ويؤيد ما ذهب اليه صاحب القاموس المحيط ما ورد في لسان العرب منسوبا الى سيبويه : " الولاية بالفتح : المصدر ، وبالكسر : الاسم ، مثل الامارة والنقابة لأنه اسم لما توليته وقمت به ، فاذا أرادوا المصدر فتحوا) (١)

وجاء في حاشية الطالب بن حمدون على شرح بحرق على لامية الأفعال لابن مالك (وقيل : الولاية بالفتح النصرة ، وبالكسر الامارة) (٢)

ففيما ذهب اليه سيبويه وابن حمدون ، أشارة الى أن فتح الواو وكسرها من الولاية يؤديان الى معنيين مختلفين ، لكن الراجح أن الفتح والكسر فيهما لغتان صحيحتان ، وأنهما بمعنى واحد ، وسيأتي الكلام عليهما مفصلا في موضعه ان شاء الله .

ومن المعلوم بداهة أن الله تعالى سلطانا وولاية على جميع خلقه مؤمنهم وكافرهم ، لا يخرج عن سلطانه كائن قال تعالى ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿ ان كل من في السموات والأرض الا ءاتي الرحمن عبدا ، لقد أحصيهم وعدهم عدا . وكلهم ءاتيه يوم القيمة فردا ﴾ (٤) ومع هذا فهو ولي المؤمنين خاصة قال تعالى ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين ءامنوا وأن الكفرين لا مولى لهم ﴾ (٥)

فالكفار محرومون من ولاية المحبة والنصرة داخلون تحت ولاية القهر وسلطان العظمة .

ومن أطلق لفظ الولاية على المحبة ، استدل بقول ثعلب : " قال ابن الأعرابي : الولي : التابع المحب ... وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه " أي من أحبني وتولاني فليتوله) (٦) ما يفيد

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب مادة (ولي)

(٢) الطالب بن حمدون بن الحاج على شرح بحرق على لامية الافعال لابن مالك ص ١٦ ط الحلبي (٣) الانعام الاية ١٨

(٤) مريم الايات ٩٣ ـ ٩٥ (٥) سورة محمد صلى الله عليه وسلم الاية ١١

(٦) ابو منصور محمد بن احمد الازهري ، تهذيب اللغة ج١٥ ص ٤٤٧ تحقيق ===

أن الولاية تأتى بمعنى المحبة ثم إنه من الواضح أن ولاية السلطان لا تستلزم المحبة فقد تحصل الولاية بدون المحبة كما جاء فى التنزيل العزيز . قال تعالى ﴿ ثم ردوا الى الله مولىٰهم الحق ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ وردوا الى الله مولىٰهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ (٢) فثبتت الولاية مع انتفاء المحبة قال تعالى ﴿ انه لا يحب الكفرين ﴾ (٣)

ومن أطلق لفظ الولاية على النصرة استدل بقول الفيروز ابادى : (والولى الرب والناصر والمنعم) (٤)

فالرب مالك الشيء ، والناصر : المعين ، قال الله تعالى ﴿ بل الله مولىٰكم وهو خير النصرين ﴾ (٥)

وقال ابن منظور فى هذا المعنى : فى مادة (ولى) فى أسماء الحسنى ، الولى ، هو الناصر ... قال ابن برى : وقرئ ﴿ ما لكم من ولىٰيتهم من شىء ﴾ (٦) بالفتح والكسر وهى بمعنى النصرة .

وقال ابن السكيت : (الولاية النصرة ، يقال : هم على ولاية ، أى مجتمعون) (٧)

ولقد جاء هذا المعنى فى القرآن الكريم ، قال الله تعالى ﴿ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ﴾ (٨) فالولاية هنا النصرة ، ويؤيد

=== ابراهيم الابيارى ط/ سجل العرب سنة ١٩٦٧ م/ دار الكتاب العربى .
والحديث ورد فى مقدمة ابن ماجه رقم "١٢١" فضل على بن أبى طالب.
(١) الانعام الاية ٦٢ (٢) يونس الاية ٣٠
(٣) آل عمران الاية ٣٢
(٤) القاموس المحيط جـ ٤ فصل الواو باب الواو والياء
(٥) آل عمران ١٥٠ (٦) الانفال الاية ٧٢
(٧) لسان العرب جـ ٢٠ مادة (ولى) وانظر اسماعيل بن حماد الجوهرى كتاب تاج اللغة وصحاح العربية جـ ٢ ص ٥٦٥ المطبعة الكبرى سنة ١٢٩٢
(٨) الشورى الاية ٤٦
ألْبٌ وإِلْبٌ على . مجتمعون على عداوتى كما فى أساس البلاغة مادة " ألب "

مجيء الولاية بمعنى النصرة ما ذهب اليه ابو الحسين حيث قال : (وأنشد الفراء :

دعيهم فهم إلب علي ولاية وحضرهمو إن يعلموا ذاك دائب

قال : والمولى : الناصر ، والمولى : الذي يلي أمرك) (١) ولكن هذا لا يقتضي أن يكون الولي في جميع استعمالاته بمعنى الناصر اذ نجد في القرآن الكريم أن النصير ورد معطوفا على الولي في قوله تعالى ﴿ مالك من الله من ولي ولا نصير ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ﴾ (٣) وقال سبحانه ﴿ واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾ (٤)

واللغويون يقولون : إن العطف يقتضي المغايرة ، لأن الشيء لا يعطف على نفسه ، فاقتضى الأمر أن تكون النصرة غير الولاية . ومن أطلق اللفظ على القرب استدل بقول أبي عبيد " الولي القرب ، وانشد :

* وشط ولي النوى ان النوى قذف *

وقال الأصمعي : الولي مثل الرمي ، المطر الذي يأتي بعد المطر ، يقال وليت الأرض وليا ، فاذا اردت الاسم فهو الوليّ ، وقال ذو الرمة :

لني ولية تمرع جنابي فانني لما نلت من وسمي نعماك شاكر

لني " أمر من الولي أي أمطرني معروفا بعد معروف . (٥)

---

(١) تهذيب اللغة ج ١٥ ص ٤٥٠

(٢) البقرة الاية ١٢٠ (٣) سورة الشورى الاية ٨

(٤) النساء الاية ٧٥

(*) شط : بعد ، الولي : القرب والدنو ، النوى : الدار او الوجه الذي ينويه المسافر والمعنى بعدت الدار وأمعنت في البعد .

البيت لذي الرمة من قصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة بن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه مطلعها :

لمية أطلال بحزوى دواثر عفتها السواقي بعدنا والمواطر

والمعنى صلني من عطائك مرة ثانية فاني شاكر لما انعمت على من قبل .

والوسمي : مطر الربيع الاول ، يسم الأرض بالنبات والولي المطر الذي يليه

لني : فعل الأمر " ل " من ولي ، وكانه اشتق من الولي (المطر الذي يلي الوسمي في الربيع) هذا الفصل اى اعطني ثانية (ديوان ذي الرمة المكتب الاسلامي للطباعة والنشر / دمشق)

وأكد هذا المعنى ابو الحسين احمد بن فارس فقال :

" ولى " الواو — واللام — والياء — اصل صحيح يدل على قرب من ذلك الولى : القرب ،يقال : تباعد بعد ولى اى قرب ، وجلس مما يلينى ، اى يقاربنى ، والولى المطر يجئ بعد الوسمى ، سمى بذلك لأنه يلى الوسمى) (١)

وقال الزمخشرى فى مادة : (و ل ى) وليه ،وليا ، دنا منه ،واوليته اياه ، ادنيته منه ،وكل مما يليك ، وجلست مما يليه) .

ومن الولاية الموالاة والتتابع قال الجوهرى :

(ويقال : والى بينهما ولاء تابع وافعل هذه الأشياء على الولاء أى متابعة وتوالى عليه شهران أى تتابع) (٣)

وقال بحرق : (ولى الأمر يليه ولاية وولاية بكسر الواو وفتحها وولى منه قرب) (٤)

وبالتأمل فى المعانى التى استعمل فيها اللفظ نجد أن القرب هو قطب الرحى فى مدلول الولاية وهو المعنى الأول لكل هذه المعانى التى سلف ذكرها ولهذا قال أحمد بن فارس (ومن الباب المولى والمعتق ، والصاحب ، والحليف ، وابن العم ، والناصر ، والجار ، وكل هؤلاء من الولى وهو القرب) (٥)

وقال فى قوله تعالى ﴿ أولى لك فأولى ﴾ (٦) قاربك ما تكره أى نزل

---

(١) ابو الحسين احمد بن فارس مقاييس اللغة جـ ٦ ص ١٤١
(٢) محمود جار الله الزمخشرى اساس البلاغة ص٤٢ — أ كتاب الشعب سنة ١٩٦٠ دار الشعب .
(٣) تاج اللغة وصحاح العربية جـ ٢ ص٥٦٥
(٤) شرح بحرق على لامية الافعال لابن مالك ص١٦ دار احياء الكتب عيسى الحلبى .
(٥) مقاييس اللغة جـ ٦ ، ص ١٤٢ وانظر ترتيب القاموس جـ٤ ص ٦٥٨
(٦) القيامة الاية ٣٤

بك يا أبا جهل ما تكره وقاربك ،قال أبو الحسين :

وأما قولهم في الشتم : أولى ،فحدثني علي بن عمر ،قال : سمعت ثعلبا يقول : أولى تهدد ووعيد وانشد :

فأولى ثم أولى ثم أولى وهل للدّر يحلب من مرد

وقال الأصمعي : معناه قاربه ما يهلكه أي نزل به وأنشد :

فعادى بين هاديتين منها وأولى أن يزيد على الثلاث(*)

أي قارب أن يزيد ، قال ثعلب : ولم يقل أحد أحسن مما قال الأصمعي في أولى)(١)

فيعلم مما تقدم أن القرب هو المعنى الحقيقي الأول للولاية وما عداه كالنصرة والسلطان والمحبة والموازرة قائم على هذا المعنى .

والمولى بمعنى الولي في كلام العرب ،قال صلى الله عليه وسلم " أيما امرأة نكحت بغير اذن مولاها (فنكاحها باطل) " . وفي رواية بغير اذن وليها .

(وقال) تعالى ﴿ ذالك بأن الله مولى الذين ءامنوا وان الكـفرين لا مولى لهم ﴾(٣) وقال صلى الله عليه وسلم :

(مزينة وجهينة وأسلم وغفار موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أولياؤهما) .

(*) عادى : واصل العدو ،هاديتين مثنى هادية وهي المتقدمة من بقر الوحش او الصيد في السير . قال امرؤ القيس : كأن دماء الهاديات بنحره والمعنى تابع جريه بين متقدمتين من الصيد حتى كاد ان يزيد على الثلاث لسرعته في ملاحقة الصيد .

(١) مقاييس اللغة ج ٦ ص١٤١ — ١٤٢ وانظر تهذيب اللغة ج ١٥ ص٤٤٨

(٢) سنن ابي داود ،ج ٢ ك النكاح باب الولي ص٢٢٩ بمراجعة محمد محي الدين عبد الحميد دار احياء السنة

والترمذي ج٢ باب ما جاء في لا نكاح إلاّ بولي ص٢٨١ وقال حديث حسن

وسنن الدارمي ج ٢ ص١٣٧ دار احياء السنة

والمستدرك ج ٢ ص١٦٨ دار الفكر بيروت ط ١٣٩٨/١٩٧٨

والمسند ج٦ ص١٦٦

(٣) سورة محمد صلى الله عليه وسلم الاية : ١١

قال اللهبي :

مهلا بني عمنا مهلا موالينا أمشوا رويد كما كنتم تكونونا (١)

مذاهب العلماء في ضبط (واو) الولاية :

اختلف فقهاء العربية في ضبط (واو) الولاية على ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول :

تفتح واوها إذا كانت بمعنى النصرة ، وتكسر إذا كانت ولاية توارث ، وهو ما ذهب إليه الفراء (٢) فقد ذهب إلى أن الولاية في قوله تعالى : ﴿ والذين ءامنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ﴾ ليست للنصرة وانما هي ولاية التوارث ، واستحسن فيها كسر الواو ، ولم يعجبه فتحها لأنها تفتح اذا أريد بها النصرة ، قال الأزهري : وكان الكسائي يفتحها ويذهب بها الى النصرة وما أظنه علم التفسير (٣)

المذهب الثاني :

تفتح واوها اذا كانت مصدرا ، وتكسر إذا كانت اسما واليه ذهب سيبويه والزجاج والزمخشري .

جاء في لسان العرب منسوبا الى سيبويه أنه قال :

" والولاية بالفتح المصدر ، وبالكسر الاسم ، مثل الامارة والنقابة لأنه اسم لما توليته وقمت به ، فاذا أرادوا المصدر فتحوا " (٤)

وقال الزجاج : يقرأ (ولايتهم) بفتح الواو وكسرها فمن فتحها جعلها من النصرة والنسب ، قال : والولاية التي بمنزلة الامارة مكسورة لتفصل بين المعنيين وقد يجوز كسر واو الولاية التي بمعنى النصرة ، لأن

---

(١) انظر لسان العرب ج ٢٠ مادة (ولي)
(٢) انظر المصدر نفسه والصفحة (٣) نفس المصدر الآية : ٧٢ الأنفال
(٤) المصدر السابق ج ٢٠ مادة (ولي) .

في تولى بعض القوم بعضا جنسا من الصناعة والعمل نحـو القصارة والخياطة (١)
ووافقه الزمخشرى فيما ذهب اليه .

وجـاء في حاشية الطالب :

" وقيل الولاية بالفتح النصرة ، وبالكسر الامارة . (٢)

المذهب الثالث :

قال ابن برى يجـوز الفتح والكسر حيث قرئ ﴿ ما لكم من وليتهـم من شئ ﴾ بالفتح والكسر وهى بمعنى النصرة (٣)

المناقشـة :

لقد أصاب الفراء وأخطأ فيما ذهب اليه ، فأصاب من جانب أن — الولاية — في قوله تعالى ﴿ والذيـن آمنوا ولم يهاجروا ما لكم مـن وليتهم من شـئ ﴾ ولاية التوارث ، وليست ولاية النصرة ويؤيده ما ذهب اليـه ابـن عباس وقتادة ومجاهد حيث قالوا ذلك في الميراث لأن النبى صلى الله عليه وسلم آخى بيـن المهاجرين والانصار فصار كل أنصارى ونزيله أخويـن في الله حيث ان المهاجرى يرثه أخوه الأنصارى ، اذا لم يكن له بالمدينـة وارث يرثـه ، ولا توارث بينه وبين قريبه المسلم غير المهاجرى ، واستمر الأمر على هذه الحالة حتى فتحت مكـة ، ثم توارثوا بعد ما لم تكن هجرة فقولـه تعالى ﴿ مالكم من وليتهـم ﴾ تعنى الموالاة والتوارث ، وكان قوله تعالـى ﴿ وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض ﴾ نسخا لذلك ، وعلى هذا ينصرف المعنى لولاية التوارث ، اذ لا يمكن ولايته ونصره للبعد بين من هاجر ومن لم يهاجر ، وفي ذلك حض للأعراب على الهجرة ، ولا يجـوز ان تكون ولاية النصرة هى

---

(١) نفس المصدر والمادة والقصار هو الذى يبيض الثياب

(٢) انظر البحث ؟ وانظر حاشية الطالب ص١٦

(٣) انظر تهذيب اللغة ج ١٥ ص ٤٥٠

المرادة هنا لأنه عطف عليها ، ﴿ وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر ﴾ والمعطوف يغاير المعطوف عليه فوجب ان تكون الولاية المنفيـــة غير النصرة . (١)

أما اعتراض الفراء على قراءة الكسائى حيث قرأ بفتح الواو فـــى (وليتهـــم) فان أراد بذلك ان الواو لا تفتح فقد جانبه التوفيق فيما ذهب اليه ، لأن الفتح لغة صحيحة فيها ، وبها جاء التنزيل حيث قرأ الأعمش وابن وثاب وحمزة (وِلايتهـــم) بالكسر وقرأ باقى السبعة والجمهور بالفتح وقال ابو حيان : (ولحن الأصمعى الأخفش فى قراءته بالكسر ، وأخطأ فى ذلك لأنها قراءة متواترة) (٢)

ومما يدل على أن الكسر والفتح لغتان فى الولاية مطلقا ، وليس الكسر مختصا بالتى للتوارث قراءة الأعمش وحمزة والكسائى بكسر (واو) الولاية فى قوله تعالى ﴿ هنالك الولايـة لله الحـق ﴾ (٣) وقـراءة الباقين بالفتـح وهما بمعنى واحد كالرضاعة بالفتح والكسر (٤) وهما لغتان صحيحتان ، قال ذلك الأخفش ، بل نجد الفراء نفسه يروى لغة الكسر فيقول :

(ويختارون فى وليته ولايـة) الكسر سمعناها بالفتح والكســـر فى معنييها وأنشد :

* دعيهم فهم الب على ولايـة *

وفى الرد على ما ذهب اليه الفراء من أن الفتح والكسر لغتان فى واو الولاية رد على على سيبويه ومن نحا نحوه ، وتأييد لما ذهب اليه ابن برى ، وان فتح الواو فيها أرجح من الكسر والى هذا ذهب أبو عبيد اذ يقول :

---

(١) انظر ابا حيان البحر المحيط ج ٤ ص ٥٢٢ .
(٢) نفس المصدر ج ٤ ص ٣٢٢ (٣) الكهف الاية ٤٤
(٤) انظر القرطبى الجامع لاحكام القرآن ج ١٠ ص ٤١١

(والذى عندنا الأخذ بالفتح فى هذين الحرفين ، يعنى (وليتهم) فى سورة الانفال و (الولاية) فى سورة الكهف لان معناهما من الموالاة) (١)

الولاية شرعا :

مما تقدم من التعريف اللغوى على ما جاء فى كتب اللغة نتوصل الى أن (القرب) هو أساس الولاية ،ثم تجاوز هذا المعنى الى معانٍ أخر ، كالجوار ، والصداقة والمحبة والنصرة .

ثم اطلق اللفظ على معان شرعية كالولاية العظمى " الامامة " وولاية النكاح ، وولاية العتق وولاية اليتيم ،وما شابه ذلك ، وذلك لأن المعنى اللغوى متحقق فى كل هذه الألفاظ .

قال صاحب تفسير الميزان :

(والولاية وان ذكروا لها معانى كثيرة ،لكن الأصل فى معناها ارتفاع الواسطة الحائلة بين الشيئين ، بحيث لا يكون بينهما ما ليس منهما ، ثم استعيرت لقرب الشىء بوجه من وجوه القرب ،كالقرب نسبا أو مكانا ، أو منزلة أو الصداقة ،أو غير ذلك ، ولذلك يطلق الولى على كل من طرفى الولاية وخاصة بالنظر الى أن كلا منهما يلى من الآخر ما لا يليه غيره ، فالله سبحانه ولى عبده المؤمن لأنه يلى أمره ويدبر شأنه ، فيهديه الى صراطه المستقيم ،ويأمره وينهاه فيما ينبغى له أو لا ينبغى ، وينصره فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) (٢) والولاية ضد العداوة ، وأصل العداوة البغض والبعد .

وقد قيل : إن الولى سُمّى وليا لموالاته للطاعات أى متابعته لها ، فاذا كان ولى الله هو الموافق التابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه

---

(١) البحر المحيط ج٤ ص ٥٢٢

(٢) السيد حسن الطباطبائى ، الميزان فى تفسير القرآن ج١٠ ص٨٨ ط ثانية بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م

ويأمر به وينهى عنه ، فالولاية نظير الايمان فتكون كاملة بكماله وناقصة بنقصانه (١)

فالكاملة تكون للمؤمنين المتقين وهم أهل الوعد المذكور في الايات الثلاث التي سيأتي بيانها في باب الأولياء مفصلا ان شاء الله .

فالولاية الشرعية قائمة على طاعة الله والتقرب اليه بما يحبه والابتعاد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

اما الولاية الناقصة فهي التي يتحقق صاحبها بالايمان دون التقوى المؤدية الى الابتعاد عن كل ما نهى الله عنه ، فهذه الولاية أقل درجة من الأولى ، وقد يدخل صاحبها النار الا أنه لا يخلد فيها كما يخلد الكافر والمنافق ، فهو يعذب في النار على قدر ما معه من فسوق وعصيان ، لأن الطاعات كلها شعب للايمان ، ودعائم للولاية ، كما أن المعاصي كلها شعب للكفر ودعائم للعداوة . وكما سبق القول : أن الولاية الكاملة هي المشتملة على الإيمان والتقوى ، والتقوى هي التي بينتها الآية الكريمة وعبرت عنها بلفظ البر . قال الله تعالى :

﴿ ولكن البر من ءامن بالله واليوم الآخر والملئكة والكتب والنبيين وءاتى المال على حبه ذوى القربى واليتمى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلوة وءاتى الزكوة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصبرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ (٢)

ولذا يقول ابن تيمية :

" وإذا كان أولياء الله عز وجل هم المؤمنون المتقون والناس يتفاضلون في الايمان والتقوى فهم متفاضلون في الولاية بحسب ذلك) (٣)

---

(١) انظر ابن تيمية مجموع الفتاوى الكبرى ج ١١ ص ١٦١

(٢) البقرة الاية ١٧٧

(٣) انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٥

الفصل الثانى

أنواع الولاية وأدلتها من الكتاب والسنة

المبحث الأول — انواعها وأدلتها من القرآن :

لقد وردت مادة " الولاية " فى القرآن الكريم فى اكثر من تسعين موضعا .

واذا أمعنا النظر فى هذه الايات الكريمة التى ورد فيها هذا اللفظ نجدها تشير الى خمسة أنواع من الولاية :

١ — ولاية خاصة بالله تعالى لا يشاركه فيها غيره ، عامة لكل مخلوقاته بلا استثناء .

٢ — ولاية بينه وبين خاصته من خلقه ، وهم المؤمنون .

٣ — ولاية المؤمنين بعضهم بعضا .

٤ — ولاية بين الشياطين والكافرين .

٥ — ولاية الكفار بعضهم البعض .

فالولاية الخاصة بالله تعالى ، التى عم نفعها الثقلين ، هى ولاية الرحمة الشاملة لكل المخلوقات ، الانس والجن ، المحسن والمسىء ، الحيوان والانسان .

وهى ولاية الخلق والتدبير والحفظ والهداية العامة لما فيه خيرها وبه قوامها .

قال الله تعالى ﴿ الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد ﴾ (٣)

وقال تعالى ﴿ أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى ﴾ (٤)

---

(١) غافر : ٦٤ (٢) النحل : ٥٣ (٣) الشورى : ٢٨ (٤) الشورى : ٩

وقال تعالى ﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ وان من أمة الا خلا فيها نذير ﴾ (٣)

وقال تعالى ﴿ له غيب السموات والأرض أبصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا ﴾ (٤)

وقال تعالى ﴿ الذى خلق فسوى . والذى قدر فهدى ﴾ (٥)

ففي هذه الآيات التي سقناها يتجلى أن الله سبحانه وحده الولي ، والمراد أنه المتولي لشئون المخلوقات في الواقع ونفس الأمر ، بما خلق لهم من المنافع والحواس ، والقوى التي تمكنهم من الاستفادة مما خلق لهم من رزق ، ومهد لهم من سبل ، وهيأ لهم من أسباب وسنن ، وهذه هي الولاية العامة التي ينتفع بها الكافر والمؤمن والحيوان والانسان ، فهي ولاية الرحمة العامة كما هي ولاية القهر والسلطان الذى يعبد كل مخلوق له تعالى ، بحيث لا يخرج عن هذا السلطان كائن ما كان ، قال تعالى : ﴿ ان كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبدا ﴾ (٦)

وقال سبحانه : ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ (٧)

وقال عز من قائل ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾ (٨)

وقال تعالى ﴿ هنالك الولاية لله الحق ﴾ (٩)

فتتجلى هذه الولاية لكل أحد يوم القيامة فيقر أن الله تعالى هو المنفرد بالملك والتدبير .

---

(١) الاسراء : ٩٧ (٢) فصلت الاية : ١٧ (٣) فاطر : ٢٤
(٤) الكهف : ٢٦ (٥) سورة الاعلى الأيتين ٢ و ٣
(٦) مريم الاية : ٩٣ (٧) غافر الاية : ١٦
(٨) الفرقان الاية : ٢٦ (٩) الكهف الآية ٤٤

الولاية الخاصة لبعض الناس دون البعض :

والولاية الخاصة لبعض الناس دون بعض ، هي التي نحن بصدد ذكر أدلتها ، وهي ولايته لعباده المؤمنين .

وهذه الولاية يتفاضل فيها الأولياء فحظ الرسل عليهم صلوات الله وسلامه ، أعظم من غيرهم ، على حسب المراتب التي سيأتي ذكرها ان شاء الله مفصلا ، لأن الرسل هم القادة المتبوعون المكلفون بتعليم الأمم الموجهون لها الى الله سبحانه بقولهم وفعلهم ،

قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام :
﴿ فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والأرض ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ ان وليي الله الذي نزل الكتب وهو يتولى الصالحين ﴾ (٣)

ونهى الله سبحانه أولياءه من الركون الى غيره ، فقال ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴾ (٤)

وقال تعالى ﴿ وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ﴾ (٥)

وقال تعالى ﴿ الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ﴾ (٦)

قال الطبري : يعني نصيرهم وظهيرهم ، يتولاهم بعونه وتوفيقه ، يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان ، وانما عنى بالظلمات في هذا الموضع الكفر وجعل الظلمات للكفر مثلا ، لأن الظلمات حاجبة للأبصار عن ادراك الأشياء واثباتها ، والكفر حاجب للقلوب عن ادراك حقائق الأشياء . (٧)

---

(١) سورة يوسف الاية : ١٠١ — (٢) سورة الأنعام الاية : ١٤
(٣) سورة الأعراف الاية : ١٩٦ — (٤) سورة هود الاية : ١١٣
(٥) سورة النساء الاية : ٤٥ — (٦) سورة البقرة الاية : ٢٥٧
(٧) انظر تفسير الطبري ج٣ ص ١٦٨

وقال الشيخ محمد عبده في تفسير هذه الآيـة :

(ومعنى هذه الاية الذى يلتئم مع سابقتها ظاهر أتم الظهور ، وهو أن المؤمن لا سلطان لأحد على اعتقاده الا الله تعالى) (١)

والشواهد من القرآن الكريم على ولاية المحبة والنصرة والتوفيق الخاصة بعباد الله المؤمنين كثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قولـــه تعالى ﴿ أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ (٢)

وقوله تعالى ﴿ أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ (٣)

وقوله تعالى ﴿ وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ﴾ (٤)

وقوله تعالى ﴿ انما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا الذين يقيمون الصلوٰة ويؤتون الزكوٰة وهم راكعون • ومن يتول الله ورسوله والذين ءامنوا فـــان حزب الله هم الغالبون ﴾ (٥)

وقوله تعالى ﴿ واعتصموا بالله هو مولكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾ (٦)

وقوله تعالى ﴿ ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين ءامنوا والله ولى المؤمنين ﴾ (٧)

وقوله تعالى ﴿ بل الله مولكم وهو خير الناصرين ﴾ (٨) ثـــم توج الله سبحانه وتعالى ولايته لخاصته من خلقه ببشارة عاجلة ، تطمئـــن بها القلوب ، وتنشرح بها الصدور ، وهى قوله تعالى ﴿ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • الذين ءامنوا وكانوا يتقون • لهم البشرى فى الحيوٰة الدنيا وفى الاخرة لا تبديل لكلمٰت الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ (٩)

---

(١) انظر تفسير المنار جـ٣ ص ٤٢/٤٣ (٢) سورة الاعراف الاية : ١٥٥
(٣) سبأ الاية : ٤١ (٤) الانفـال الاية : ٣٤
(٥) المائدة : ٥٥/٥٦ (٦) الحـج : ٧٨
(٧) آل عمران : ٦٨ (٨) آل عمران : ١٥٠
(٩) يونس الايات : ٦٢ — ٦٤

وقوله تعالى ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملئكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة ﴾ (١)

فتستقبلهم الملائكة بالروح والريحان مبشرين لهم ألا خوف يلحقهم ولا حزن يصيبهم ، وأنهم الى الجنة صائرون ،فاذا حضروا لدى الرحمن ،أكرم مثواهم وكشف لهم الحجاب ، وأشهدهم وأراهم ، وهذا غاية ما كانوا يأملون .

﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحب الجنة هم فيها خالدون ﴾ (٢)

فولايتهم له تعالى عبر عنها بالايمان والتقوى فهم بايمانهم يعتقدون أنه المتولى لأمورهم فيتولونه وحده ،وهم بتوفيقه يقرون أن هذا تفضل منه عليهم اذ مكنهم من ذلك وهيأ لهم أسبابه ،وتولى سبحانه هدايتهم لما فيه سعادتهم ، فألهمهم الطاعات وصرفهم عن المحظورات ،فمن تجاوز هذا الحد فاتخذ له وليا يعتقد فيه أنه يملك له شيئا من نفع أو ضر ، لم يكن أهلا للولاية الخاصة .

ولاية المؤمنين بعضهم لبعض :

وهى ولاية أساسها ولاية الله لهم ،فهى مبنية على طاعته ، لذلك فهم متعاونون على البر والتقوى متحابون فى الله ، يقول الله تعالى :

﴿ ان الذين ءامنوا وهاجروا وجهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين ءاووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾ (٣)

ويقول سبحانه ﴿ والمؤمنون والمؤمنت بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ﴾ (٤)

---

(١) فصلت : ٣٠–٣١ (٢) يونس : ٢٦ انظر التبصرة ص٣ ١٢
(٣) الانفال : ٧٢ (٤) التوبة الاية : ٧١

فهى ولاية نصرة ومؤازرة ومحبة وتعاون على البر والتقوى مع استقامتهم على الأعمال الصالحة، وعملهم على تنقية المجتمع من الرذائل، وهذا واضح من قوله تعالى :

﴿ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾، ولا معنى لكون المؤمن ولى المؤمن الا أن يكون عونا له ونصيرا فى الحق الذى يرتفع به صرح الايمان ويعلو شأن أهله . فالمؤمن ولى الله وولى المؤمن، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

" ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، اذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى " (١)

<u>الموالاة بين الشياطين والكافرين :</u>

وفى هذا الضرب من الولاية يقول الله تعالى :

﴿ انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ (٢)

ويقول عز من قائل ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ (٣)

ويقول سبحانه : ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ﴾ (٤)

ويقول تعالى ﴿ انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ﴾ (٥)

ويقول ﴿ انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ (٦)

ويقول سبحانه ﴿ فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم ﴾ (٧)

---

(١) البخارى، كتاب الأدب باب رحمة الناس بالبهائم جـ٧ ص ٧٨/٧٧
(٢) آل عمران الاية : ١٧٥ (٣) النساء الاية : ٧٦
(٤) البقرة الاية : ٢٥٧ (٥) الاعراف الاية : ٣٠
(٦) الاعراف الاية : ٢٧ (٧) النحل الاية : ٦٣

وقال تعالى ﴿ ومن يتخذ الشيطـٰن وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ﴾ (١)

وقال سبحانه ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ﴾ (٢)

وقال : ﴿ يا أبت لا تعبد الشيطـٰن ان الشيطـٰن كان للرحمن عصيا . يا أبت أني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطـٰن وليا ﴾ (٣)

فالشيطان ولي الكافر والكافر ولي الشيطان .

ولاية الكفار بعضهم بعضا :

واذا كان الايمان سببا تنعقد به الولاية بين المؤمنين ، فالكفر هو السبب الذي به يوالي الكافر أخاه الكافر .

قال الله تعالى ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾ (٤)

وقال تعالى ﴿ ياأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصرى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ (٥)

وقال تعالى ﴿ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ﴾ (٦)

وقال تعالى ﴿ أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء ﴾ (٧)

وأنكر سبحانه أن يكون هناك ما يدعو لاتخاذ الكافر وليا من دونه فقال :
﴿ الذين يتخذون الكـٰفرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا ﴾ (٨)

وتوعد من يتخذ من دونه وليا بقوله ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم ﴾ (٩)

واذا كان المؤمنون يوالي بعضهم بعضا امتثالا لأمره تعالى وابتغاء وجهه عز وجل .

---

(١) النساء الاية : ١١٩ (٢) الكهف : ٥٠ (٣) مريم : ٤٥/٤٦
(٤) الانفال : ٧٣ (٥) المائدة : ٥١ (٧) الكهف : ١٠٢
(٦) المائدة : ٨١ (٨) النساء : ١٣٩ (٩) الشورى : ٦

وكان الكافر يوالى الكافر ،وكلا هما يوالى الشيطان الذى اضلهم وأغواهم ، وزين لهم سوء أعمالهم ،فاذا كان الأمر كذلك يظهر أن للرحمن أولياء وللشيطان أولياء . فأولياء الرحمن هو عباده المؤمنون الذين خصهم بتوفيقه وهدايته .

واولياء الشيطان هم الذين استجابوا لدعوته ، فخرجوا عن فطرتهم وسلكوا سبل الضلال ،كما قال الله تعالى ﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ (١)

فالولاية غير العامة تنحصر فى ضربين :

(١) ولاية الله .

(٢) وولاية الشيطان .

ذلك أن المؤمن انما يوالى أخاه المؤمن ويحبه فى الله عملا بقوله صلى الله عليه وسلم (... وان يحب المرء لا يحبه الا لله تعالى) (٢)

كما أن الكافر انما يوالى الكافر رضوخا لأمر الشيطان واتباعا لسبيله كما قال تعالى ﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما انا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما اشركتمونى من قبل ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون ﴾ (٤)

ولقد سبق أن ذكرنا آيات كثيرة دالة على ثبوت الولاية لله بصفة عامة وهى ولاية التدبير والقهر ، والسلطان الشاملة لكل المخلوقات ودلت آيات أخر على ولاية خاصة بالمؤمنين دون الكافرين وهى ولاية التوفيق والنصرة والمحبة كما فى قوله تعالى :

﴿ الله ولى الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمت الى النور ﴾

---

(١) سورة المجادلة الاية : ١٩ (٢) البخارى من حديث انس : ثلاث من كن فيه .. الحديث

(٣) سورة ابراهيم الاية : ٢٢ (٤) سبأ الاية : ٤١

المبحث الثاني : أدلة الولاية من السنة :

أما الأحاديث الدالة على ثبوت الولاية للمؤمنين فكثيرة ، حيث ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أولياء الله ، ووصفهم في كثير من احاديثه التي سنسوق طائفة منها في هذا الفصل ومن اصح هذه الاثار ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله قال : من عادى لي وليا ، فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدي بشيء أحب الي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ، ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته) (١)

يعتبر هذا أصح حديث في الأولياء لوروده في البخاري الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله وفيه يقول الطوفي :

(اتفق العلماء ممن يعتد برأيه أن هذا ـ يعني ما ورد في الحديث من كون الله سمعه وبصره ـ مجاز وكناية عن النصرة والتأييد والاعانه حتى كأن الله سبحانه وتعالى ينزل نفسه من عبده منزلة الالات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية : (فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي) .

والاتحادية زعموا أنه على حقيقته ، وأن الحق عين البصر واحتجوا بمجيء جبريل في صورة دحية ، قالوا فهو روحاني خلع صورته وظهر بمظهر البشر ، قالوا : فالله أقدر على ان يظهر في صورة الوجود الكلي او بعضه (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) (٢) وسيأتي مزيد بيان لرأي الاتحادية ان شاء الله تعالى .

---

(١) صحيح البخاري كتاب الرقاق باب التواضع ج رقم ٦٥٠٢ السلفية وانظر فتح الباري ج ١١ ص ٣٤٠ / ٣٤١ السلفية

(٢) انظر فتح الباري ج ١١ ص ٣٤٤

ولقد كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حريصين على معرفة اوصاف اولياء الله ،ليتخلقوا بها حرصا على مرضاة الله تعالى . ولا شك في ولا يقيهم .

فعندما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عباد الله الذين ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الحق تعالى ، سألوه من هم ؟ وما أوصافهم ؟

ورد في مسند الامام أحمد : (عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما قضى صلاته أقبل على الناس بوجهه ، فقال : يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا ،واعلموا ان الله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله — قالوا : من هم يا رسول الله ، انعتهم لنا — فسروجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسؤال الأعرابي ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هم ناس من أفناء الناس ،ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا وتصافوا يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها ، فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس ولا يفزعون هم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١)

وفي رواية أخرى للطبري :

(حدثنا هشام الرفاعي : حدثنا ابن فضيل قال عمر بن جرير البجلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من عباد الله عبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء ، قيل من هم يا رسول الله ؟ فلعلنا نحبهم ، قال هم قوم تحابوا في الله على غير اموال ولا أنساب ، وجوههم من نور ، على منابر من نور ، لا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس ، وقرأ

---

(١) الامام احمد بن حنبل المسند جـ ٥ ص ٣٤٣ وانظر تفسير الطبري بتحقيق محمود محمد شاكر : قال محمود في هذا الحديث صحيح الاسناد .

افناء الناس : اخلاطهم ومن لا يدري من أي قبيلة هو .

نوازع القبائل : جمع نازع وهم الغرباء الذين يجاورون قبائل ليسوا منهم جمع على غير قياس .

﴿ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (١) وعند الطبري أيضا :

(حدثنا حميد قال : حدثنا جرير بن عمارة عن ابي زرعة عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله ، قالوا : يا رسول الله أخبرنا من هم ؟ وما أعمالهم ؟ فانا نحبهم لذلك ، قال : هم قوم تحابوا في الله بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلى نور ، لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ الاية ﴿ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (٢)

وفي حديث آخر :

(حدثنا بحر بن نصر الخولاني قال حدثنا يحيى بن حسان ، قال حدثنا عبد الحميد بن بهرام قال : حدثنا شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتي من أفناء الناس ونوازع القبائل قوم لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله يضع الله لهم منابر من نور يجلسهم عليها يفزع الناس ولا يفزعون وهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) . (٣)

وعن عمرو بن الجموح الأنصاري رضى الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول (لا يحق العبد حق صريح الايمان ، حتى يحب لله تعالى ويبغض لله تبارك وتعالى فاذا أحب لله تبارك وتعالى ، وأبغض لله تبارك وتعالى فقد استحق الولاء من الله ، وان أحب أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري ، وأذكر بذكرهم) (٤)

---

(١) انظر ابن جرير ج١٥ ص١٢٠ / ١٢١ وصحح هذا الحديث محمود محمد شاكر

(٢) قال محمود محمد شاكر اسناده جيد الا انه منقطع ج١٥ ص١٢١ الطبري .

(٣) تفسير الطبري ج١٥ ص ١٢٢ (٤) المسند ج٣ ص٤٣٠

وخرج الطبراني من حديث الأوزاعي ، عن عبدة ابن ابي لبابة ، عن زر بن حبيش سمعت حذيفة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان الله تعالى اوحى الي يا أخا المرسلين ، يا اخا المنذرين ، أنذر قومك ، لا يدخلوا بيتا من بيوتي ولأحد عندهم مظلمة ، فاني ألعنه ما دام قائما يصلي حتى يرد تلك الظلامة على أهلها ، فأكون سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويكون من أوليائي وأصفيائي ، ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة) (١)

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر : (انما وليي الله وصالح المؤمنين) (٢)

وعن زيد بن أسلم عن أبيه : ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو بمعاذ بن جبل رضي الله عنه عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ، فقال : ما يبكيك يا معاذ ؟ قال : يبكيني شيء سمعته من صاحب هذا القبر ، قال وما سمعته ؟ قال : سمعته يقول (ان اليسير من الرياء شرك ، ومن عادى ولي الله ، فقد بارز الله تعالى بالمحاربة ، وان الله يحب الأتقياء الاصفياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة) (٣) .

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٣١٤/٣١٥ قال : ابن رجب وهذا اسناد جيد .

(٢) صحيح مسلم كتاب الايمان باب موالاة المؤمنين حديث رقم ٣٦٦ والبخاري في كتاب الايمان والأدب .

(٣) الحاكم ، المستدرك على الصحيحين كتاب الرقاق ص ٣٢٨ مكتب المطبوعات الاسلامية حلب .

الفصل الثالث

الطريق الى الولاية

يرى الامام الشوكانى : ان الطريق الى الولاية يتلخص فى أمور ثلاثة :

١ ـ الايمان بالله على ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ اداء الفرائض واجتناب النواهى .

٣ ـ الاكثار من النوافل .

المبحث الأول : فى الايمان بالله :

والايمان بالله أعظم الأبواب للدخول الى ساحة الولاية (١) إذ هو الأصل الذى يتفرع عنه ما عداه من العقائد الأخرى فهى فرع لهذا الأساس ، وأن كل ما فى الاسلام من تصديقات وأخلاق ، وقوانين انما تستمد قوتها من الايمان بالله الذى هو شرط فى صحة الأعمال الشرعية فلا تصح بدونه ، ولهذا ترتبت الأركان الأخرى للايمان عليه ، وبانتفائه يصبح العمل هباء . قال الله تعالى :

﴿ وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ﴾ (٣)

فما الإيمان اذن ؟

الايمان فى اللغة :

الايمان لغة مراعى فيه معنى الأمن ، فأمن حصل له الأمن ، أخذ منه الإيمان ، فهو إفعال من الأمن للتعدية . يقال : آمنته الطريق ، أى جعلته آمنا منه ، وسمى الله نفسه المؤمن ، لأنه آمن عباده من الظلم قال تعالى : ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ (٤) أى جعلهم آمنين منه .

---

(١) انظر ابراهيم هلال : ولاية الله والطريق اليها دراسة وتحقيق قطر الولى ص١٣٦

(٢) الفرقان : ٢٣ (٣) ابراهيم : ١٨ (٤) قريش : ٤

قال الأزهرى :

(وأما الايمان فهو مصدر آمن يؤمن ايمانا فهو مؤمن) (١) ويستعمل فى اللغة أيضا بمعنى التصديق ، وذلك اذا كان لازما فيتعدى بالباء لاعتبار معنى الاقرار والاعتراف ، كقوله تعالى ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ﴾ (٢) .

وباللام لاعتبار معنى الاذعان والقبول ،كقوله تعالى : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ (٣)

وكقوله تعالى : ﴿ قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ (٤)

وقوله تعالى ﴿ يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ﴾ (٥)

والايات فى ذلك كثيرة وكون الايمان لغة بمعنى التصديق هو مذهب كثير من المتكلمين .

يقول عبد القاهر البغدادى :

(أصل الايمان فى اللغة التصديق ، يقال : منه آمنت به وأمنت له ، اذا صدقته ومنه قوله تعالى : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ أى : بمصدق ، فالمؤمن بالله ،هو المصدق لله فى خبره ، وكذلك المؤمن بالنبى صلى الله عليه وسلم مصدق له فى خبره ، والله مؤمن له ،يصدق وعده بالتحقيق ، وقد يكون المؤمن فى اللغة ، مأخوذا من الأمان والله مؤمن أوليائه من العذاب) (٦)

ويقول الباقلانى :

(وقد اتفق أهل اللغة قبل نزول القرآن ،وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم على أن الايمان فى اللغة هو التصديق دون سائر أفعال

---

(١) تهذيب اللغة جـ ١٥ ص١٣ ٥ (٢) البقرة : ٢٨٥

(٣) يوسف : ١٧ (٤) الشعراء : ١١١ (٥) التوبة : ٦١

(٦) الاستاذ عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى ،اصول الدين، ص٢٤٧ / ٢٤٨ ط اولى استانبول ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م

القلوب) (١) ويوء يد ما ذهب اليه الباقلانى فى الانصاف ما ذكره الأزهرى اذ يقول :

(واتفق اهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الايمان معناه التصديق قال الله تعالى ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم توءمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ﴾ (٢)

لأن قولك آمنت بالله ، أو قال قائل : آمنت بكذا وكذا فمعناه صدقت فأخرج الله هوءلاء من الايمان فقال : ﴿ ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ﴾ أى : لم تصدقوا وانما أسلمتم تعوذا من القتل (٣) وكلا المعنيين اللغويين معنيان حقيقيان ولذا قال الدكتور محمد عبدالله دراز :

(قال علماء الاشتقاق وهذا المعنى الثانى ـ التصديق ـ راجع للمعنى الأول ـ الأمن لأن من صدقك فقد آمنك التكذيب والمخالفة (٤) ولهذا فسر أكثر المتكلمين الايمان بالتصديق .

الايمان شرعـــا :

اختلف أهل القبلة فى مفهوم الايمان الشرعى الذى تتحـقق بـــه الولايـــة .

(١) ـ زعمت الكرامية * : (أن الايمان هو الاقرار والتصديق باللسان دون القلب وأنكروا أن تكون معرفة القلب او شيء غير التصـــديق باللسان ايمانا ، وزعموا ان المنافقين الذين كانوا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم كانوا موءمنين على الحقيقة) (٥)

---

(١) سيف الاسلام القاضى ابو بكر الطيب الباقلانى ، الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجـ الجهل به ص ٢٢ ط موءسسة الخانجى الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م

(٢) الحجرات : ١٤ (٣)

(٤) انظر المختار ص ٦٩ * ـ الكرامية : اصحاب ابى عبدالله محمد بن كرام / السجستانـ

(٥) ابو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى مقالات الاسلاميين جـ١ ص٢٢٣ بتحقيق محمد محى الدين مكتبة النهضة المصرية ط ٢ سنة ١٣٨٩هـ .

فالاقرار باللسان فقط ، أي النطق بالشهادتين او آمنت بما جاء به الرسول هو الايمان عند الكرامية ، زعما منهم ان الايمان في اللغة هو التصديق ، والمعروف تصديق اللسان وان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكتفي بالاقرار بالشهادتين ، ولا يسأل عما في القلب ، فقالوا هذا دليل على ان الايمان هو تصديق اللسان ، وليتهم وقفوا عند هذا الحد ، بل جعلوا الايمان الاقرار باللسان حين أخذ الله الميثاق على بني آدم في عالم الذر .

يقول أبو المظفر الاسفرايني :

(ومن بدعهم في باب الايمان قولهم :

ان الايمان ، قول مجرد لا هذا القول الذي يقوله القائل الآن : لا اله الا الله . ولكن هذا الذي صدر عن ذرية آدم في بحث الميثاق ، حين قال الله تعالى :

﴿ واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ (١) ويقولون : ان ذلك القول قول باق أبدا لا يزول حكمه الا ان يرتد عنه فحينئذ يزول حكمه ، وقالوا ان الزنديق والمنافق اذا قال بلسانه لا اله الا الله ، وفي قلبه النفاق والزندقة فهو مؤمن حقا ، ايمانه كايمان جبريل وميكائيل وجميع الملائكة والأنبياء والأولياء) (٢)

فمجرد الاقرار باللسان عندهم ايمان وان كان صاحبه قد يكون من أهل النار ، ووهم ابن حزم الظاهري ونسب اليهم ما لم يكن من مذهبهم فقال :

(وذهب قوم الى أن الايمان هو اقرار بالله تعالى ، وان اعتقد الكفر بقلبه فاذا فعل ذلك فهو مؤمن من أهل الجنة ، وهذا قول محمد بن كرام السجستاني وأصحابه) (٣) فليس أمرهم كما قال ابن حزم بل عندهم المنافق مؤمن الظاهر كافر الباطن ، فيثبت له حكم المؤمن في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة .

---

(١) الاعراف الاية : ١٧٢

(٢) ابو المظفر الاسفرايني ، التبصير في الدين ص٦٩ بتحقيق محمد زاهد الكوثري مطبعة الانوار ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م

(٣) ابن حزم ، الفصل في الملل والاهواء والنحل جـ٣ ص ٣٨٨ مكتبة المثنى بغداد بدون تاريخ .

ولقد أنصفهم ابن تيمية من ابن حزم فقال : والكرامية يقولون :
ان المنافق مخلد في النار لأنه آمن ظاهرا لا باطنا ، وانما يدخل الجنة من آمن ظاهرا وباطنا ، قالوا : والدليل على شمول الايمان له ، أنه يدخل في الأحكام الدينية المتعلقة باسم الايمان ، كقوله تعالى ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ (١) ، ويخاطب في الظاهر بالجمعة والطهارة وغير ذلك مما خوطب به الذين آمنوا ، وأما من صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه ، فانه لم يعلق به شيء من أحكام الايمان لا في الدنيا ولا في الاخرة ولا يدخل في خطاب الله لعباده بقوله :
﴿ ياأيها الذين آمنوا ... ﴾ ومن حكى أنهم يقولون : المنافق يدخل الجنة فقد كذب عليهم ، بل يقولون : ان المنافق مؤمن ، لأن الايمان هو القول الظاهر) (٢)

ويؤيد الكمال بن الهمام ابن تيمية فيما ذهب اليه من تقرير مذهب الكرامية في الايمان قائلا :

(... أو باللسان فقط أي : الاقرار بحقية ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، بأن يأتي بكلمتي الشهادة وهذا قول الكرامية ، قالوا ان طابق تصديق اللسان تصديق القلب فهو مؤمن ناج ، والا — أي ان لم يطابقه فهو مخلد في النار) (٣)

ويقول البغدادي :

انهم يقولون : ان الايمان اقرار فرد وهو قول الخلائق بلى وزعموا ان ذلك القول باق في كل من قاله ، مع سكوته وخرسه الى يوم القيامة لا يبطل الا بالردة — وزعموا أن ايمان المنافقين كايمان الأنبياء والملائكة وسائر المؤمنين وزعموا أيضا أن المنافقين مؤمنون حقا ، وأجازوا أن يكون المؤمن حقا مخلدا في النار كعبد الله بن أبي رئيس المنافقين ، وان يكون كافر حقا مخلدا في الجنة كعمار بن ياسر حال ما أكره على الكفر لو مات فيه . (٤)

---

(١) النساء : ٩٢ (٢) ابن تيمية الايمان ص ١٢١ / ١٢٢
(٣) الكمال بن الهمام — المسايره (٤) انظر البغدادي ، اصول الدين ص ٢٥

مناقشة مذهب الكرامية في الايمان :

بينا أن مذهب الكرامية في الايمان شرعا هو الاقرار باللسان ، وبينا أيضا انهم لا يجعلون كل مقر مستحقا لدخول الجنة ، فقد يكون المقر بلسانه منافقا زنديقا من أهل النار ، وهذا المذهب باطل لوجوه :

١ — لو كان الايمان هو اقرار اللسان الذي دل عليه قوله تعالى : حكاية بلى ، وجب ان يكون الناس جميعا مؤمنين وان يكون التميز بين مؤمن وكافر انما هو بالرجوع عن هذا القول فمن رجع عنه كان مرتدا على مايقولون ، والا كان مؤمنا ، فاذا كان مؤمنا كان حينئذ لا يطلب منه الايمان فـلا تأتي الرسل بدعوته اليه ، وانما كان معنى الدعوة أن يقولوا له : أأنت باق على اقرارك أم لا ؟ لا أن يقولوا له آمن بالله .

٢ — ثم ان القرآن والسنة النبوية المطهرة مليئتان بتكفير من آمن بلسانه ،ولم يجد الايمان سبيلا الى قلبه يقول الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم في شأن من آمن بلسانه ولم يصدق قلبه :

﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله ﴾ [١]

ويقول تعالى ﴿ اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ﴾ [٢]

فكذبهم في قولهم ﴿ انك لرسوله ﴾ مع انه حق في نفس الأمر ، اذ لم يكن قولهم مطابقا لما في قلوبهم ، والشهادة يشترط فيها مواطأة اللسان للقلب .

٣ — لا يحكم عاقل أن من قال (صدقت) بلسانه بدون ان يكون ذلك مواطئا لما في قلبه أنه مؤمن ، والا لزم ان يكون مؤمنا من قال (صدقت) حتى لو لم يعرف لهذا اللفظ معنى ، وحتى لو فرض عدم وضعه لمعنى . (٤)

---

١ - التوبة : ٨٤   ٢ المنافقون : ١

(٤) انظر المواقف ج ٨ ص   وانظر ص ٥٩٤ ج ٨ شرح السيد على المواقف

(٢) وزعمت الجهمية :

أصحاب جهم بن صفوان الترمذى أن الايمان مجرد المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاءوا به من عند الله فقط وأن ما سوى المعرفة من أعمال اللسان والجوارح والقلب فليس بايمان ، وأن الكفر بالله هو الجهل به ، وأن الانسان اذا أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لا يكفر بجحده ، وأن الايمان لا يتفاضل فيه أهله ولا ينقص ، وأن الايمان والكفر لا يكونان إلا فى القلب دون الجوارح .(١)

وقد يشتبه مذهبهم هذا بمذهب الأشاعرة القائلين/ الايمان هو التصديق القلبى على ما سيأتى ان شاء الله الا ان الفرق واضح بين المذهبين فالايمان عندهم معرفة الله أو هو العلم بالخالق ، وأن هذا العلم لا يؤثر الانكار فيه شيئا ، فقد اكتفوا بالعلم بالله فى تحقيق معنى الايمان .

أما عند الأشاعرة فالتصديق القلبى يراد به الاذعان الجازم والقبول والرضا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا حكموا بكفر من أبى مع القدرة اتفاقا وتنازعوا فيمن لم يعترف عمره ولو مرة مع وجود هذا التصديق من غير اباء ولا استكبار أيكون مؤمنا أم لا ؟ فمن قال الاقرار شرط لاجراء الأحكام ، قال : بايمانه فيما بينه وبين ربه ، ومن قال جزء لا يحتمل السقوط الا عند العجز قال : انه غير مؤمن ، لأن حقيقة الايمان عندهم مركبة من قول اللسان وتصديق القلب . وهذا المذهب لا يحتاج بطلانه الى نظر واستدلال لأن أهل السنة مجمعون على زوال الايمان ، وأنه لا ينفع العلم بالله مع انتفاء عمل القلب ، وهو محبته وانقياده ، كما لم ينفع ابليس ، وفرعون وقومه ، واليهود والمشركين اعتقادهم صدق الرسول صلى الله عليه وسلم قال سبحانه فى شأن فرعون وقومه :

﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾(٢)

---

(١) ابو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى ،مقالات الاسلاميين جـ١ ص١٣٢/٢١٤
(٢) النمل الاية : ١٤

وقال له موسى ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض ﴾ (١)

وقال تعالى فى شأن ابليس :

﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون ﴾ (٣)

وقال فى حق اليهود ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ (٤)

ومن أبلغ الدلالة فى الرد على الجهمية قول النفرين اليهوديين لما جاءا إلى النبى صلى الله عليه وسلم وسألاه عما دلهما على نبوته ، فقالا نشهد أنك نبى فقال :

(ما يمنعكما من اتباعى) ، قالا : إن داود دعا أن لا يزال فى ذريته نبى ، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا اليهود فهؤلاء قد عرفوا وأقروا بألسنتهم اقرارا قطعيا لمعتقدهم انه نبى ولم يدخلوا بهذه المعرفة والتصديق والاقرار ، فى الايمان لأنهم لم يلتزموا طاعته والانقياد لأمره ومن هذا كفر أبى طالب فان اباطالب عرف حقيقة المعرفة أنه صادق وأقر بلسانه وصرح بذلك فى شعره قائلا :

ولقد علمت بأن دين محمد   من خير اديان البرية دينا

ولم يدخل بذلك فى الاسلام . (٥)

وقال الله تعالى حاكيا حال المشركين ﴿ فانهم لا يكذبونك ولكن الظلمين بئايت الله يجحدون ﴾ (٦)

ولكل ما تقدم من الأدلة ثبت بطلان هذا المذهب .

---

(١) الاسراء الاية : ١٠٢   (٢) ص الاية : ٨٢

(٣) ص الاية : ٧٩   (٤) البقرة الاية : ١٤٦

(٥) انظر رسالة الصلاة ضمن المجموعة النجدية ص٥١٤ و ٥١٥ وانظر الطحاوية ، ص٢٤٨

(٦) الانعام الاية : ٣٣

(٣) — المرجئة :

المرجئة اسم فاعل من الإرجاء ، والإرجاء يأتي في اللغة العربية على معنيين :

١ — التأخير ،تقول : أرجأت كذا بمعنى أخرته وفي قصة موسى عليه السلام وعلى نبينا الصلاة والسلام في القرآن الكريم : ﴿ قالوا أرجه وأخاه ﴾(١) أرادوا أخره وأمهله .

٢ — الإرجاء : إعطاء الرجاء تقول : أرجيت فلانا بأن أعطيته الرجاء .

والهمزة على المعنى الأول أصلية ، وعلى الثاني منقلبة عن حرف علة .

والمرجئة قالوا : إن الايمان قول واعتقاد فقط ،فلا يضر بعد ذلك شيء من المخالفة والعصيان صغيرا أو كبيرا (٢) .

واشتهر عنهم القول : بأنه لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة .(٣)

مناقشة مذهب المرجئة :

مما لا يخفى أن من اللوازم البينة لهذا المذهب ،بطلان التكليف بالفروع جملة ،وضياع آيات الوعيد سدى وصيرورتها كذبا وان تصير الذنوب في حكم المباحات ،وفي ذلك اقرار للمذنب على ذنبه واغراء لغيره بالمعصية ، ذلك أن الشخص اذا علم أنه لا يعاقب على معصيته ، فأي مانع يمنعه من الاقدام عليها وداعي الطبع يدعوه لها ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا ﴾(٤) وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ،فكيف تستوي عند العقول عاقبة الظلم والعدل ؟ أم كيف تستوي طبيعة الخير والشر قال تعالى :

---

(١) الشعراء الاية :٣٦ (٢) انظر المختار من كنوز السنة ص٧٤

(٣) انظر ابا زهرة ، تاريخ المذاهب الاسلامية جـ١ ص١٣٢ دار الفكر العربي مطبعة السعادة بمصر . (٤) الكهف الاية :٥

﴿ أم نجعل الذين ءامنوا وعملوا الصلحت كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين ءامنوا وعملوا الصلحت سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ (٣)

وبهذا يتضح فساد هذا المذهب .

الامام ابو حنيفة والارجاء :

تحت راية المرجئة أدرج الامام أبو حنيفة رحمه الله حيث عده الأشعري رضي الله عنه من المرجئة قائلا :

(والفرقة التاسعة من المرجئة ،أبو حنيفة واصحابه يزعمون أن الايمان ، المعرفة والاقرار بالله ، والمعرفة بالرسول والاقرار بما جاء به من عند الله في الجملة دون تفسير) (٤)

فالايمان عند أبي حنيفة رضي الله عنه هو (التصديق بما علم مجيء النبي صلى الله عليه وسلم به ضرورة تفصيلا في ما علم تفصيلا واجمالا فيما علم اجمالا) (٥)

ولا فرق بين تعريفه للايمان وتعريف كثير من المتكلمين المنتسبين لأهل السنة والجماعة .

والكمال بن الهمام يوضح الايمان عند ابي حنيفة فيقول :

(... وبالقلب واللسان ، وهو منقول عن أبي حنيفة ومشهور عن أصحابه وعن بعض المحققين من الاشاعرة ، قالوا لما كان الايمان لغة ،التصديق ،والتصديق كما يكون بالقلب بمعنى اذعانه وقبوله لما انكشف له ، يكون باللسان بأن يقر بالوحدانية وحقيقة الرسالة ،واذا كان مفهوم الاذعان مركبا من التصديقين ،فيكون كل منهما أي التصديق القلبي والتصديق اللساني ركنا في الباب فلا يثبت الايمان الا بهما الا عند العجز عن النطق) (٦)

---

(١) ص آية : ٢٨ (٢) السجدة : ١٨ (٣) الجاثية : ٢٤ وانظر المختار من كنوز السنة ص ١٦
(٤) مقالات الاسلاميين جا ص ٢٢١
(٥) هامش المقالات نفس الجزء والصفحة تعليق محمد محي الدين .
(٦) الكمال بن الهمام المسايره مبحث الايمان ص ٢ و ٣ .

لم نسب أبو حنيفة الى المرجئة ؟

عاش الامام الأعظم فى عصر هاجت فيه الفتن وماجت ، وتعددت الآراء والمذاهب وخاصة حول مرتكب الكبيرة ، واحتدم الجدل فى ركنية الأعمال وشرطيتها لكمال الايمان فمن رأى ان مرتكب الكبيرة كافر ، كالخوارج ، أو فى منزلة بين المنزلتين كالمعتزلة ، نسب أبا حنيفة الى الارجاء لأنه لم يقل بذلك ، ولأنه لم يدخل الاعمال فى مفهوم الايمان بل أرجأ أمر مرتكب الكبيرة من المؤمنين الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه . والحديث الصحيح يؤيده فيما ذهب اليه . (١)

هذا وأبو حنيفة وإن لم يجعل الأعمال ركنا من الايمان فان الخلاف بينه وبين كثير من السلف ، ليس خلافا جوهريا ، اذ هو متفق معهم فى حكم مرتكب الكبيرة بدون توبة كما أن الجميع متفقون على ان المصدق بقلبه المقر بلسانه المخل ببعض الطاعات مؤمن عاص ، ولأبى حنيفة ما يؤيد مذهبه فى حقيقة الايمان من النصوص ، فالله سبحانه كثيرا ما يعطف العمل على الايمان مما يدل ذلك على المغايرة ، فيقول تعالى ﴿ ان الذين ءامنوا وعملوا الصّٰلحٰت ﴾ (٢)

كما ان محل الايمان القلب والذى يكون فى القلب هو التصديق قال تعالى : ﴿ اولئك كتب فى قلوبهم الايمٰن ﴾ (٣)

وقال عليه الصلاة والسلام (الاسلام علانية والايمان فى القلب) (٤)

ويقول ابن رجب فى شرحه للحديث الذى جمع فيه النبى صلى الله عليه وسلم الاسلام والايمان والاحسان :

---

(١) انظر صحيح البخارى باب الحدود كفارة

(٢) يونس الاية : ٩ (٣) آخر سورة الحشر الاية : ٢٢

(٤) المسند جـ٣ ص١٣٥ وأبو داود كتاب الأدب باب ٣٥ والترمذى كتاب البر وانظر الايمان لابن تيمية ص٤١٠ وانظر ابن رجب : جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم جـ١ ص ٦٢ بتحقيق الاحمدى الى النور ط ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م

" واما الايمان فقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالاعتقادات الباطنة فقال : (أن تؤمن بالله ٠٠) الخ (١)

وجاء الايمان فى كتاب الله تعالى فى مواضع كثيرة بمعنى اعتقاد القلب دون الجوارح مثل قوله ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ (٢)

وقوله تعالى ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من ءامن بالله واليوم الاخر ٠٠ ﴾ (٣) الاية

وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى على الميت يقول فى دعائه : (اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام ومن توفيته فتوفه على الايمان) (٤)

وفى هذا الحديث دليل واضح على ان الايمان هو التصديق لأنه الذى يبقى عند الموت ٠

والفرق ظاهر بين أبى حنيفة والمرجئة لأنه لم يبخس العمل قدره ، ولم يرفعه لمرتبة الركنية التى بانعدامها ينعدم الايمان كما فعلت الخوارج والمعتزلة ٠

(٤) ـ الاشاعرة :

الأشاعرة من أشهر الفرق الاسلامية ، ان لم تكن اشهرها ، وهم اكثر الفرق الاسلامية تماسكا وأقلها اختلافا ، ومع هذا فلم يتفقوا على تعريف للايمان يجمعهم ، حيث فسره بعضهم بالتصديق فقط ، وبعضهم بالتصديق مع الاقرار باللسان ركنا يحتمل السقوط ، وبعض آخر وافق مذهب السلف ٠

ولهذا يقول عنهم الكمال بن الهمام :

(فقيل هو التصديق بالقلب فقط ، وهو المختار من مذهب الأشاعرة) (٥)

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٥٥

(٢) البقرة الاية : ٣ (٣) البقرة الاية : ١٧٧

(٤) الترمذى فى كتاب الجنائز باب ما يقول فى الصلاة على الميت ج٣ ص٣٤٤ وابو داود كتاب الجنائز باب الدعاء ١٨٨/٢

* الذى وافق مذهب السلف هو ابو الحسن الاشعرى حيث يقول : " وان الايمان قول وعمل يزيد وينقص " الابانة للاشعرى ص١١/١٠

(٥) الكمال بن ابى شريف : المسايرة ص١ وانظر المسايرة نفس الصفحة

فجمهور الاشاعرة وعلى رأسهم الباقلانى اكتفوا بالتصديق القلبي فقط فى الايمان وسيأتى قول الباقلانى فى ذلك .

يقول المرحوم الشيخ محمد يوسف فى المراد بالتصديق : " وفسر جمهور الاشاعرة الايمان بالتصديق المعهود شرعا ، وهو تصديق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى كل ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة ،والمراد بالتصديق قبول ما جاء به مع الرضا بترك التكبر والعناد لا مجرد وقوع نسبة الصدق فى القلب من غير اذعان وقبول له) (١)

وقال العينى :

" فرقة قالوا ان الايمان عمل القلب فقط ... وهذا مذهب المحققين كالقاضى عبد الجبار(*) والاستاذ أبى اسحق الاسفراييني ،والحسن بن الفضل وغيرهم ، الا أن القائلين بهذا ذهب محققوهم الى أنه مجرد التصديق بالقلب ،أى تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما علم مجيئه به فى الدين بالضرورة تصديقا جازما مطلقا ،أى سواء اكان لدليل أم لا ، فقولهم مجرد التصديق اشارة الى أنه لا يعتبر فيه كونه مقرونا بعمل الجوارح ، والتقييد بالضرورة لاخراج ما لا يعلم بالضرورة ان الرسول صلى الله عليه وسلم ، جاء به كالاجتهادات ، وكالتصديق بأن الله تعالى عالم بالعلم أو بذاته ، والتصديق بكونه مرئيا أو غير مرئى ، فان هذين التصديقين وأمثالهما غير داخلة فى مسمى الايمان ،فلهذا لا يكفر منكر الاجتهادات بالاجماع ، والتصديق الجازم لاخراج التصديق الظنى فانه غير كاف فى حصول الايمان " (٢)

أما الامام الأشعرى فله عدة تفسيرات للايمان حيث يقول : (ان الايمان هو التصديق لله ولرسله عليهم السلام فى اخبارهم ولا يكون هذا التصديق صحيحا الا بمعرفة) (٣)

---

(١) محمد يوسف الشيخ التعليقات على الجوهرة ص(٢/ ٣٢

(٢) انظر بدر الدين محمد محمود بن احمد العينى الحنفى ، عمدة القارئ شرح صحيح البخارى جا ص ١٢٠ .

(*) لعله يريد الباقلانى فان المعروف عن المعتزلة ان الايمان تصديق وقول و عمل

(٣) ابو منصور عبد القاهر التميمى البغدادى ،أصول الدين ص٤٧ ٢ /٤٨ ٢

فيجعل الاشعرى المعرفة شرطا فى التصديق حتى يكون ايمانا وقال صاحب المغنية :

(اختلف جواب الشيخ أبي الحسن الاشعرى فى معنى التصديق الذى هو تمام حقيقة الايمان ، فقال مرة هو المعرفة بوجود الله تعالى والهيته وقدمه ، وقال مرة : التصديق قول فى النفس ، غير انه يتضمن المعرفة ،ولا يصح دونها وهو الذى ارتضاه الباقلانى) (١)

والباقلانى يعرف الايمان بقوله :

(فان قال قائل خبرونا ما الايمان عندكم ؟

قلنا : الايمان هو التصديق بالله تعالى وهو العلم ، والتصديق يوجد بالقلب فان قال قائل : وما الدليل على ما قلتم ؟ قيل له اجماع أهل اللغة قاطبة على أن الايمان فى اللغة قبل نزول القرآن وبعثة النبى صلى الله عليه وسلم ، هو التصديق ، لا يعرفون ايمانا غير ذلك ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ (٢) أى بمصدق ومنه قولهم :

(فلان يؤمن بالشفاعة) و (فلان لا يؤمن بعذاب القبر) .

أى لا يصدق بذلك فوجب أن يكون الايمان فى الشريعة هو الايمان المعروف فى اللغة ، لأن الله عز وجل ما غير لسان العرب ولا قلبه ،ولو فعل ذلك لتواترت الأخبار بفعله ،وتوفرت دواعى الأمة على نقله ، ولغلب اظهاره واشهاره على طيه وكتمانه ، وفى علمنا بأنه لم يفعل ذلك ،بل أقر أسماء الأشياء ، والتخاطب بأسره على ما كان فيها ، دليل على أن الإيمان فى الشرع هو الإيمان اللغوى ، ومما يدل على ذلك ويبينه قوله تعالى ﴿ وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ﴾ (٣)

---

(١) المسايرة مبحث الايمان ص ٢٢ ، ٢٣ وانظر الايمان لابن تيمية ص ١٢٦

(٢) يوسف الاية : ١٧ (٣) ابراهيم الاية : ٤

وقوله تعالى ﴿ انا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ (١)

فخبر أنه أنزل القرآن بلغة القوم ،وسمى الأشياء بتسمياتهم ،فلا وجه للعدول بهذه الايات عن ظواهرها وسيما مع قولهم بالعموم وحصول التوقيف على ان الخطاب بلغتهم .

فدل ما قلناه : على أن الايمان ما وصفناه دون سواه من سائر الطاعات من النوافل والمفروضات . (٢)

اعتراض شيخ الاسلام :

ويبدو أن هذا التعريف الرصين العبارات ، الذى جعله محققو الأشاعرة بمثابة حجر الزاوية لمعتقدهم الايمانى لم يرض ابن تيمية فناقشه مناقشة قوية فى كتابه (الايمان) ونلخص قوله الذى انتقد به ما ذهب اليه الباقلانى وهو عبارة عن أسئلة وجهها للباقلانى وأجاب عليها بما يضعف حجته ان لم يدحضها . واليك ما قاله ابن تيمية رحمه الله .

من نقل هذا الاجماع ؟ وفى أى كتاب ذكر ؟

أتعنى بأهل اللغة نقلتها كأبى عمرو ،والأصمعى والخليل ؟

أو المتكلمين ؟

فان كان الأول : فهؤلاء لا ينقلون كل ما كان قبل الاسلام باسناد ، وانما ينقلون ما سمعوه من عرب زمانهم ، وما سمعوه فى دواوين الشعر وكلام العرب وغير ذلك بالاسناد ولا نعلم فى ما نقلوه لفظ الايمان ، فضلا عن أن يكونوا أجمعوا عليه ، ولا يعرف عن هؤلاء ولا عن بعضهم أنهم قالوا : الايمان فى اللغة هو التصديق ،وان قدر انه قال واحد أو اثنان فليس هذا اجماعا وان هؤلاء لا ينقلون عن العرب انهم قالوا معنى هذا اللفظ ، كذا وكذا ، ولو قدر أنهم نقلوا كلاما عن العرب يفهم منه أن الايمان هو التصديق ،

---

(١) الزخرف الاية : ٣

(٢) انظر الباقلانى : التمهيد ص٣٤٦/٣٤٧ وانظر الانصاف ص٥٥/٥٦

لم يكن أبلغ من نقل المسلمين القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تذكر شاهدا من كلام العرب على ما ادعت عليهم — بل استدللت على ادعائك بألفاظ لم تكن مألوفة لدى العرب قبل نزول القرآن كقولك فلان يؤمن بالشفاعة وفلان يؤمن بعذاب القبر ، وهذا مما تكلم به الناس بعد عصر الصحابة .

ولو فرض أن الايمان في اللغة هو التصديق فمعلوم أنه ليس التصديق بكل شيء بل التصديق بشيء مخصوص ، وهو ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون الايمان الشرعي أخص من الايمان اللغوي ، وأن القرآن الكريم ليس فيه ذكر ايمان مطلق غير مفسر ، بل لفظ الايمان فيه اما مقيد واما مطلق .

فالمقيد كقوله تعالى ﴿ يؤمنون بالغيب ﴾ (١)

وأما المطلق المفسر كقوله تعالى ﴿ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ (٢)

وكل ايمان مطلق في القرآن ، فقد بين فيه انه لا يكون الشخص مؤمنا الا بالعمل مع التصديق ، والقرآن الكريم والسنة المطهرة مملوءان بما يدل على أن الشخص لا يثبت له حكم الايمان الا بالعمل مع التصديق ، واذا كان الشارع قد خاطب الناس بلغة العرب ، فانما خاطبهم بلغتهم المعروفة ، وقد جرى عرفهم أن الاسم يكون مطلقا وعاما ، ثم يدخل فيه قيد أخص من معناه كما يقولون اذهب الى القاضي ، يريدون شخصا معينا دلت عليه اللام مع معرفتهم به .

فبتقدير أن يكون في لغتهم التصديق ، فانه قد بين أني لا اكتفي بتصديق القلب واللسان ، فضلا عن تصديق القلب وحده ، بل لا بد من أن يعمل بموجب ذلك التصديق كما في قوله تعالى :

---

(١) البقرة الاية : ٣

(٢) الانفال الاية : ٢

﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ (١)

وقد بين لهم أن التصديق الذى لا يكون الرجل مؤمنا الا به ، هو أن يكون تصديقا على هذا الوجه ، أما قولك :

(فان الله ما نقل لسان العرب ، ولا قلبه ، ولو فعل ذلك لتواتر فى الأخبار) .

فنقول : نعم قد نقل وغير ، وقد تواترت الأخبار أنه أراد بالصلاة والزكاة والصوم والحج معانيها المعروفة شرعا يعنى نقل الفاظها عن حقائقها اللغـوية .

فكذلك الايمان ، نقله عن حقيقته ، وأراد به ما بينه بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى :

﴿ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (٢)

واذا كان سبحانه قد أنزل القرآن بلغة العرب ، فالتصديق كما يكون بالقلب يكون باللسان ، وليس التصديق مجرد العلم ، ولهذا لم يجعل الله تعالى أحدا مصدقا للرسل بمجرد العلم والتصديق الذى فى قلبه حتى يصدقهم بلسانه ، ولا يوجد فى كلام العرب أن يقال :

فلان صدق فلانا أو كذبه اذا كان يعلم بقلبه أنه صادق أو كاذب ، ولم يتكلم بذلك . (٣)

ولكن مع هذا يظهر ان الخلاف بين الباقلانى — وقد تبع فى حقيقة الايمان مذهب أبى حنيفة — وابن تيمية خلاف لفظى — أى حول لفظ الايمان

---

(١) الحجرات الاية : ١٥ (٢) الانفال الايت : ٢:٣

(٣) انظر ابن تيمية كتاب الايمان ص ١٠٤/١١٧

عند الاطلاق — فالباقلانى يرى أن الايمان اذا كان فى اللغة بمعنى التصديق كان فى الشرع أيضا بهذا المعنى ، ذلك أن دخول الاعمال فى حقيقة الايمان يستدعى النقل الى معنى آخر ، والنقل خلاف الأصل غاية ما فى الأمر انه التصديق بنسب خاصة هى الأحكام التى جاء بها النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه ، وعلم أنها من دينه بالضرورة ، أى اشتهر العلم بمجيئها بحيث أصبح يستوى فيه العامة والخاصة ، من غير حاجة الى نظر واستدلال اجمالا فيما علم اجمالا ، وتفصيلا فيما علم تفصيلا .

واذا كان الايمان شرعا هو التصديق كما وضح ذلك ، فالمراد به التصديق القلبى ، أى اذعان القلب وجزمه مع القبول والرضا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، بحيث يطلق عليه اسم التسليم ، فلا يمتنع صاحبه من اظهار تصديق النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن صدق بقلبه وجحد بلسانه ، أو أبى التصديق مع القدرة عليه لا يكون مؤمنا فالباقلانى لا يقول بمجرد علم القلب بحقيقة ما جاء به الرسول وانما يعنى بالتصديق القلبى اذعانه وقبوله وبمجرد هذا الاذعان والقبول القلبيين يحصل الايمان ، بحيث لو مات قبل أن يعمل دخل الجنة ان شاء الله ، أو ترك العمل كسلا لا جحودا لا يخلد فى النار .

وبهذا نفسه يقول ابن تيمية ، لأنه لا ينفى عن المخل ببعض الطاعات الواجبه ، مطلق ايمان ، وانما ينفى الايمان المطلق الذى ينجى صاحبه من النار ولذا يقول :

(... واما ان عنى التصديق الذى لم يحصل معه عمل فهو ناقص كالمعدوم فهذا صحيح) (١)

وهذا ما قصده الباقلانى اذ يقول :

(واعلم أن محل التصديق القلب ، وهو ان يصدق القلب ، بأن الله اله واحد ، وان الرسول حق ، وان جميع ما جاء به الرسول حق) .

---

(١) الايمان ص١١٣

وما يوجد في اللسان وهو الاقرار ،وما يوجد في الجوارح وهو العمل ، فانما ذلك عبارة عما في القلب ،ودليل عليه ويجوز أن يسمى ايمانا حقيقة على وجه وايمانا مجازا على وجه ،ومعنى ذلك أن العبد اذا صدق قلبه بما قلنا ، وأقر بلسانه وعمل بجوارحه فهو المؤمن الحقيقي عند الله وعندنا ، وأما من كذب بقلبه وأقر بلسانه ، وعمل الطاعات بجوارحه فهذا ليس بمؤمن حقيقة وانما هو مؤمن مجازا لأن ذلك يمنع دمه وماله في أحكام الدنيا ،لأنه مؤمن من حيث الظاهر وهو عند الله غير مؤمن والدليل على صحة ذلك قوله تعالى :

﴿ اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ﴾ (١)

فأخبر سبحانه بكذبهم ونحن نعلم وكل عاقل ، أنه ما كذب اقرار ألسنتهم ،وانما كذب اقرار قلوبهم حيث ابطنوا خلاف ما أظهروا ،لأن الأخرس المصدق بقلبه ايمانه صحيح ، وان كان لا يقدر على النطق والاقرار بلسانه وكذلك بالعكس من هذا فان المصدق بقلبه مؤمن عند الله تعالى ،وان نطق بالكفر يدل على صحة ذلك قوله تعالى :

﴿ من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا ﴾ (٢)

فأخبر ان نطق اللسان بالايمان لا ينفع مع اصرار القلب على الكفر ، واقرار اللسان بالكفر لا يضر مع تصديق القلب ، واعلم بأننا ان نطلق القول ، بأن الايمان عقد بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان على ما جاء في الأثر ،لأنه صلى الله عليه وسلم ،انما أراد بذلك أن يخبر عن حقيقة الايمان الذي ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة ،لأن من أقر بلسانه وصدق بقلبه وعمل أركانه ،حكمنا له بالايمان وأحكامه في الدنيا من غير توقف ولا شرط وحكمنا له أيضا بالثواب

---

(١) المنافقين الاية :١ (٢) النحل الاية :١٠٦

فى الآخرة وحسن المنقلب من حيث شاهد الحال ، وقطعنا له بذلك فى الاخرة بشرط أن يكون فى معلوم الله تعالى ، انه يحييه على ذلك ويميته عليه .

ولو أقر بلسانه وعمل بأركانه ولم يصدق بقلبه نفعه ذلك فى أحكام الدنيا ولم ينفعه فى الآخرة وقد بين ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله :

(يا معشر من آمن بلسانه ولما يدخل الايمان فى قلبه) (١)

وكثيرا ما نجد أن لغة القرآن الكريم تستعمل الايمان وتريد به المعنى اللغوى بدون تصرف فيه فيراد منه مطلق التصديق سواء أكان هذا التصديق بحق أو باطل ، وضابط الأمر فى ذلك أن ننظر الى الموضع الذى يذكر فيه الايمان هل له فى الكلام متعلق خاص تعدى هو اليه بالباء او اللام ام ذكر مجردا عن المتعلق ، فاذا وجد متعلقا بأن قيل ايمان بكذا أو ايمان لكذا عرف أن المراد منه معناه اللغوى البحت ، أى مطلق التصديق والانقياد لما تعلق به ، سواء اكان التصديق بحق أم باطل كقوله تعالى :

﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ﴾ (٢)

وقوله سبحانه ﴿ والذين ءامنوا بالباطل وكفروا بالله ﴾ (٣)

فالباقلانى يوافق ابن تيمية فى أن الايمان المنجى من النار هو الذى يدخل فى مسماه العمل ، كما يوافقه على ان من أقر بلسانه وكذب بقلبه منافق ليس بمؤمن عند الله ، وان أجريت عليه أحكام المؤمنين فى الدنيا لأننا مأمورون بالحكم بالظاهر .

ويوافقه فى أن المؤمن العاصى غير مخلد فى النار بما معه من ايمان القلب وتصديقه ، وان ايمان القلب ليس هو مجرد العلم بالله ، بل هو اذعان مع الرضا والقبول والتسليم و وبهذا يتبين اتفاقهما فى الأحكام وأن الخلاف فى الايمان اذا أطلق هل يدخل فيه الأعمال أو لا قال بالأول ابن تيمية وكثير من السلف وقال بالثانى الأشاعرة .

---

(١) أبو داود كتاب الأدب ، ٤ ح ٤٨٨٠ وانظر الانصاف ص٥٥/٥٦
(٢) البقرة اية :٢٥٦
(٣) انظر المختار من كنوز السنة ص ٧٢ ، العنكبوت الاية : ٥٢

(٥) — مذهب السلف :

الإيمان عند السلف هو جميع الطاعات فرضها ونفلها، وهو التصديق بالجنان والاقرار باللسان، والعمل بالأركان، وعلى هذا اكثر الأئمة، مالك، والشافعى، وأحمد، والأوزاعى، وإسحق بن راهوية، وسائر أهل الحديث، وأهل المدينة رحمهم الله، وأهل الظاهر، وجماعة من المتكلمين. (١)

وأخذ بمذهب السلف، أهل الأثر، فقالوا : الإيمان جميع الطاعات فرضها ونفلها، وعبروا عنه بأنه اتيان ما أمر الله به فرضا ونفلا والانتهاء عما نهى الله عنه تحريما وأدبا (٢)

وقال الإمام البخارى رحمه الله :

" لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف فى أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص محتجين على ذلك بالعقل والنقل " (٣)

فالإيمان عند السلف مجموع ثلاثة أشياء تصديق بالقلب، واقرار باللسان وعمل بالجوارح ومن هذه الأركان ما يزول الايمان بزواله كالتصديق أو الاقرار مع القدرة عليه، ومنها ما لا يزول بزواله كالعمل بالجوارح.

وقال الامام أبو الحسن على بن خلف بن بطال المالكى فى شرح صحيح البخارى مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الايمان قول وعمل يزيد وينقص (٤)

وقال عبد الرزاق :

(سمعت من أدركت من شيوخنا، واصحابنا سفيان الثورى، ومالك بن أنس، وعبيد الله بن عمر، والأوزاعى، ومعمر بن راشد، وابن جريج، وسفيان ابن عيينه، يقولون :

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص٣٧٣
(٢) انظر كتاب الايمان لابن تيمية ص١٢٤ / ١٢٥
(٣) التعليقات على الجوهرة ص٤١ / ٤٢
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١ ص ١٤٦ بيروت

الايمان قول وعمل ،يزيد وينقص وهذا قول ابن مسعود ،وحذيفة والنخعى ، والحسن البصرى وعطاء وطاوس ، ومجاهد وعبدالله بن المبارك.(١) لأن لفظ الايمان اذا أطلق فى الكتاب والسنة أريد به ما يراد بلفظ التقوى وبلفظ الدين فان النبى صلى الله عليه وسلم بين أن الايمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق ،فكان كل ما يحبه الله داخلا فى اسم الايمان ،وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك اذا أطلق .

وروى انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فأنزل الله تعالى :

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب .. ﴾ الآية

وقد روى مرفوعا أن النبى صلى الله عليه وسلم فسر البر بالايمان .

قال محمد بن نصر :

حدثنا اسحق بن ابراهيم ،حدثنا عبدالله بن يزيد ، قال : حدثنا المسعودى عن القاسم قال : جاء رجل الى أبى ذر فسأله عن الايمان فقرأ :

﴿ ليس البر ... ﴾ الآية فقال الرجل : ليس عن البر سألتك فقال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن الذى سألتنى فقرأ عليه الذى قرأت عليك فقال له الذى قلت لى .(٢)

فالايمان عند السلف كما تقدم جميع الطاعات، والتصديق أصله، وله شعب كثيرة ،وكل شعبة منها تسمى ايمانا ، فمنها الباطن كأعمال القلب :

النية ، والتوكل ، والاخلاص ، والانابة ... الخ

ومنها الظاهر :

كالصلاة — كما قال تعالى فيها ﴿ وما كان الله ليضيع ايمانكم ﴾ (٣) أى صلاتكم — والزكاة ... الخ حتى اماطة الأذى عن الطريق .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١ ص١٤٦ بيروت
(٢) كتاب الايمان لابن تيمية ص ١٥٢/١٥٣
(٣) البقرة الآية ١٤٣

وهذه الشعب منها ما يزول الايمان بزواله كالشهادتين مع القدرة ، ومنها ما لا يزول بزواله ، وهي متفاوتة تفاوتا عظيما ، منها ما يلحق بشعبة الشهادتين فيكون اليهما أقرب ، ومنها ما يلحق بشعبة اماطة الأذى ويكون اليها أقرب . (١)

٤ـ زيادة الايمان ونقصانه :

واختلافهم في زيادة الايمان ونقصانه كاختلافهم في حقيقته . فأبو حنيفة وأصحابه وكثير من المتكلمين قالوا :

ان الايمان وقد فسر بالتصديق الجازم والاذعان لا يتصور احتماله الزيادة والنقصان باحتمال النقيض فاحتماله ينافي الجزم والاذعان .

والى هذا ذهب محققو الأشاعرة ، وقالوا ان الزيادة والنقص تكون في القول والعمل دون التصديق . (٢) والى هذا ذهب القاضي الباقلاني اذ يرجع الزيادة والنقص الى القول والعمل دون التصديق لأن التصديق عنده متى انحزم منه أدنى شيء بطل الايمان ، وان المصدق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، اذا ترك فرضا من الفرائض لا يوصف بالكفر مع كمال التصديق ، ولكن بالعكس اذا فعل كل الطاعات وصدق بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأقر بجميع الواجبات الا واحدا كحرمة الخمر مثلا وان لم يشربها فقد انسلخ من الايمان فلا تنفعه الطاعة بعد انخرام التصديق فلهذا القول تجوز زيادة الايمان ونقصه من طريق الأعمال دون التصديق ، وقد بين ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله :

(لا يكمل ايمان العبد حتى يأمن جاره بوائقه) (٣)

---

(١) انظر الامام شمس الدين محمد بن ابي بكر المعروف بابن قيم الجوزية رسالة الصلاة ضمن مجموعة الاحاديث النجدية ص ٥١٣ ط المكتبة السلفية بدون تاريخ .

(٢) انظر التعليقات على الجوهرة ص ٤٢ والحواشي البهية جـ١ ص ١٧٩

(٣) البخاري ، كتاب فضائل الصحابة حديث ٣٦٧٣

وأراد بذلك الكف عن الأذى ، ولم يرد التصديق لأنه لو استحل أذاه لم يكن له ايمان لا زائد ولا ناقص والزيادة والنقصان أيضا من حيث الحكم لا من حيث الصورة ،فيرجع ذلك الى الثواب والجزاء ،والمدح والثناء دون نقص و زيادة فى التصديق من حيث الصورة ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة .

اما الكتاب فقوله تعالى :

﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل اولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ، والله بما تعملون خبير﴾ (١)

ولم يرد أن تصديق من آمن من قبل الفتح ،يزيد على تصديق من آمن من بعد الفتح ،لأن كل واحد من حيث الصورة مصدق بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لكن تصديق اولئك أكمل من حيث الحكم والثواب والدرجة لأن هذا يصدق بشيء لا يصدق به الآخر .

أما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم :

(لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) (٢)

و معلوم أن انفاق مثل أحد ذهبا ، ما أنفقه أحد من الصحابة ، لكن ايمانهم و نفقتهم فى الحكم والثواب والجزاء والدرجة أزيد واكمل من نفقة غيرهم فهى وان كانت فى الصورة اكثر لكنها انقص من حيث الحكم لا من حيث العين ، فاعلم حكم ذلك وتحققه . (٣)

والكلام الذى ساقه الباقلانى نلحظ فيه أن الايمان من حيث هو التصديق القلبى متفاوت ولأن الصحابة كما قال معلوم لم ينفق أحدهم مثل أحد ذهبا ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم ، يؤكد لمن جاء بعدهم أن من ينفق مثل أحد

---

(١) الحديد الاية : ١٠

(٢) البخارى : فضائل الصحابة و مسلم : الفضائل ح ٢٢٢/٢٢١ وابو داود السنة

(٣) انظر الانصاف ص ٥٧/٥٨

لا يساوى مد أحدهم ولا نصيفه ،فلو كانت العبرة بالعمل دون التصديق لكان الفضل لمن عمل اكثر ، ومما لا شك فيه أن نفقة مثل أحد ذهبا أعظم من المد ونصفه .

قال البيضاوى فى معنى هذا الحديث :

(لا ينال أحدكم بانفاق مثل أحد ذهبا من الفضل والأجر ما ينال احدهم بانفاق مد طعام أونصيفه ، وسبب التفاوت ما يقارن الافضل من مزيد الاخلاص وصدق النية) (١)

فقصر بهذا القول الأفضلية الى عمل القلب .

(ب) — المعتزلــــة :

والمعتزلة يرون زيادة الايمان بزيادة الاعمال كمذهب الأشاعرة . (٢)

(ج) — السلف :

قال البخارى : (باب زيادة الايمان ونقصانه وقول الله تعالى ﴿ وزدناهم هدى ﴾ (٣) وقوله تعالى ﴿ ويزداد الذين ءامنوا ايمنا ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ (٥) فاذا ترك شيئا من الكمال فهو ناقص ، حدثنا مسلم بن ابراهيم ،قال حدثنا هشام ، قال : حدثنا قتادة عن أنس رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ،قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله ، وفى قلبه وزن برة من خير ،ويخرج من النار من قال : لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير — قال أبو عبدالله ،وقال أبان : حدثنا أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم من ايمان مكان خير) . (٦)

---

(١) ابن حجر ،فتح البارى جـ٧ ص٣٤ المكتبة السلفية .

(٢) عبدالجبار بن احمد ،المختصر فى اصول الدين ضمن مجموعة رسائل العدل والتوحيد جـ١ ص ٢٤٧ ط مؤسسة الهلال سنة ١٩٧١

(٣) الكهف : ١٣ (٤) المدثر : ٣١ (٥) المائدة : ٣

(٦) البخارى ، باب زيادة الايمان ونقصانه .

والايات فى هذا المعنى كثير نسوق ذكر بعض منها قال تعالى :

﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وءاتٰهم تقوىهم ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ والذين جٰهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ﴾ (٢)

وقال عز من قائل ﴿ يا أيها الذين ءامنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ (٣)

وقال تعالى ﴿ فأما الذين ءامنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون ﴾ (٤)

وقال تعالى ﴿ هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ﴾ (٥)

وهذه الآيات نصوص صريحة فى أن الايمان يزيد وينقص كما استدل بها البخارى رحمه الله فلا وجه معها للاختلاف فى زيادة الايمان ونقصانه فالايمان كما يزيد بزيادة ما يؤمن به ، وكما يزيد وينقص على تقدير أن الاعمال داخلة فى مفهومه فهو يقوى ويضعف لو كان بمعنى التصديق القلبى بكثرة الأدلة وقوتها ، كما يقوى بصدور الاعمال الصالحة عنه وملازمتها وليس التصديق عن عيان كالتصديق عن سماع ، فما راء كمن سمع ، والله أعلم .

المبحث الثانى: فى الطريق الى الولاية ، العبادة :

لقد سبق القول ، بأن باب الدخول الى الولاية هو الايمان بالله ، وهو الدعامة الأولى التى تقوم عليها الولاية ، وسبق كذلك ان ذكرنا مذاهب العلماء فى الايمان ، وبينا ان مذهب السلف الايمان قول وعمل ، أو هو تصديق بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان ، وفرقنا بين مذهبهم ومذاهب غيرهم ، فاذا كان الايمان يجمع هذه الأمور الثلاثة ، كان العمل الصالح احدى الدعائم التى تقوم عليها الولاية .

---

(١) سورة محمد صلى الله عليه وسلم الاية : ١٧ (٢) العنكبوت : ٦٩
(٣) الانفال : ٢٩ (٤) التوبة : ١٢٤ (٥) الفتح : ٤

قال عبد الرزاق :

(فالمعنى الذى يستحق به العبد المدح والولاية ، هو اتيانه بهذه الأمور الثلاثة ، التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح)(١)

فالولاية لا تتحقق الا بتحقق العبودية لله تعالى ، فما العبادة ؟

العبادة لغـة :

أصل العبادة : التذلل من قولهم : طريق معبد ، أى بكثرة الوطء عليه ومنه أخذ العبد لذلة لمولاه .

والعبادة ، والخضوع ، والتذلل ، والاستكانة قرائب فى المعانى .

يقال : تعبّد فلان لفلان ـ اذا تذلل له ، وكل خضوع ليس فوقه خضوع فهو عبادة ، طاعة كان للمعبود أو غير طاعة .

وكل طاعة لله على وجه الخضوع والتذلل فهى عبادة .

والعبادة : نوع من الخضوع لا يستحقه الا المنعم بأعلى اجناس النعم ، كالحياة والفهم ، والسمع والبصر والشكر ، والعبادة لا تستحق الا بالنعمة(٢)

وفى الصحاح : أصل العبودية : الخضوع والذل والتعبيد : التذليل ، يقال : طريق معبد ، والبعير المعبد ، المهنوء بالقطران المذلل ، والعبادة : الطاعة ، والتعبد : التنسك(٣) .

وفى التهذيب :

ومعنى العبادة فى اللغة : الطاعة والخضوع ومنه قوله تعالى :

﴿ اياك نعبد ﴾(٤) : اياك نوحد ، والعابد : الموحد (٥) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١ ص١٤٧

(٢) المخصص جـ١٣ ص٩٦

(٣) الصحاح فى اللغة والعلوم ، تجديد صحاح العلامة الجوهرى جـ٢ ص٧٣ دار الحضارة بيروت

(٤) الفاتحـة : ٤

(٥) أبو منصور محمد بن احمد الازهرى ، تهذيب اللغة جـ ٢ ص٢٣٤ بتحقيق محمد على النجار ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة .

وقال فى لسان العرب :

العبد : الانسان حرا كان أو رقيقا ،يذهب بذلك أنه مربوب لبارئه جل وعز ،وفى حديث عمر فى الفداء (مكان عبد عبد) ،كان من مذهب عمر رضى الله عنه فيمن سبى من العرب فى الجاهلية ،وأدركه الاسلام وهو عند من سباه ، أن يرد حرا الى نسبه ،وتكون قيمته عليه يؤديها الى من سباه ،فجعل مكان كل رأس منهم رأسا من الرقيق ... وقوله تعالى : ﴿ اياك نعبد ﴾ أى نطيع الطاعة التى تخضع معها ،وقيل اياك نوحد ، قال : ومعنى العبادة فى اللغة : الطاعة مع الخضوع .(١)

قال المودودى(*) بعد أن سرد ما أورده ابن منظور فى معنى العبادة :

ويتضح من هذا الشرح اللغوى لمادة ـ (ع ـ ب ـ د) ـ أن مفهومها الأساس أن يذعن تل المرء لعلاء أحد وغلبته ، ثم ينزل عن حريته واستقلاله ،ويترك ازاءه كل المقاومة والعصيان وينقاد له انقيادا ، وهذه هى حقيقة العبدية والعبودية .(٢)

العبادة شرعا :

أما مفهوم العبادة فى الشرع فهو أخص من مفهومه اللغوى ، فابن تيمية يضيف معنى جديدا لمفهومها اللغوى فيقول :

والعبادة : أصل معناها الذل ، يقال : طريق معبد ،اذا كان مذللا قد وطأته الأقدام .

لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل مع معنى الحب ، فهى تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له ... ومن خضع لانسان مع بغضه له لا يكون عابدا له ،ولو أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا له.(٣)

---

(١) لسان العرب جـ٤ ص٢٥٩ ـ ٢٦٢ طبعة مصورة عن مطبعة بولاق المؤسسة المصرية للطباعة .

(*) ابو الاعلى المودودى امير الجماعة الاسلامية بباكستان توفى عام ١٣٩٩هـ رحمه الله

(٢) انظر المصطلحات الاربعة فى القرآن الكريم ص١٠٣ ـ دار التراث العربى

(٣) انظر العبودية لابن تيمية ص٩/١٠ بتحقيق محمد حامد الفقى ط انصار السنة ١٣٦٩هـ/١٩٤٧م

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله سبحانه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الرحم والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله والاحسان الى اليتيم والجار والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر وقراءة القرآن وما شابه ذلك من العبادة بل وأكثر من هذا ، فهي تشمل حياة المرء كلها فتدخل فيها المباحات من أكل وشرب ونوم اذا استحضرت نيّة القربة ، قال صلى الله عليه وسلم :

(اذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة) (١)

وقال عليه السلام (وفي بضع* أحدكم صدقة) (٢)

وعندئذ يتحقق قوله تعالى :

﴿ يذكرون الله قيامًا وقعودا وعلى جنوبهم ﴾ (٣)

فالعبادة تشمل الدين كله والحياة كلها فتحقق الغاية المحبوبة المطلوبة له تعالى ، التي أرسل بها جميع الرسل (٤) وخلق الخلق من أجلها كما قال تعالى :

﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ (٥)

ولا يلزم من خلقهم لهذه الغاية وجودها من الكل فالمراد : وما خلقتهم الا مريدا عبادتهم ارادة دينية ، والارادة الدينية لا تستلزم وقوع المراد .

---

(١) البخاري الايمان ومسلم ح (١٠٠٢)

(٢) مسلم حديث رقم ١٠٠٦

(٣) آل عمران : ١٩١

* البضع : الجماع

(٤) انظر العبودية لابن تيمية ص٤

(٥) الذاريات : ٥٦

أداء الفرائض :

وأحب ما يتقرب به العبد الى الله تعالى أداء الفرائض ،واجتناب النواهى ، ولقد جاء فى حديث الباب :

(وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضت عليه) .

فاستفيد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال الى الله تعالى ،وهو أفضل الأعمال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

(أفضل الأعمال أداء ما افترض الله والورع عما حرم الله ، وصدق النية فيما عند الله) .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

(أفضل العبادات أداء الفرائض واجتناب المحارم ، وذلك أن الله تعالى ، انما افترض على عباده هذه الفرائض فيقربهم عنده ويوجب لهم رضوانه ورحمته) . (١)

ويدخل تحت هذا اللفظ جميع الفرائض العينية التى فرضها الله على العبد ابتداء كالصلاة والصوم والكفائية كالصلاة على الميت اذا وجد من يقوم بها .

أما ماوجب بايجاب العبد له على نفسه ، فقد قال ابن حجر : وظاهره الاختصاص بما فرضه الله ابتداء وقال فى دخول ما فرضه المكلف على نفسه نظـر للتقييد بقوله : (افترضت عليه) الا ان أخذ من جهة المعنى الأعم ، فالمعنى الأعم يشمل ما فرضه الله ابتداء وما فرضه على العبد لالزام العبد نفسه به ،فالوفاء بالنذر واجب يدخل تحت قوله تعالى : (افترضت) قال الله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ﴾ (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : (من نذر أن يطيع الله فليطعه) (٣)

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٣١٦

(٢) الانسان : ٧

(٣) البخارى كتاب الايمان وانظر ابا داود والترمذى كتاب الايمان

وفى الاتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترام الآمر وتعظيمه بالانقياد اليه واظهار عظمة الربوبية وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل. (١)

ومن أعظم فرائض الله تعالى الانتهاء عن المعاصى وعدم تعدى حدود الله التى من تعداها كان عليه من العقوبة ما ذكره الله سبحانه فى كتابه العزيز، ولا خلاف أن الله افترض على العباد ترك كل معصية كائنة ما كانت وكان ترك المعاصى من هذه الحيثية داخلا تحت عموم قوله تعالى :

﴿ وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الىّ مما افترضت عليه ﴾.

بل دخول فرائض الترك للمعاصى أولى من دخول فرائض الطاعات كما يدل عليه حديث :

(اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شىء فلا تقربوه (٢)) (٣)

وأعظم الفرائض التى تقرب اليه تعالى الصلاة كما قال تعالى :

﴿ واسجد واقترب ﴾ (٤)

وقال صلى الله عليه وسلم :

(أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) (٥)

وقال : (فان الله ينصب وجهه لعبده فى صلاته ما لم يلتفت) (٦)

---

(١) انظر الفتح جـ١١ ص ٣٤٣

(٢) البخارى الاعتصام ومسلم : الفضائل والحج

(٣) انظر قطر الولى ص٣٥٢

(٤) العلق : ١٩

(٥) صحيح مسلم كتاب الصلاة ،باب ما يقال فى الركوع والسجود ح رقم ٤٨٣ وانظر صفة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم ص١٥٦

(٦) جامع العلوم ص٣١٦ وصفة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم ص٨١ عزاه الى الحاكم والترمذى مصححا .

ولهذا جاء الحث على المحافظة عليها وادائها في وقتها قال تعالى :

﴿ حـٰفظوا على الصلوات والصلـوٰة الوسطى ﴾ (١)

وأمر باقامتها ولم يأمر بأدائها فقط ، قال تعالى :

﴿ وأقيموا الصلوٰة وءاتوا الزكـوٰة ﴾ (٢)

وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم الى أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد ، روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وسوقه بضعا وعشرين درجة ، وذلك أن احدكم اذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم أتى المسجد لا ينهزه الا الصلاة ، لا يريد الا الصلاة ، فلم يخط خطوة الا رفع له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة ، حتى يدخل المسجد فاذا دخل المسجد كان في الصلاة ، ما كانت الصلاة تحبسه ، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون : اللهم ارحمه ، اللهم اغفرله ، اللهم تب عليه ما لم يؤذ يه ، ما لم يحدث فيه " (٣)

وكان عمر بن الخطاب يكتب الى عماله :

(ان أهم أمركم عندي الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها ، حفظ دينه وأتامه ، ومن ضيعها فهو لما سواها من عمله أشد اضاعة) (٤)

وهي اول ما أوجبه الله من العبادات ، حيث تولى ايجابها بمخاطبة نبيه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج . (٥)

---

(١) البقرة الاية : ٢٣٨

(٢) البقرة الاية : ٤٣

(٣) صحيح مسلم باب فضل صلاة الجماعة وانظر مسلم بشرح النووي جه ص ١٦٥ / ١٦٦ .

(٤) عقيدة أهل السنة والفرقة الناجية ص٦١

(٥) انظر صحيح البخاري كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلاة .

وهى آخر ما أوصى به النبى صلى الله عليه وسلم أمته وقت فراق الدنيا ، حيث جعل يقول : (الصلاة ، الصلاة ، وما ملكت ايمانكم) (١) ، وهى أول ما يحاسب عليه العبد من عمله ، وآخر ما يفقد من الدين ، فاذا ذهبت ذهب الدين كله ، وهى عمود الدين فمتى ذهبت سقط الدين قال النبى صلى الله عليه وسلم :

(رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله) (٢)

ولقد عظمها الله سبحانه وتعالى على جميع العبادات ، فانه سبحانه يخصصها بالذكر : ﴿ وأقم الصلوة لذكرى ﴾ (٣) ويقرنها بالزكاة ﴿ وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة ﴾ (٤) وتارة يقرنها بالصبر ﴿ واستعينوا بالصبر والصلوة ﴾ (٥) وتارة بالنسك ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ (٦) ﴿ قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العلمين ﴾ (٧)

وتارة يفتتح بها اعمال البر ويختمها بها كما فى سورة المؤمنين وسورة المعارج لأنها اساس القربة ووسيلة التجارة ، وباب محبة الله سبحانه ، وسبب دخول الجنة . (٨)

أخرج البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

(سألت النبى صلى الله عليه وسلم ، أى العمل أحب الى الله ، قال الصلاة لوقتها) (٩)

---

(١) المسند ج ٦ ص ٢٩٠ وانظر عقيدة اهل السنة والفرق الناجية ، ابن تيمية ص٦١/ مكتبة انصار السنة .

(٢) الترمذى كتاب الايمان ٨

(٣) طه : ١٤

(٤) البقرة : ١١٠

(٥) البقرة : ٤٥

(٦) الكوثر : ٢

(٧) الانعام : ١٦٢

(٨) انظر عقيدة اهل السنة ص٦٣

(٩) البخارى كتاب مواقيت الصلاة باب فضل الصلاة .

والصلوات الخمس مطهرة للمؤمن ، وقد شبهها الرسول صلى الله عليه وسلم بالنهر الجارى ، يغتسل منه فى اليوم والليلة خمس مرات .

حيث يقول صلى الله عليه وسلم :

(أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ، ما تقول ذلك ، يبقى من درنه قالوا : لا يبقى من درنه شيئا ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) (١)

وعن أبـى عبد الله جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما : (أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت اذا صليت المكتوبات وصمت رمضان واحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئا أأدخل الجنة؟ قال : نعم . قال : والله لا أزيد على ذلك شيئا) (٢)

فأداء الفرائض هو المطلوب اولا وقبل كل شئ والصلاة ركـن هام من اركان الاسلام لاشتمالها على كثير من القربات ، كالشهادتين وقراءة القرآن والدعاء الذى هو مخ العبادة ، فاذا حافظ الانسان عليها كانت له نجـــاة من النار ، والزكاة مطهرة للنفس من شحها وصيانة للمجتمع من التفكك وتطهير له من الحسد ، قال تعالى :

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهـرهم وتزكيهم بها ﴾ (٣)

والصيام وسيلة لتقوى الله عز وجل وتربية للنفس على تحمل المشاق اذ كان لا بد فيه مع الامساك عن الطعام والشراب ، من الامساك عما حرم الله ، قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (٤)

---

(١) البخارى كتاب مواقيت الصلاة باب الصلوات الخمس كـفارة .
(٢) مسلم كتاب الايمان ح رقم ١٨ وجامع العلوم والحكم ص١٧٨ / ١٨٠
(٣) التوبة : ١٠٣
(٤) البقرة : ١٨٣

وقال صلى الله عليه وسلم :

(من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) (١)

والحج رحلة روحية تتيح للمسلم أن يحضر المؤتمر الاسلامى العظيم قال تعالى :

﴿ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ (٢)

ومجموع أداء هذه العبادات المفروضة ، يبلغ العبد درجة المقتصدين من أولياء الله .

وأما درجة السابقين منهم ، فهى أرفع ، فلا بد لها من جهد أكبر قال تعالى :

﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير ﴾ (٣)

فمن أدى شعائر الاسلام المفروضة ، واجتنب المنهيات فهو من أولياء الله المقتصدين ، وقد أفلح وفاز بالجنة تفضلا منه تعالى :

﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلوٰتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوٰة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأمنتهم وعهدهم راعون والذين على صلواتهم يحافظون ﴾ (٤)

---

(١) البخارى كتاب الصيام باب من لم يدع قول الزور

(٢) الحج الاية : ٢٨

(٣) فاطر الايـة : ٣٢

(٤) المؤمنون : ١ — ٩

وروى البخارى عن طلحة بن عبيد الله قصة الأعرابى الذى جاء يسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن شعائر الاسلام ،وأقسم ألا يزيد عليها ولا ينقص فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (أفلح ان صدق) ونسوق نص الحديث لتمام الفائدة :

قال طلحة رضى الله عنه : (جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس ،نسمع دوى صوته ولا نفقه ما يقول : حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يسأل عن الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خمس صلوات فى اليوم والليلة) قال : هل علىّ غيرهن ؟ قال : لا الا أن تطوع ،وصيام رمضان فقال : هل على غيره ، قال : لا الا ان تطوع ،وذكر له الزكاة ،فقال : هل على غيرها ، قال : لا الا أن تطوع فقال : فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أفلح ان صدق) (١)

وفرائض الاسلام ليست مقصورة على اركانه الخمسة بل هناك فرائض اخرى ذكرها الله فى كتابه العزيز كالجهاد والوفاء بالعهد .. الخ ولقد جمع الله سبحانه كثيرا منها فى قوله تعالى :

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من ءامن بالله واليوم الآخر والملئكة والكتب والنبيين وءاتى المال على حبه ذوى القربى واليتمى والمسكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلوٰة وءاتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصبرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ (٢)

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم كتاب الايمان ح : ٨

(٢) البقرة الاية : ١٧٧

درجة السابقين من أولياء الله :

هذه المنزلة وهى درجة السابقين يبلغها من اجتنب محارم الله وأدى فرائضه ، وتقرب اليه بالنوافل ، وفيها يقول الله تعالى :

* (وما يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه)

والتقرب المذكور فى هذا الحديث طلب القرب ، ولقد ورد فى رواية اخرى (وما زال عبدى يتحبب) بدل يتقرب ، فظاهر هذا أن محبة الله للعبد تقع بملازمة التقرب بالنوافل ، قال الكشميهنى :

(وقد استشكل بما تقدم من أن الفرائض أحب العبادات المتقرب بها الى الله ، فكيف لا تنتج المحبة) .

وأجيب : أن الفرائض ما كانت حاوية للنوافل مشتملة عليها ومكملة لها . (١)

ومع هذا الجواب فان الاشكال لا يزال قائما ، ذلك أن النوافل اذا كانت مكملة للفرائض جابرة لما يكون فيها من خلل ، فلا يزال العبد متقربا بالفرائض وحدها .

وأحسن جواب لهذا الاشكال ما ذكره الشوكانى بأنه مندفع — أى الاشكال — من أصله ، فان العبد لما كان معتقدا لوجوب الفرائض عليه ، وأنه أمر حتم يعاقب عليه كان ذلك بمجرده حاملا له على المحافظة عليها ، والقيام بها ، فهو يأتى بها بالايجاب الشرعى ، والعزيمة الدينية .

أما النوافل : فهو يعلم أنه لا عقاب عليه فى تركها فاذا فعلها فذلك لمجرد التقرب الى الرب خاليا من حتم ، وكأن فى فعلها من هذه الحيثية محض المحبة للتقرب ، فجوزى على ذلك بمحبة الله له ، وان كان أجر الفرض اكثر ، فلا ينافى أن تكون المجازاة بما كان الحامل عليه هو محبة التقرب الى الله ان يحب الله فاعله ، لأنه فعل ما لم يوجبه الله عليه ولا عزم عليه بأن يفعله .

(١) انظر فتح البارى ج ١١ ص ٣٤٣

وضرب الشوكانى لتوضيح ذلك : مثل السيد الذى يملك عددا من العبيد يوزع عليهم أعمالا متساوية وكان احدهم يعمل ما أمربه ويزيد أعمالا أخرى لسيده وفاء ومحبة فلا شك أنه يستحق محبة السيد زيادة عن محبته للاخرين • (١)

فكون الفرائض أحب القرب الى الله ، لا ينافى كون التقرب بالنوافل يحبه الله ، فان الذى يترتب على التقرب بتأدية الفرائض ، هو كون هذا المتقرب به أحب الى الله من كل شئ من أعمال الخير ، والذى ترتب على التقرب بالنوافل ، أن الله يحب فاعلها ، وكونه يحب فاعلها لا ينافى كونه يحب غيره ، وكون تأدية الفرائض احب من غيرها لا ينافى ان تكون تأدية النوافل محبوبة بل هو المعنى الذى يفيده أفعل التفضيل ، فانه يدل على الاشتراك فى الأصل وهو المحبوبية ، لكل منهما ولكن لما زاد احدهما على الآخر بما فعله من النافلة ترتب على تقربه هذا ما تضمنه الحديث من كونه محبوبا محبة خاصة هى التى اشار اليها الحديث بقوله (كنت سمعه •••) الخ (٢)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(فان العبد الذى هذا حاله ، صار محبوبا للحق محبا له يتقرب اليه أولا بالفرائض وهو يحبها ، ثم اجتهد فى النوافل التى يحبها ويحب فاعلها ، فيأتى بكل ما يقدر عليه من محبوب الحق ، فأحبه الحق لفعل محبوبه) (٣)

وقال ابن رجب فى شرحه :

(فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ••) الخ المراد من هذا الكلام ان من اجتهد بالتقرب اليه تعالى بالفرائض ثم النوافل ، قربه اليه ورقاه من درجة الايمان الى درجة الاحسان ، فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة

---

(١) انظر قطر الولى ص٤٠١ / ٤٠٢

(٢) المصدر السابق ص٤٠٥ / ٤٠٦

(٣) الرسالة المدنية لابن تيمية ص٣١ الطبعة الثالثة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م مكتبة انصار السنة •

كأنه يراه فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى ، و محبته و عظمته وخوفه ومهابته ، واجلاله والانس به والشوق اليه حتى يصير هذا الذى فى قلبه من المعرفة مشاهدا له بعين البصيرة كما قيل :

ساكن فى القلب يعمره ... لست أنساه فأذكره

غاب عن سمعى وعن بصرى ... فسويد القلب يبصره (١)

والحاصل أن الحديث أفاد أن الفرائض أحب ما يتقرب به العبد الى الله ، ولا شك أن المتقرب الى الله بعبادة محبوب منه تعالى .

وأفاد كذلك ان التقرب بالنوافل بعد الفرائض يترتب عليه محبة اعظم وهى التى بينت فيه .

اختلاف أجر النوافل باختلاف نوعها :

هذا ويختلف أجر النوافل باختلاف نوعها ، فنفل الصلاة اعظم أجرا من غيره ، فاذا علمنا ما سبق أن اصول العبادة هى أركان الاسلام الخمسة وان الصلاة هى اعظم هذه الاركان بعد الشهادتين فنافلتها افضل النوافل ، وقد رغب النبى صلى الله عليه وسلم فى نافلة الصلاة .

جاء فى الحديث الصحيح ان من صلى كل يوم اثنتى عشرة ركعة تطوعا غير الفريضة بنى الله له بيتا فى الجنة .

روى الامام مسلم فى صحيحه عن أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، انها قالت :

(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبد يصلى لله كل يوم اثنتى عشرة ركعة تطوعا غير الفريضة ، الا بنى الله له بيتا فى الجنة أو الا بنى له بيت فى الجنة ، قالت أم حبيبة فما زلت أصليهن بعد . وقال عمرو : وما برحت أصليهن بعد ، وقال النعمان مثل ذلك) (٢)

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٣١٩

(٢) صحيح مسلم فضل السنن والرواتب ح ١٠١١ وانظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٦ ص ٧

وأفضل الصلوات بعد المكتوبة صلاة الليل ، روى مسلم فى صحيحه (أفضل الصلوات بعد المكتوبة الصلاة فى جوف الليل) (١)

ومن القربات التى يرتقى بها العبد الى درجة السابقين الصدقات.

فالزكاة وردت مقرونة مع الصلاة فى أكثر من ثمانين موضعا فى كتاب الله تعالى :

قال تعالى ﴿ وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ يقيمون الصلوة وممــــا رزقنهم ينفقون ﴾ (٣)

الأمر الذى يدل على عناية الاسلام بالزكاة ، فتكون نافلتها فى الأجر أقرب من نافلة الصلاة ، ولقد رغب الاسلام فى الانفاق ليجعل مجتمعه متكافلا متعاونا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، قال الله تعالى :

﴿ مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ (٤)

وقال تعالى ﴿ ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضعفه لكم ﴾ (٥)

وقال تعالى ﴿ وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ (٦)

وقال سبحانه ﴿ والذين يؤتون ماءاتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ﴾ (٧)

وقال تعالى ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (٨)

ومن النوافل أيضا نافلة الصوم وأفضله ان يصوم يوما ويفطر يوما ، لما جاء فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عبد الله بن عمرو بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، فقال انى أطيق اكثر من ذلك ، فانتهى به الى صيام يوم وافطار يوم ، فقال انى اطيق أفضل من ذلك ، فقال : لا أفضل من ذلك.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الصيام ٢٠٢/٢٠٣ وانظر تحفة الذاكرين للشوكانى ص ١٢٢

(٢) البقرة : ٤٣ (٣) البقرة : ٣ (٤) البقرة : ٢٦١

(٥) التغابن : ١٧ (٦) الحديد : ٧ (٧) المؤمنون : ٦٠

(٨) الحشر : ٩

وقال له افضل الصيام صيام داود عليه السلام والحديث اخرجه البخارى عن عبدالله بن عمرو بهذه الصيغة :

(قال لي صلى الله عليه وسلم : انك لتصوم الدهر ، وتقوم الليل ؟ فقلت نعم قال : انك اذا فعلت ذلك هجمت (١) له العين ، ونفهت (٢) له النفس لا صام من صام الدهر ، صوم ثلاثة أيام صوم الدهر كله ، قلت فانى أطيق اكثر من ذلك ، قال : فصم صوم داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر اذا لاقى . (٣)

والحج والعمرة بعد الفريضة كذلك من القربات العظيمة التى لا ينكر فضلها .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟

قال : ايمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال جهاد فى سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال حج مبرور) (٤)

وقال صلى الله عليه وسلم :

(من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) (٥)

وقال صلى الله عليه وسلم :

(العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة) (٦)

---

(١) هجمت له العين ، غارت وضعفت
(٢) نفهت : تعبت وكلت
(٣) البخارى باب صوم داود ح ١٨٧٩ وانظر باب صوم الدهر ح ١٨٧٦ ط السلفية
(٤) البخارى باب فضل الحج المبرور
(٥) المصدر السابق
(٦) البخارى كتاب العمرة باب وجوب العمرة وفضلها حديث ١٧٧٣ .

الذكـر :

والذكر من أقوى وسائل القربات ،ويكفى ان الله تعالى شرع الصلاة لذكره فقال تعالى :

﴿ اننى انا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلوٰة لذكرى ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ فاذكرونى أذكركم ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ ياأيها الذين ءامنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ (٣)

وقال تعالى ﴿ والذٰكرين الله كثيرا والذٰكرات أعد ألله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ (٤)

فعلم من هذا أن افضل احوال المرء من ان يكون ذاكرا لله على كل حال فى قيامه وقعوده وعلى جنبه .

قال تعالى : ﴿ الذين يذكرون الله قيٰما وقعودا وعلى جنوبهم ﴾ (٥) ولا يتسنى له ان يكون كذلك ،الا اذا كان متبعا للنبى صلى الله عليه وسلم ،لأن ذكره صلى الله عليه وسلم اكمل الذكر وأفضله لأن الله تعالى علمه كيف يذكره ،وأمر أمته أن تتأسى به فقال تعالى :

﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ (٦)

فعلم أمته كيفية الذكر الذى يقربهم الى ربهم وحثهم ورغبهم فيه ،فقال عليه الصلاة والسلام :

(ان لله ملائكة يطوفون فى الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فان وجدوا قوما يذكرون الله ،تنادوا هلموا الى حاجتكم ، قال : فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم :

---

(١) طه : ١٤ (٢) البقرة : ١٥٢ (٣) الاحزاب : ٤١

(٤) الاحزاب : ٣٥ (٥) ال عمران : ١٩١ (٦) الاحزاب : ٢١

ما يقول عبادى ؟

قالوا : يقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك ، قال : فيقول : هل رأونى ؟ قال : فيقولون : لا والله ما رأوك ، قال : فيقول : وكيف لو رأونى ؟ قال : فيقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا ، قال : يقول : فما يسألونى ؟ قالوا : يسألونك الجنة قال ، يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها ، قال : يقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا اشد عليها حرصا وأشد لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة ، قال : فمم يتعوذون ؟ قال : فيقولون : من النار ، قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا اشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة قال : فيقول : فاشهدكم أنى غفرت لهم ، قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم انما أتى لحاجة قال : هم الجلساء لا يشقى جليسهم) (١)

واذا حسن المرء من ظنه بالله وذكره كان الله معه أين ما كان فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى :

(أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منهم ، وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا وان أتانى يمشى أتيته هرولة) (٢)

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ج ٣ ، ص ٢٨٩/٢٩٠ ح ١٧٢٢ .

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨٤ / ٢٨٥ ح رقم ١٧١٣ .

والحاصل ان يكون الذكر بالكيفية المشروعة ،وباسماء الله الحسنى التى أمر الله تعالى ان يذكر بها :

﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ (١)

وقال صلى الله عليه وسلم :

(ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحد من أحصاها دخل الجنة) وزاد فى رواية أخرى وهو وتر يحب الوتر . (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم :

(من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ،وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت احد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل اكثر من ذلك) (٣)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر) (٤)

الاستغفار :

ومن القربات المرغب فيها الاستغفار . قال الله تعالى :

﴿ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ﴾ (٥)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(سيد الاستغفار أن يقول : اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى

---

(١) الاعراف : ١٨٠ (٢) اللؤلؤ والمرجان جـ٣ ص٢٨٤/٢٨٥ ح ١٧١٤

(٣) البخارى كتاب بدء الخلق باب صفة ابليس وجنوده واللؤلؤ جـ ٣ حديث رقم ١٧٢٤ وانظر فتح البارى جـ٦ ص٣٣٤ .

(٤) اللؤلؤ جـ٣ ص ٢٩١ ح ١٧٢٥

(٥) آل عمران : ١٣٥

وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، وأبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي ، اغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت قال : ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ، و من قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة) (١)

الجهاد في سبيل الله :

و من أعظم القربات الموصلة لولاية الله سبحانه الجهاد في سبيله ، بل هو أفضل ما تطاوع به الانسان ذودا عن دينه أن يحال بينه وبين الناس وحفاظا على اسلامه أن يعتدى عليه والله سبحانه يرفع المؤمنين به الى قمة الولاية فيقول الله تعالى :

﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة و رحمة وكان الله غفورا رحيما ﴾ (٢)

ويقول تعالى :

﴿ أجعلتم سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام كمن ءامن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين الذين ءامنوا و هاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ﴾ (٣)

و سبب نزول هذه الايات كما يخرجه الامام مسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل : ما أبالى ألا اعمل عملا بعد الاسلام ، الا أن اسقى الحاج ، وقال آخر : ما أبالى أن اعمل عملا بعد الاسلام ، الا أن اعمر المسجد الحرام ، وقال على بن أبى

---

(١) البخارى كتاب الدعوات باب فضل الاستغفار ح ٦٣٠٦
(٢) النساء : ٩٥ (٣) التوبة الاية : ٢٠

طالب رضى الله عنه :

(الجهاد فى سبيل الله أفضل مما ذكرتم ، فقال عمر : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن اذا قضيت الصلاة سألته ، فسأله فأنزل الله الآية).(١)

والجهاد هو رهبانية الاسلام ، ذكر الامام أحمد :

(أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم ، أوصنى قال أوصيك بتقوى الله ، فانها رأس كل شىء وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فانه روحك فى السماء وذكرك فى الأرض) رواه من حديث أبى سعيد (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(غدوة فى سبيل الله او روحه خير من الدنيا وما فيها) (٣)

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى العمل أفضل ؟ قال الصلاة لوقتها ، قال : قلت : ثم أى ؟ قال : بر الوالدين ، قلت : ثم أى ؟ قال : قلت :الجهاد فى سبيل الله ، فما تركت استزيده الا ارعاء عليه) (٤)

وفى الصحيحين أنه سئل أى العمل أفضل ؟ قال :

(ايمان بالله ورسوله وجهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا ؟ قال حج مبرور) (٥) .

ولا شك ان الاحاديث الواردة فى الجهاد كثيرة ومشهورة فى أنه : (ذروة سنام الاسلام) (٦) (ولا يناله الا أفضلهم) (٧) اذ هو تضحية بالنفس

---

(١) صحيح مسلم كتاب الامارة باب فضل الشهادة ح ١١١

(٢) زاد المعاد جـ٢ ص١٦٠

(٣) متفق عليه البخارى كتاب الجهاد والسير باب ٥ ومسلم كتاب ٨١ باب ٥١

(٤) مسلم كتاب الايمان ح ١٣٧ (٥) تقدم فى ص ٦٤

(٦) الترمذى كتاب الايمان والمسند جـ٥ ص ٢٣١ و٢٣٧ وابن ماجه

(٧)

والمال في سبيل الا اعلاء كلمة الله .

وقال صلى الله عليه وسلم (ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب الذى يريد الاداء والناكح الذى يريد العفاف) (١)

وقال من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق. (٢)

وذكر ابو داود عنه (من لم يغز أو يجهز غازيا او يخلف غازيا في اهله بخير اصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة) (٣)

والشهادة منزلة عظيمة و طريق مضمون الى الجنة فالجهاد في سبيل الله تجارة رابحة في الدنيا ، ففى الصحيحين عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (انتدب الله عز وجل لمن خرج في سبيل الله لا يخرجه الا ايمان بى و تصديق برسلى أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة . ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أنى أقتل ثم أحيا ثم أقتل) (٤) فالله سبحانه تكفل للمجاهد المخلص لاعلاء كلمة الله ، أن يدخله الجنة اذا اخذه شهيدا أو يرجعه الى مسكنه الذى خرج منه بالأجر او الأجر والمغنم ، روى أبو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه الا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه الى مسكنه الذى خرج منه) (٥)

وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم (كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله يكون يوم القيامة كهيئة نهار اذ طعنت تفجر دما اللون لون الدم والعرف عرف المسك) (٦)

فالجهاد هو طريق عزة المسلمين وحصن مجتمعهم ولذا جاء

---

(١) رواه احمد والترمذى والنسائى .

(٢) مسلم كتاب الامارة ح ١٥٨ وابو داود والنسائى كتاب الجهاد

(٣) رواه ابو داود وابن ماجه عن القاسم عن ابى أمامة .

(٤) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ج٢ ص ٣٠٠ ح ١٢٢٩

(٥) المصدر السابق حديث ١٢٣٠ (٦) المصدر السابق ح ١٢٣١

الحث عليه فى القرآن والسنة والنماذج التى ذكرناها خير شاهد على مكانته من الاسلام فهو أعلى القربات كما وضح النبى صلى الله عليه وسلم ذلك للرجل الذى جاء يسأل عن عمل يعدله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : (لا أجد) ثم قال له (هل تستطيع اذا خرج المجاهد ان تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر ؟ قال ومن يستطيع ذلك) (١)

وهذا الواجب المقدس هو الذى يصون المجتمع الاسلامى ويحفظه من عوادى الأعداء .

أفضل العبادة :

وأفضل العبادة العمل على مرضاة الله تعالى فى أى وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته .

فالجهاد فى وقته أفضل مما سواه وان أدى الى ترك الأوراد من قيام وصيام ، بل من ترك أداء الحج ، واتمام الصلاة المفروضة ، كما فى حال الأمن والأفضل حين سماع النداء ترك الأوراد وتلبية داعى الله والخروج الى المسجد ، وان بعد ، والأفضل فى أوقات ضرورة المحتاج مساعدته بالجاه أو البدن ، أو المال وايثار ذلك على العبادات غير المفروضة كلها لأن هذه هى عبادة وقتها ... الخ فالأفضل فى كل حال ايثار مرضاة الله بمقتضى ذلك الحال ، وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق الذين غرضهم من العبادة مرضاة الله تعالى أين كانت فمدار التعبد عليها ، فهم لا يزالون متنقلين فى منازل العبودية ، كلما رفعت لهم منزلة عملوا على سيرهم اليها ، واشتغلوا بها حتى تلوح لهم أخرى ، فهم لا يفتقدون حيث أمروا ، ولا يوجدون حيث نهوا .

فإن رأيت العلماء رأيتهم معهم ، وإن رأيت العباد رأيتهم معهم ، وإن

---

(١) اللؤلؤ والمرجان جـ٢ ص٣٠٠ حديث ١٢٣٣

رأيت الذاكرين رأيتهم معهم ،وان رأيت المتصدقين رأيتهم معهم ، الى نهاية القربات فهؤلاء هم المتحققون بـ ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾(١)

الاتباع لا الابتداع :

ولا تتحقق هذه العبادة شرعا الا بتحقق امرين :

الأول :ــ الالتزام بما شرعه الله ،ودعا اليه رسوله صلى الله عليه وسلم امرا ونهيا وتحريما وتحليلا ،وهذا هو الذى يمثل عنصر الطاعة ، والخضوع ، فليس عبدا ولا عابدا لله من رفض الاستسلام لأمر الله واستكبر عن اتباع نهجه ، والانقياد لما شرع على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وان اعترف بأن الله خالقه ورازقه ،فهذا هو اقرار الربوبية الذى اعترف به المشركون ، فلم يكونوا به مؤمنين اذ لا بد من خضوع الانقياد ،والتعبد ، والتذلل الذى هو حق الألوهية ، الذى به يتحقق مقام العبادة الحقة ، وأساس هذا الخضوع هو الشعور الواعي بوحدانية الله تعالى ،وقهره لكل الكائنات والاحتياج اليه بصفته مالك الكون .

الثاني :ــ أن يصدر هذا الخضوع عن قلب مفعم بالحب للمنعم تعالى ، الحب الذى يكتمل به الايمان الذى يجد المرء من ثمرته حلاوة فى قلبه(٢) كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى أخرجه البخارى عن أنس:

(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله تعالى ، وأن يكره ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار)(٣)

---

(١) ملخص بتصرف من مدارج السالكين جـ١ ، ص٨٨ ــ ٩٠

(٢) انظر د / القرضاوى ، العبادة فى الاسلام ، ص ٣٢/ ٣٣

(٣) البخارى كتاب الايمان باب حلاوة الايمان

وهذان الشرطان ألفسهما ذكرهما ابن القيم فى مدارج السالكين.(١)

والرسول صلى الله عليه وسلم يجمع الدين فى كلمة واحدة وهى (النصيحة) فلا تتحقق ولاية الله تعالى ، الا بتحققها ففى الحديث الذى أخرجه مسلم عن ابى رقية تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(الدين النصيحة) ثلاثا ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال :

(لله عز وجل ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم)(٢)

فالنصيحة التى جمع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين كله تعنى الاخلاص .

قال الخطابى : واصل النصح فى اللغة الخلوص ، يقال نصحت العسل اذا خلصته من شمعه(٣) .

فالنصيحة لله تعالى المرادة من هذا الحديث هى : صحة الاعتقاد واخلاص النية فى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، وتنزيهه تعالى عن كل ما لا يليق به تعالى .

ولقد أخرج الامام أحمد من حديث أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم :

(قال : قال الله عز وجل أحب ما تعبدنى به عبدى النصح لى)

وقال سبحانه : ﴿ وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة ﴾(٥) وقال جل شأنه :

﴿ فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص ﴾(٦)

وسمى الله سبحانه المخلصين له محسنين لنصيحتهم له بقلوبهم

---

(١) انظر مدارج السالكين جـ١ ص ٨٣/٨٤ بتحقيق محمد حامد الفقى

(٢) مسلم كتاب الايمان باب بيان ان الدين النصيحة وانظر البخارى كتاب الايمان باب الدين النصيحة .

(٣) انظر ابن رجب جامع العلوم ص٦٨ (٤) المسند جـ ٥ ص٢٥٤

(٥) البينة الاية : ٥ (٦) الزمر : ٢ و ٣

لما حالت الأعذار دونهم والجهاد بأنفسهم ،والاحسان ذروة الايمان ، فقال تعالى :

﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ﴾ (١)

وقد ترفع الأعمال كلها عن العبد فى بعض الحالات ولا يرفع عنه النصح لأن الرياء محبط للعمل . والنصح لكتاب الله سبحانه ، هو الايمان به واتباع أوامره والوقوف عند حدوده ، لأنه الصراط المستقيم الذى أمرنا الله سبحانه باتباعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . قال تعالى :

﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصكم به لعلكم تتقون ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ وهذا كتٰب أنزلنٰه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾ (٣)

وقال تعالى ﴿ اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ﴾ (٤)

وقال تعالى ﴿ كتٰب أنزلنٰه اليك مبارك ليدبروا ءايٰته وليتذكر أولوا الألبٰب ﴾ (٥)

وأما النصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،فتصديقه على الرسالة ،والايمان بجميع ما جاء به ،وطاعة أمره حيا وميتا ،ومعاداة من عاداه ،وموالاة من والاه واعظام حقه ، وتوقيره ، واحياء طريقته وسنته (٦) لندخل فى رحمة الله تعالى ،حيث لا سبيل الى الدخول فيها الا بهذا الاتباع .

---

(١) التوبة : ٩١ (٢) الأنعام : ١٥٣

(٣) الانعام : ١٥٥ (٤) الأعراف : ٣

(٥) ص الآية : ٢٩

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى جـ٢ ص ٣٨ دار احياء الكتب العربية بيروت

قال تعالى ﴿ ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بئايتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبت ويحرم عليهم الخبئث ويضع عنهم اصرهم والأغلل التى كانت عليهم فالذين ءامنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه اولئك هم المفلحون ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ (٢)

فتفضيله تعالى بهذه الرحمة الواسعة مشروط باتباع الرحمة المهداة ولا بد أن يكون هذا الاتباع مصحوبا بالاحترام والتوقير لهذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه ﴾ (٣)

وقال تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكفرين ﴾ (٤)

وقال تعالى ﴿ وماءاتكم الرسول فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا ﴾ (٥)

وقال تعالى ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ (٦)

وقال تعالى ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلنك عليهم حفيظا ﴾ (٧)

---

(١) الاعراف : ١٥٦ و ١٥٧
(٢) النور : ٥٦ — (٣) الفتح : ٩
(٤) آل عمران : ٣١ و ٣٢
(٥) الحشر : ٧ — (٦) الاحزاب : ٣٦
(٧) النساء : ٨٠

وقال تعالى محذرا من مخالفة أمره :

﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ﴾ (٢)

فسنته صلى الله عليه وسلم هى الطريق الموصل الى الله عز وجل ، والسنة فى اللغة لها معان كثيرة :

منها الوجه أو دائرته أو الصورة ،

قال ابن حزم فى تعريفها :

(والسنة فى أصل اللغة : وجه الشىء وظاهره واستدل بقول الشاعر :

وتريك سنة وجه غير مقرفة

ملساء ليس بها خال ولا ندب) (٣)

وتطلق لغة كذلك على الطريقة المحمودة المستقيمة . (٤)

وقيل : السنة الطريقة والسيرة حميدة كانت أو ذميمة .

قال خالد بن زهير الهذلى :

فلا تجزعن من سنة انت سرتها

فأول راض سنة من يسيرها

ولقد وردت فى القرآن الكريم شاملة للمعنيين الحسن والقبيح ، قال الله تعالى :

﴿ لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ﴾ (٥)

وقال تعالى ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾ (٦)

---

(١) النور : ٦٣ (٢) الحجرات : ٢

(٣) ابن حزم الاحكام ج١ ص٤٣ باشراف احمد شاكر الناشر زكريا على يوسف مطبعة الع

(٤) لسان العرب ص ١٧ / ٦٠ والقاموس المحيط وتاج العروس .

(٥) الحجر : ١٣ (٦) الاسراء : ٧٧

وقال صلى الله عليه وسلم :

(من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيمة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة) ورواه — الترمذى بلفظ :

(من سن سنة خير فاتبع عليها فله أجره ، ومثل اجر من اتبعه غير منقوص من أجورهم شيئا ومن سن سنة شر فاتبع عليها كان عليه وزره و وزر من اتبعه غير منقوص من اجورهم شيئا) (١)

السنة فى الاصطلاح :

واختلف العلماء فى تعريف السنة :

فعرفها ابن حزم : بأنها (الشريعة) قال :

(وأقسام السنة فى الشريعة : فرض أوندب أو اباحة أوكراهة أوتحريم ، كل ذلك سنه الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل) (٢) فهى شاملة لكل ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول او فعل أو تقرير ، وهذا ما ذهب اليه الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله اذ يقول : وتطلق على ما يقابل البدعة فيراد بها ما وافق القرآن الكريم من حديث النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل او تقرير وسواء أكانت دلالة القرآن أو الحديث على طلب الفعل مباشرة او بوسيلة ،وينتظم هذا السلك عمل الخلفاء الراشدين للثقة بانهم لا يعملون الا على بينة من أمر دينهم — ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم — فى الحديث الذى يرويه العرباض بن سارية رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ... الى أن قال :

(فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وأياكم و محدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة) (٣)

---

(١) الترمذى جـ٤ ص١٤٩ وقال حديث حسن صحيح .
(٢) الاحكام جـ١ ص ٤٣
(٣) سنن ابى داود جـ٢ ص ٢٦١

ومثل الفعل الترك ، فما جاءت السنة بطلب تركه يعتبر الخروج عنه بدعة مخالفة للسنة .[1]

وعرف الفقهاء السنة بتعريفات عدة أشهرها ما ذكره اللكنوى بأنها ما فى فعله ثواب ، وفى تركه عتاب لا عقاب) واحترز بقوله ما فى تركه عتاب من النفل وهو ما فى فعله ثواب وليس فى تركه عقاب ولا عتاب ، وبقوله لا عقاب عن الفريضة)[2]

أما السنة فى عرف المحدثين :

فهى كل ما أضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية وما يتصل بالرسالة قبل البعثة ونحو ذلك.[3]

فالسنة كلمة جامعة لمعالم الدين التى بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ، أو فعله أو تقريره فى أصول الدين وفروعه وفرائضه ونوافله[4] ، فواجب على كل مؤمن اتباع النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه المبين عن الله عز وجل قال الله تعالى :

﴿ وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾[5]

كما تجب صحبته ومحبة ما جاء به ، قال صلى الله عليه وسلم :

(لا يؤمن أحدكم حتى اكون احب اليه من والده ، وولده والناس اجمعين)[6]

وقال صلى الله عليه وسلم :

(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، أن يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ... الحديث)[7]

---

(١) رسالة الاصلاح جـ٣ ص٨٣/٨٤ طبعة القدسى ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م
(٢) تحفة الاخيار ص٩ ط المصطفائى بالهند وانظر البدعه ص١١٩/١٢٠
(٣) الحديث والمحدثون ص١٠ (٤) انظر المختار من كنوز السنة ص١٩٩
(٥) النحل الاية : ٤٤
(٦) البخارى كتاب الايمان باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٧) نفس المصدر والكتاب والباب

فمحبته صلى الله عليه وسلم ومحبة ما جاء به ، هي سبيل محبة الله للعبد ، ولا تكون هذه المحبة صادقة الا باتباعه صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ (١)

فجعل الله سبحانه علامة حب العباد له متابعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم ووعدهم على ذلك حبه لهم ومغفرته لذنوبهم واذا كان الحب عبادة بل هو اساس العبادة كلها ، اذ لا يصح شيء منها الا بكماله فدلالة صدقه ان يكون هوى العبد تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال صلى الله عليه وسلم :

(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) (٢)

ونفى الله سبحانه الايمان عمن لم يتقبل حكمه ويسلم به ، قال تعالى :

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ (٣)

واجمال القول ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم طريق الى محبة الله تعالى ، فواجب على كل مسلم طاعة الرسول فيما جاء به عن ربه ، قال الله تعالى :

﴿ قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكٰفرين ﴾ (٤)

وقال تعالى ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلنٰك حفيظا ﴾ (٥)

وأوصد طريق الجنة الا من طريقه صلى الله عليه وسلم فقال ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنٰت تجرى من تحتها الأنهٰر خٰلدين فيها وذلك الفوز العظيم ﴾ (٦)

---

(١) آل عمران الاية : ٣١
(٢) جامع العلوم والحكم ص٣٣٨ قال فيه ابن رجب حديث حسن صحيح .
(٣) النساء : ٦٥ (٤) آل عمران : ٣٢ (٥) النساء : ٨٠
(٦) النساء : ١٣

وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين ءامنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم :

(كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى . قالوا: يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى) (٤)

وفى رواية ابن حبان :

(والذى نفسى بيده لتدخلن الجنة كلكم الا من أبى وشرد على كشراد البعير ... قالوا : يا رسول الله ومن يأبى أن يدخل الجنة ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى) (٥)

وطاعته صلى الله عليه وسلم هى الانقياد لسنته مع رفض قول كل من قال شيئا فى دين الله عز وجل بخلاف سنته ، وأن يجعل المرء هواه تبعا لما جاء به صلى الله عليه وسلم ، وعندما يكون هوى المرء من تبعا لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم تصفو العقيدة ، وتنتفى البدع ، لأنها جميعا ناشئة من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله ولقد وصف الله تعالى المشركين باتباع الهوى فقال جل شأنه :

﴿ فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ (٦)

---

(١) الانفال الاية : ٢٠ (٢) النور : ٥٢

(٣) الاحزاب : ٧١

(٤) البخارى كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) رواه ابن حبان عن ابى سعيد الخدرى جـ١ ص ١٥٣ وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد .

(٦) القصص : ٥٠

ولذا سمى المبتدعة أهل اهواء و لتقديم أهوائهم على الشرع .

البدعة لغة :

والبدعة مطلقا هى الأمر المستحدث على غير مثال سابق . يقول الامام أبو بكر الطرطوشى فى تعريفها :

(فان قيل لنا : فما أصل البدعة ؟ قلنا : اصل هذه الكلمة من الاختراع ،وهو الشيء يحدث من غير أصل سابق ولا مثال احتذى ،ولا ألف مثله ، ومنه قولهم : ابتدع الله الخلق اى خلقهم ابتداء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ بديع السموات والأرض ﴾ (١)

وقوله تعالى ﴿ قل ما كنت بدعا من الرسل ﴾ (٢) أى لم أكن أول رسول الى أهل الأرض ، وهذا الاسم يدخل فيما تخترعه القلوب ،وفيما تنطق به الألسنة وفيما تفعله الجوارح) (٣)

البدعة شرعا :

والمراد بها شرعا هى :

(كل ما قيل أو فعل مما ليس له أصل فيما نسب اليه صلى الله عليه وسلم ،وهو فى الدين كل ما لم يأت به القرآن ، ولا علم عن الرسول صلى الله عليه وسلم) (٤)

حث الصحابة على اتباع السنة و مجانبة البدعة :

ولقد كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وتابعوهم باحسان رضى الله عنهم حريصين على اتباع السنة ،منفرين من البدع ، حتى بدع العادات المؤدية الى طمس معالم الدين ، حذروا منها :

---

(١) البقرة : ١١٧   (٢) الاحقاف : ٩

(٣) الامام ابو بكر الطرطوشى الحوادث والبدع ص ٣١ / ٣٢ بتحقيق محمد الطالبى

(٤) الاحكام جـ١ ص٤٣ باشراف احمد محمد شاكر مطبعة العاصمة .

فعمر رضى الله عنه كان ينهى الاماء عن لبس الازار لئلا يحصل اللبس بينهن وبين الحرائر ،فيقول :

(لا تتشبهن بالحرائر) • وقال لابنه عبدالله : (ألم اخبر أن جاريتك لبست ازارا ؟ لو رأيتها لأوجعتها ضربا ؟) ومعلوم ان هذه سترة ،ولكنهم علموا ان مقصود الشرع المحافظة على حدوده ، ومن حدوده ، تمييز الأمة من الحرة /من حيث ما يجب لستر عورة كل فلا يظن الناس أن الحرة والأمة فى الستر سواء فتموت سنة وتحيا بدعة • (١)

وكان رضى الله عنه يرى أن الخروج من السنة الى البدعة هو الضلال ، فكثيرا ما كان يحذر الناس منها فى خطبه ، فعن سعيد بن المسيب : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لما قدم المدينة ، قام فى الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(أيها الناس : انه قد سنت لكم السنن ،وفرضت لكم الفرائض وتركتم على الواضحة ، الا أن تضلوا بالناس يمينا أو شمالا) (٢)

وروى الشعبى عن مسروق : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب الناس فقال : (ردوا الجهالات الى السنة) (٣)

وقال رضى الله عنه : (ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه ايمانه ولا من فاسق بين فسقه ،ولكنى أخاف عليها رجلا قرأ القرآن حتى أزلقه لسانه ، ثم تأوله على غير تأويله) (٤)

وقال رضى الله عنه لأبى بن كعب :

(ما أخوف ما تخاف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : أئمة مضلين ، قال : صدقت ، قد أسر الى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٥)

---

(١) انظر الحوادث والبدع ص ١٣٥/١٣٦

(٢) ابو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى جامع بيان العلم وفضله جـ٢ ص١٨٧ المطبعة العلمية المدينة المنورة •

(٣) و (٤) نفس المصدر ص ٢٣٨

(٥) الحوادث والبدع ، ١٣٤

وعمر وهو صاحب البصيرة النافذة والالهام الذى شهد له به الرسول صلى الله عليه وسلم عندما رأى البدع بدأت تطل برأسها سارع الى اخمادها فى مهدها أينما حلت ذلك أنه لما رأى الناس يذهبون الى شجرة الرضوان التى بويع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم بادر الى قطعها سدا لباب الافتتان بالابتداع ، روى محمد بن وضاح أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر بقطع الشجرة التى بويع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن الناس كانوا يذهبون تحتها ، فخاف الفتنة عليهم)(١) ولم يكن عمر رضى الله عنه وحده على هذه الثغرة من ثغور الاسلام يحرسها ويخاف أن يؤتى المسلمون من قبلها بل كان له أخوة ارتووا من نفس المعين ، الذى نهل منه فوقفوا أنفسهم يذودون عن حياض الشرع ، فأكثرهم علما ، أتواهم دفاعا عن سنة نبيهم وانكارا للبدع وابن مسعود رضى الله عنه ، كان من أكثر الصحابة ملازمة للنبى صلى الله عليه وسلم ، يحمل نعليه ووسادته ، ومطهرته حتى كان يظن الناس ، أنه من أهل البيت لكثرة دخوله على النبى صلى الله عليه وسلم ، ودخول أمه ، وشهد معه بدرا والمشاهد بعدها ، الأمر الذى أهله للتزكية الشريفة من النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك فيما أخرجه البخارى ، من حديث عبدالله بن عمرو عن مسروق ، قال : ذكر ابن مسعود عند عبدالله بن عمرو رضى الله عنهم فقال : ذاك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(استقرئوا القرآن من أربعة عبدالله بن مسعود " فبدأ به " الحديث)(٢) .

---

(١) الحوادث والبدع ص١٣٧

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ج٣ ص٢٠٥ حديث ١٦٨ وانظر المختار من كنوز السنة ص١٩٦ . وانظر البخارى كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عبدالله بن مسعود .

مماتقدم تظهر لنا مكانة ابن مسعود السامية بين أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ،وابن مسعود كان يشابه النبى صلى الله عليه وسلم ،فى دله وسمته (*) فقد روى البخارى فى الأدب عن حذيفة رضى الله عنه ،قال :

(ان من أشبه الناس دلا وسمتا وهديا برسول الله صلى الله عليه وسلم ،لابن أم عبد من حين يخرج من بيته الى أن يرجع اليه ما ندرى ما يصنع فى أهله اذا خلا) (١)

ولقد شهد هو على نفسه ،وهو ثقة عدل صدوق ،بأنه من أوعية العلم ،وذلك فيما أخرجه عنه الامام مسلم فى صحيحه :

(والذى لا اله غيره ما من كتاب الله سورة الا أنا اعلم حيث نزلت وما من آية الا انا اعلم فيم نزلت ،ولو أعلم أحدا هو اعلم بكتاب الله منى ،تبلغه الابل لركبت اليه) (٢)

كان رضى الله عنه اذا رأى البدعة انكرها واشتد فى النكير على أصحابها ،حرصا على اتباع نهج النبى صلى الله عليه وسلم فهو يرى الخروج عنه ،خروجا عن الجادة ،وان كان الخارج عنه لا يقصد الخروج بل يرى أن متابعة النبى صلى الله عليه وسلم ،هى الواجبة ،ويتضح ما قلناه من أنه رضى الله عنه كان لا يسكت عن بدعة ولا يجامل مبتدعا ولا يخشى فى الحق لومة لائم ،انه عندما رأى قوما ابتدعوا فى الدين اقامة مسجد بعيدا عن الناس وجمعوا فيه الحصباء للتسبيح تصدى لهم بقوة ايمانه ،ولسانه الذرب وحجته البالغة يردهم عن هذه البدعة التى زينها لهم الشيطان ٠

قال يسار أبو الحكم :

(خرج رهط من القراء ، منهم معضد وعمرو بن عتبة ،حتى بنوا

(*) الدل ــ حسن حركة المشى ويطلق ايضا على الطريق ٠
السمت ــ حسن المنظر فى أمر الدين

(١) صحيح البخارى كتاب الادب باب الهدى الصالح حديث رقم ٦٠٩٢ وانظر فتح البارى ج ١٠ ص ٥٠٦ السلفية ٠

(٢) صحيح مسلم ج٤ حديث رقم ١٩١٣ كتاب فضائل الصحابة

مسجدا بالنخيلة قريبا من الكوفة ، فوضعوا جرارا من ماء ، وجمعوا اكواما من الحصباء للتسبيح ثم أقاموا يصلون في مسجدهم ويتعبدون وتركوا الناس ، فخرج اليهم ابن مسعود رضي الله عنه ، فقالوا : مرحبا بأبي عبد الرحمن ، انزل فقال : والله ما أنا بنازل حتى يهدم مسجد الخبال هذا ، فهدموه ، ثم قال لهم : والله انكم لتمسكون بذنب ضلالة ، أو أنتم أهدى ممن كان قبلكم ؟ أرأيتم لو أن الناس كلهم صنعوا ما صنعتم من كان يجمعهم لصلاتهم في مساجدهم ، ولسيادة مرضاهم؟ ولدفن موتاهم ، فردهم الى الناس ، وقال : ان منكر اليوم لمعروف قوم جاءوا بعد وان معروف اليوم لمنكر قوم جاءوا بعد .(١)

وصدق ابن مسعود رضي الله عنه فقد حصل ما أخبر عنه ، وابتدع الاجتماع على الاذكار المعروفة اليوم وزينها المتصوفة لاتباعهم ، مع جهل كثير منهم باحكام الشرع وفروضه وآدابه ، وأصبح التصوف ذريعة للشهرة ومهنة لجلب المال .

ولقد أخبر رجل ابن مسعود رضي الله عنه :

بأن قوما يجلسون في المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول لهم : كبروا الله كذا وكذا ، وسبحوا الله كذا وكذا واحمدوا الله كذا وكذا ، وقال عبدالله : اذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فاخبرني بمجلسهم ، فأتاهم فجلس ، فلما سمع ما يقولون : قام فأتى ابن مسعود رضي الله عنه ، فجاء وكان رجلا جديدا فقال : أنا عبدالله بن مسعود ، والله الذي لا اله غيره ، لقد جئتم ببدعة ظلما ، اوقد فضلتم اصحاب محمد علما ، فقال عمرو بن عتبة استغفر الله فقال : عليكم بالطريق فالزموه ، ولئن أخذتم يمينا أو شمالا لضللتم ضلالا بعيدا .(٢)

وكان رضي الله عنه يتبع هذا النهج ويدعو له ، ويرى الدعوة الى غيره دعوة صريحة الى النار .

---

(١) الحوادث والبدع ص١٣٤ و ١٣٥

(٢) انظر ابن الجوزي تلبيس ابليس ص١٦/١٧ ادارة المطابع المنيرية سنة ١٣٦٨هـ .

قال ابن جرير رحمه الله :

حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور عن معمر ، عن أبان أن رجلا قال لابن مسعود ما الصراط المستقيم ؟

فقال : تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه ، وطرفه في الجنة وعن يمينه جواد ، وعن يساره جواد ، وثم رجال يدعون من مر بهم ، فمن أخذ في تلك الجواد ، انتهت به الى النار ، ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به الى الجنة ، ثم قرأ ابن مسعود :

﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصكم به لعلكم تتقون ﴾ (١)

وكلام ابن مسعود رحمه الله هذا مقتبس من حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه الامام احمد في مسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

(خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما ، وخط عن يمينه وشماله ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه ، ثم قرأ : ﴿ وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (٢))

وكان رضي الله عنه يرى المتبع وان كان مقتصدا خيرا من المبتدع وان كان مجتهدا ، فيقول : (القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة) (٣) وقال رضي الله عنه (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) (٤)

---

(١) سورة الانعام الاية : ١٥٣ وانظر تفسير الطبري جـ١٤ ص١٧٠ و جـ١٢ ص٢٣٠ بتحقيق شاكر وابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص٣٦٢ بتحقيق عبد العزيز واخرين مطبعة الشعب .

(٢) المسند جـ١ ص ٤٦٥ وانظر تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص ٣٦٠ وانظر نقض المنطق لابن تيمية ص٤٨ و ٤٩ وعزاه الى النسائي من عدة طرق عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) جامع بيان العلم وفضله جـ٢ ص ١٨٨ والحاكم جـ١ ص ١٠٣

(٤) انظر مجمع الزوائد جـ١ ص١٨٨ وعزاه الى الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

وقال رضي الله عنه لانسان :

(انك في زمان كثير فقهاؤه ، قليل قراؤه ، تحفظ فيه حدود القرآن وتضيع حروفه ، قليل من يسأل كثير من يعطى ، يطيلون فيه الصلاة ويقصرون الخطبة يبدون اعمالهم قبل اهوائهم وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه ، كثير قراؤه ، تحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده ، كثير من يسأل قليل من يعطى ، يطيلون فيه الخطبة ويقصرون الصلاة ، يبدون اهواءهم قبل اعمالهم) (١)

ولم يكن ابن مسعود رضي الله عنه وحيدا في هذا النهج ، بل كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قاطبة حريصين على سنته ، فمن ذلك ما روى البخاري في كتاب الصلاة عن أم الدرداء قالت :

(دخل عليّ أبو الدرداء مغضبا فقلت له : مالك ؟ فقال : والله ما أعرف فيهم شيئا من أمر محمد صلى الله عليه وسلم الا أنهم يصلون جميعا) (٢).

فأنكر رضي الله عنه ما رآه مخالفا أمر النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى مالك في الموطأ عن عمه أبي سهيل ، عن ابيه انه قال :

(ما اعرف شيئا مما ادركت عليه الناس الا النداء بالصلاة) .

يعني الصحابة رضي الله عنهم ، وذلك انه أنكر اكثر افعال أهل عصره لمخالفتها لما أدرك من افعال الصحابة وكذلك فعل أنس رضي الله عنه .

قال الزهري : (دخلت على انس بدمشق ، وهو يبكي ، فقلت له ما يبكيك ؟ فقال : ما أعرف شيئا مما ادركت الا هذه الصلوات ، وهذه الصلوات قد ضيعت) . وفي لفظ آخر انه قال :

(ما كنت اعرف شيئا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قد انكرته اليوم) .

---

(١) امام الأئمة وعالم المدينة مالك بن أنس ، الموطأ باب جامع الصلاة الاثر رقم ٩١

(٢) البخاري كتاب الصلاة

وقال الحسن سأل أبا الدرداء رجل فقال : (رحمك الله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين أظهرنا هل كان ينكر شيئا مما نحن عليه ؟) فغضب واشتد غضبه ثم قال : (وهل كان يعرف شيئا مما أنتم عليه ؟) .

وروى البخارى عن أنس رضى الله عنه ، قال :

(انكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر ، أن كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات) (١)

وقال بعضهم : (أشد الناس عبادة مفتون) واحتج بقول النبى صلى الله عليه وسلم فى الخوارج :

(يحقر أحدكم صلاته مع صلاته ، وصيامه مع صيامه ، وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) .

فذكر اجتهادهم فى الصلاة ، والصوم والقراءة وانهم يغلون فى ذلك حتى يحتقر الصحابة عبادتهم جنب عبادتهم فهؤلاء غلوا فى العبادة بلا فقه ، فآل امرهم الى البدعة (٢)

وقال حذيفة رضى الله عنه :

(كل عبادة لم يتعبدها أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فلا تتعبدوها ، فان الأول لم يدع للآخر مقالا — فاتقوا يا معشر القراء وخذوا بطريق من كان قبلكم) (٣)

ولقد جاء فى ملحق كتاب الزهد لابن المبارك :

(أنا الربيع ابن أنس عن أبى داود عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : عليكم بالسبيل والسنة ، فانه ما على وجه الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله أبدا ، وما على الأرض من

---

(١) انظر الحوادث والبدع ص ٣٧ و ٣٨

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل جـ٥ ص ٨٣ و ٨٤

(٣) الحوادث والبدع ص ١٣٨

عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذا اصابها ريح شديد فتحات عنها ورقها ، الا حط الله خطاياه كما تحات تلك الشجرة ورقها ، وان اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة فانظروا أن يكون عملكم ، ان كان اجتهادا او اقتصادا على منهاج الأنبياء وسنتهم) (١)

فليس طريق الولاية هو كثرة العباده على غير المنهاج الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وما العبادة الا باتباع شرع الله سبحانه ، حتى ان قليلها على الطريق المشروع ، خير من كثيرها على الطريق غير المشروع . وربما تؤدى المبالغة فيها الى السأم والملل ، فلا رهبانية في الاسلام .

ولقد جاء في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :

(ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) (٢)

وقد تكون حسنة واحدة ، بمنزلة حسنات كثيرة وقد تكون افضل من اعمال كثيرة فالحسنة التي مبعثها العلم بجلال الله وعظمته ، واتباع نهج نبيه ، وحضور القلب ، حتى تكون الخشية فتفيض العين لها أثر كبير في محو الخطايا .

موقف التابعين من الابتداع :

واذا كان ذلك موقف الصحابة من البدع وأصحابها ، فقد جاء التابعون من

---

(١) ملحق ما رواه نعيم بن حماد زائدا على ما رواه المروزي عن ابن المبارك ، آخر كتاب الزهد لابن المبارك . الملحق ص ٢١ / ٢٢ وانظر حلية الاولياء جـ ١ ص ٢٥٢ و ٢٥٣ ط اولى مكتبة الخانجي مطبعة السعادة وانظر حياة الصحابة جـ٣ ص ٧٧١ و ٧٧٢ دار القلم دمشق ١٣٨٦هـ/١٩٦٩م

(٢) البخاري كتاب الايمان باب ان الدين يسر حديث رقم ٣٩

بعدهم غير مبتدعين فى الدين وحذروا ونفروا من الابتداع ، يقول ابن الجوزى :

(اخبرنا أبو البركات بن على بن البزار نا الطرشيشى ، نا هبة الله بن الحسين نا عيسى بن على البغوى نا ابو سعيد الاشج نا يحيى بن اليمان ، قال : سمعت سفيان الثورى قال : البدعة احب الى ابليس من المعصية ، المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها) (١)

وعن ميمون بن مهران رضى الله عنه فى قول الله عز وجل :

﴿ فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ (٢)

قال : الرد الى الله الى كتابه والرد الى الرسول ما كان حيا فاذا مات فالى سنته . (٣)

وقال الحسن بن فضالة : صلى الحسن — يعنى البصرى — فبكى فقيل له ما يبكيك يا أبا سعيد ؟ فقال : يلوموننى على البكاء ؟ ولو أن رجلا من المهاجرين اطلع من باب مسجدكم ما عرف شيئا مما كانوا عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مما انتم عليه الا قبلتكم هذه . (٤)

وقال مالك رحمه الله :

(السنة سفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وذلك أن السنة والشريعة والمنهاج هو الصراط المستقيم الذى يوصل العباد الى الله .

والرسول هو الدليل الهادى الخريت (*) فى هذا الصراط كما قال تعالى : ﴿ ياأيها النبى انا ارسلنك شهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ﴾ (٥)

---

(١) التلبيس ص١٣

(٢) النساء الاية : ٥٩

(٣) جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص ١٨٧

(٤) الحوادث والبدع ص٣٨

(٥) الاحزاب : ٤٥ و ٤٦

(*) الخرّيت : الماهر بالهداية انظر صحيح البخارى باب هجرة النبى صلى الله

وقال تعالى ﴿ وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض الا ان الله تصير الأمور ﴾ (١)

وكان السلف الصالح من هذه الأمة يكرهون اتيان المساجد المستحدثة التى سميت بأسماء الصحابة ، لأنها لم تكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس ثمة داع لبنائها اذ كانت قريبة من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يسع الناس فى ذلك الوقت .

فكان مالك رحمه الله يكره اتيان تلك المساجد وتلك الآثار بالمدينة ما عدا قباء وأحدا (٢)

وقال عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد : (سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها تصديق بكتاب الله ، واستكمال لطاعته ، وقوة على دين الله ، من عمل بها فهو مهتد ، ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا) (٣)

وكان مالك رحمه الله كثيرا ما ينشد قول الشاعر :

وشر أمور الدين ما كان بدعة

وشر الأمور المحدثات البدائع (٤)

قال ابن تيمية رحمه الله :

(... وعامة هذه الضلالات انما تطرق من لم يعتصم بالكتاب والسنة ، كما كان الزهرى يقول : كان علماؤنا يقولون : الاعتصام بالسنة هو النجاة ، وقال الثورى : من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ، ومن صافحه فقد نقض الاسلام عروة عروة) (٥)

---

(١) الشورى الآيتين ٥٢ و ٥٣
(٢) انظر الحوادث والبدع ١٣٧
(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢٢٨
(٤) عزت على عيد ، البدعة ص ١١٠
(٥) انظر تلبيس ابليس ص ١٤

ودخل سفيان بيت المقدس ، وصلى فيه ، ولم يتتبع تلك الاثار ولا الصلاة فيها ، وكذلك فعل غيره أيضا ممن يقتدى بهم من أهل العلم .(١)

والشيطان يحبب البدع ويرغب فيها ويلقى على المبتدع الخشوع ليجعله مصيدة لغيره ، قال الأوزاعي :

(بلغني أن من ابتدع بدعة ، خلاه الشيطان والعباده وألقى عليه الخشوع والبكاء لكى يصطاد به)(٢)

ومرض سليمان التيمي فبكى في مرضه بكاء شديدا ، فقيل له ما يبكيك ؟ أتجزع من الموت ؟ قال : لا ولكني مررت على قدرى فسلمت عليه ، فأخاف أن يحاسبني ربي عليه)(٣)

وقال الفضيل بن عياض :

(من جلس الى صاحب بدعة أحبط الله عمله ، وأخرج نور الاسلام من قلبه)(٤) وقال اذا رأيت مبتدعا في طريق فخذ في طريق آخر ، ولا يرفع لصاحب البدعة الى الله عز وجل عمل ، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام ... وقال : من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها ، ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة واذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت ان يغفر الله له سيئاته ،

قال ابن الجوزى : وقد روى بعض هذا الكلام مرفوعا . وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام " .

وقال الليث بن سعد : (لو رأيت صاحب بدعة يمشى على الماء ما قبلته)

---

(١) انظر الحوادث والبدع ص ١٢٧

(٢) نفس المصدر ص ١٢٨

(٣) تلبيس ابليس ص ١٤

(٤) نفس المصدر والصفحة .

فقال الشافعي : (انه ما قصر و لو رأيته يمشي على الهواء ما قبلته) (١)

وكان السلف يعظمون المحدّثين لاتباعهم السنة ، حتى قال الشافعي :

(اذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث ،فكأني رأيت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) . (٢)

هكذا كان سلفنا الصالح يحاربون ويطاردون البدع أنى وجدت وينكرون على من فعلها ،وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول :

(ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ،ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساجهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) (٣)

وبذلك يتضح أن ما يدعيه كثير من الجهلة المتصوفين من ان لهم ولأشياخهم طريقة باطنة توافق الحق عند الله ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذى عند موسى ـ زندقة وذريعة الى الانحلال بالكلية من دين الاسلام ، بدعوى ان الحق في أمور باطنة يخالف ظاهر الشرع .

قال القرطبي رحمه الله ـ في تفسيره ما نصه :

قال شيخنا أبو العباس : (ذهب قوم من زنادقة الباطنية الى سلوك طريق لا تلزم منه هذه الأحكام الشرعية فقالوا : هذه الأحكام الشرعية العامة انما يحكم بها على الأنبياء والعامة ، وأما الأولياء واهل الخصوص فلا يحتاجون الى تلك النصوص ، بل انما يراد منهم ما يقع في قلوبهم و يحكم عليهم من خواطرهم وقالوا ذلك لصفاء قلوبهم عن الاكدار ، وخلوها من الأغيار ، فتتجلى لهم العلوم الالهية ، والحقائق الربانية فيقفون على أسرار الكائنات ويعلمون أحكام

---

(١) انظر تلبيس ابليس ص١٤ : (وفي رواية ابن تيمية قال الشافعي : انقصر لو رأيته يمشي على الهواء ما قبلته)

(٢) البدعة ص١١٠

(٣) البخارى كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم حديث رقم ١٠٠ المطبعة السلفية .

الجزئيات ، فيستغنون بها عن احكام الشرائع الكليات ،كما اتفق للخضر (١) فانه استغنى بما تجلى له من العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم — قال شيخنا رضي الله عنه — وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب لأنه انكار ما علم من الشرائع) (٢)

الطريق واحد لا يتعدد :

وإذ رأينا أن البدع مذمومة ، ورأينا موقف الصحابة والتابعين لهم باحسان ممن احدثوا في الدين ما ليس منه ، زعما منهم أن ذلك فيه مرضاة لله عز وجل ، هذا الموقف الذى تجلى في انكارهم المحدثات ، تبين لنا أن :

الطريق الى ولاية الله الحقة واحد لا يتعدد ، وهو اتباع الشريعة الغراء ، والشريعة اذا أريد بها ما جاء به الكتاب والسنة لم يكن لأحد من أولياء الله الخروج عنها ،ومن ظن أن لأحد من الأولياء طريقا غير متابعة النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فهو كافر ولا حجة لمن احتج بقصة موسى والخضر والاحتجاج بها غلط من وجهين :

أحدهما : ان موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا الى الخضر ،ولا كان على الخضر اتباعه ، فان موسى كان مبعوثا لبني اسرائيل .

وأما محمد صلى الله عليه وسلم ،فرسالته عامة لجميع الثقلين الانس والجن ، ولو أدركه من هو أفضل من الخضر كابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وجب عليهم اتباعه ، فكيف بالخضر سواء أكان نبيا أو وليا ، ولهذا قال الخضر لموسى عليه السلام : انا على علم من الله علمنيه الله تعالى لا تعلمه ،وأنت على علم من الله علمكه الله لا أعلمه ، وليس لأحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ان يقول : مثل هذا الا أن يكون مفتريا كذابا .

---

(١) انظر ص ١٤٣ من البحث.

(٢) محمد الأمين الشنقيطي ، اضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن جـ٤ ص١٦٠

الثاني :— ان ما فعله الخضر لم يكن مخالفة لشريعة موسى عليه السلام ، و موسى لم يكن علم الأسباب التي تبيح ذلك ، فلما بينها له وافقه على ذلك ، فان خرق السفينة ، ثم ترقيعها لمصلحة أهلها خوفا من الظالم أن يأخذها ، احسان اليهم وذلك جائز ، وقتل الصائل جائز صغيرا كان أو كبيرا ، و من كان تكفيره لأبويه لا يندفع الا بقتله جائز قتله ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما لنجدة الحروري لما سأله عن قتل الغلمان ، قال : ان كنت علمت منهم ما علمه الخضر من الغلام فاقتلهم ، والا فلا تقتلهم (١) و سيأتي تفصيل ذلك في الأولياء .

قال ابن القيم رحمه الله :

(والطريق الى الله في الحقيقة واحد لا تعدد فيه ، هو صراطه المستقيم الذي نصبه موصلا لمن سلكه ، قال تعالى ﴿ وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾) .

فوحد سبيله لأنه في نفسه واحد لا تعدد فيه وجمع السبل لأنها كثيرة متعددة كما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم خط خطا ، ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ :﴿ وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾

و من هذا قوله تعالى :

﴿ الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمٰت الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطٰغوت يخرجونهم من النور الى الظلمٰت ﴾

فوحد النور الذي هو سبيله وجمع الظلمات التي هي سبل الشيطان (٢) فواجب المسلم ان يعلم أن خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وان أفضل السبل والطرق المحجة البيضاء التي ترك عليها أصحابه

---

(١) انظر الفرقان ص٦٥

(٢) ابن القيم طريق الهجرتين باب السعادتين ص ٣٢٢ بتحقيق عبدالله ابراهيم الانصاري .

وتوعد من زاغ عنها بالهلاك قال صلى الله عليه وسلم :

(لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء) (١)

فكثير من الأمور التي اصبحت معروفة كانت منكرة عند سلف هذه الأمة ، وكثير من الناس اليوم يتحببون الى الله بما يبغضهم الله عليه ، قال محمد بن وضاح :

(فكم من أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس ، كان منكرا عند من مضى ، وكم من متحبب الى الله بما يبغضه الله عليه ، ومتقرب الى الله بما يبعده ، بسنه ، وكل بدعة عليها زينة وبهجة) (٢)

فلا ولاية ولا قرب ولا صلاح ولا فلاح الا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الا صراط الله المستقيم .

طريق الولاية كما يراه الصوفية :

نشأ التصوف في نهاية القرن الثاني الهجري كما سيأتي بيان ذلك ، الا انه في القرن الرابع الهجري اصبح ذا نظام دقيق ، له اصوله وقواعده وفروعه ، ويرى الصوفية على اختلاف نحلهم ، ان الحياة الروحية لها بداية ونهاية ، ولها طريق لا بد من معرفته ولا بد من اتخاذ الدليل الخبير وهو ما يسمى عندهم بالشيخ أو المرشد ، ومهما بلغ المتحنث من الدرجات ولم يكن له شيخ فليس عندهم بشيء .

قال أبو سعيد :

(اذا بلغ الرجل أعلى درجة ، وكان عالما بالغيب فان لم يكن له استاذ فلا يتأتى منه شيء) (٣)

---

(١) اخرجه ابن ماجه في المقدمة الباب الأول حديث رقم ٥

(٢) الحوادث والبدع ص ١٣٧

(٣) ابو سعيد ، اسرار التوحيد ص ٢٤٢ ط طهران .

بدايــة الطريــق :

هناك مدة لا بد أن يقضيها المريد مع الشــيخ كتمهيد لأن يعطى الاذن بسلوك الطريق ،وهى ثلاث سنوات يقضى الأولى فى خدمة القوم ،والثانية فى خدمة الله والثالثة فى مراقبة قلبه .

ولا يقوم بواجبه نحو القوم ،حتى يقف منهم موقف العبد من سيده فيؤ ثرهم جميعا على نفسه و يعتبرهم خيرا منه ويعد من واجبه خدمة الكل علــى السواء ،ولا يكون فى خدمة الله حتى يجرد نفسه عن كل رغبة تتصل بالدنيا أو بالآخرة ، و يعبد الله لذاته ويراقب قلبه حتى يحصر جميع همه فيما أقبل عليه ، ويترك كل ما يشغل باله حتى لا تتطرق الغفلة الى قلبه فى حال مناجاته مع اللــه . (٢)

الخرقـــة :

ثم لا بد ،وهو يسلك هذا الطريق ان يلبس لباسا خاصا ،وهو الخرقة يقول السهروردى :

(لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ والمريد ،وتحكيم المريد للشيــخ فى نفسه ... لمصالح دينه ، يرشده و يهديه ،ويعرفه طريــق المواجيد و يبصره بآفات النفوس ،وفساد الاعمال ، ومداخل العدو ،فيسلم نفسه و يستسلم لرأيــه و استصوابه فى جميع تصاريفه ،فيلبسه الخرقة اظهارا للتصرف فيه ، فيكون لبس الخرقــة عــلامة التفويض والتسليم ،ودخوله فى حكم الشــيخ ، دخوله فى حكــم الله ورسوله ، واحياء سنة المبايعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٣)

---

(١) ابو الحسن على بن محمد بن على الجرجانى ، التعريفات ص٧٤ ط الدار التونسية .

(٢) فى التصوف ص٧٨ وانظر الصوفية فى الاسلام ص١٧ نقلا عن كشف المحجوب ص ٥٤ .

(٣) السهروردى ،عوارف المعارف مع جـ ٥ من احياء علوم الدين ص ٧٨ .

فيعتبر السهروردى لبس الخرقة انقيادا للشيخ ظاهرا وباطنا ، فليس من حق المريد بعد ذلك أن يعترض لو رأى المنكر بعينيه ، فان ما يراه منكرا فهو فى عين المعروف وهذا من قبيل ما دار بين موسى والخضر عليهما السلام بل يبالغ السهروردى حتى يسلبه أضعف الايمان ، اذ ليس من حقه أن ينكر باطنا ، فاذا فعل لا يفلح واليك قوله :

(وهذا شرط المريد مع الشيخ بعد التحكيم فلبس الخرقة يزيل اتهام الشيخ عن باطنه ، فى جميع تصاريفه ويحذر الاعتراض على الشيوخ فانه السم القاتل للمريد ، وقل أن يكون المريد يعترض على الشيخ بباطنه ، فيفلح ، ويذكر المريد فى كل ما أشكل عليه من تصاريف قصة موسى والخضر عليهما السلام ، كيف كان يصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى ، ثم لما كشف له عن معناها ، بان لموسى وجه الصواب فى ذلك ، فهكذا ينبغى للمريد أن يعلم أن كل تصرف أشكل عليه صحته من الشيخ ، عند الشيخ فيه بيان وبرهان للصحة ، ويد الشيخ فى لبس الخرقة تنوب عن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتسليم المريد له تسليم لله ورسوله) (١)

ويقول ذو النون المصرى (طاعته لشيخه فوق طاعته لربه) فلا تجوز بأى حال من الأحوال مخالفة المريد لأستاذه واذا وقعت المخالفة بالفعل ، فلا توبة منها ، وهذا ما يرويه القشيرى فى رسالته حيث يقول :

(سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول : بدء كل فرقة المخالفة يعنى به أن من خالف شيخه لم يبق على طريقته وانقطعت العلقة بينهما ، وان جمعتهما البقعة ، فمن صحب شيخا من الشيوخ ، ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ، ووجبت عليه التوبة ، على ان الشيوخ قالوا : عقوق (الأستاذين) لا توبة عنه ، سمعت ابا عبد الرحمن السلمى يقول : خرجت

---

(١) عوارف المعارف مع الاحياء جـ٥ ص ٧٩

(٢) فى التصوف الاسلامى ص ٨٨ نقلا عن تذكرة الاولياء جـ١ ص ١٧١

الى مرو ، فى حياة شيخى الاستاذ أبى سهل الصعلوكى ،وقد كان له قبل خروجى أيام الجمعة بالغدوات مجلس دور القرآن والختم ، فوجدته عند رجوعى قد رفع ذلك المجلس ،وعقد لابى الغفانى فى ذلك مجلس القول فداخلنى من ذلك شىء ، فكنت أقول فى نفسى قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول . فقال لى يوما : يا ابا عبدالرحمن ما يقول الناس فىّ ؟ فقلت يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول ؟ فقال : من قال لاستاذه لم ؟ لا يفلح أبدا) (١)

ومن النصين السابقين يتضح مدى انحراف الصوفية عن الجادة ،حيث ادعوا أولا :

أن يد الشيخ حين يلبس المريد الخرقة ،نائبة عن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن مبايعة المريد للشيخ مبايعة لله والرسول ،كأنما كانت الخرقة من سنته صلى الله عليه وسلم .

ثانيا :

قضى الصوفية بهذا الزعم على ميزة من أكبر مميزات هذه الأمة ، وبهذه الميزة شرفت قدرا وسمت مكانة وقويت سلطانا فرهبها أعداؤها ،وهى ميزة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر التى تعتبر فى الاسلام بمثابة الروح من الجسد ، والتى مدح الله سبحانه بها هذه الأمة بقوله تعالى :

﴿ كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (٢)

وقد صور الصوفية المنكر معروفا ،والمعروف منكرا ما دام ذلك من فعل الشيخ ، كأن الشيخ معصوم لا يخطىء بحال ، فقضوا بذلك على أضعف الايمان وهو درجة الانكار بالقلب التى ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم ، آخر مراتب النهى عن المنكر

---

(١) الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٦٣٣/٦٣٤

(٢) آل عمران الاية : ١١٠

التى من حرمها حرم أضعف الايمان .

ثم جعلوا طاعة الشيخ فوق طاعة الله تعالى ، وهذا كلام ظاهر البطلان فقد قال الله تعالى :

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ (١)

وأغلقوا باب التوبة أمام من عق شيخه وبذلك خالفوا نصوص الشرع الصريحة فى هذا الأمر ، قال صلى الله عليه وسلم :

(ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) (٢)

من أركان الطريق عندهم الذكر :

والولاية لا تحصل الا بدوام الذكر ، لأن الذكر عندهم ركن من اركان الطريق الى الولاية ، بل هو بمثابة كتاب عهد ولاية الحكم .

قال القشيرى :

(سمعت أبا على الدقاق يقول : الذكر منشور الولاية ، فمن وفق للذكر فقد أعطى منشور الولاية ومن سلب الذكر فقد عزل) (٣)

ويقول القشيرى :

(الذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه ، بل هو العمدة فى هذا الطريق ، ولا يصل احد الى الله سبحانه الا بدوام الذكر) (٤)

وكان الصوفية يبالغون فيه حيث يقولون : (ان الشبلى كان فى ابتداء أمره ينزل كل يوم سربا ، ويحمل معه نفسه حزمة من القضبان ، فكان اذا دخل قلبه غفلة ضرب نفسه بتلك الخشب حتى يكسرها على نفسه فربما كانت الحزمة تفنى قبل أن يمسى فكان يضرب بيديه ورجليه على الحائط) (٥)

---

(١) الاحزاب الاية : ٣٦ (٢) صحيح مسلم كتاب التوبة ح ٣١

(٣) الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٤٦٥ (٤) نفس المصدر والصفحة

(٥) نفس المصدر والصفحة .

وهكذا يستمر الصوفي في الذكر والمجاهدة حتى يفنى في مذكوره بحيث يفنى عن ذكره كما يقول الغزالي :

(وما دام القلب يشعر بالذكر ويلتفت اليه فهو معرض عن الله عز وجل ، غير منفك عن شرك خفي حتى تصير مستغرقا بالواحد الحق ، وذلك هو التوحيد) (١)

ويواصل الغزالي قائلا :

(وثمرة لباب الذكر الفناء ، فاذا فهمت الفناء في الذكر " فاعلم " أنه أول الطريق وهو الذهاب الى الله عز وجل وانما الهدى بعده ، اعني بالهدى هدى الله كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليه ﴿ اني ذاهب الى ربي سيهدين ﴾ (٢)

فأول الأمر ذهاب الى الله ، ثم ذهاب في الله ، وذلك هو الفناء والاستغراق به ، ولكن هذا الاستغراق يكون أولا كبرق خاطف قل ما يثبت ويدوم ، فان دام ذلك صار عادة راسخة وهيئة ثابتة عرج به الى العالم الأعلى ، وطالع الوجود الحقيقي الأصفى وانطبع له نقش الملكوت ، وتجلى له قدس اللاهوت واول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة وأرواح الأنبياء والاولياء في صوره جميلة ، يفيض اليه بواسطتها بعض الحقائق وذلك في البداية الى ان تعلو درجته عن المثال ، فيكافح بصريح الحق في كل شيء) (٣)

ثم يعرف الغزالي الفناء قائلا :

(وأما الفناء فعبارة عن حالة تركد فيها الحواس ولا تشتغل ويسكن فيها الخيال ولا يشوش فان بقيت في الخيال بقية مغلوبة لم يؤثر الا في محاكاة ما يتجلى من عالم القدس حتى يتمثل الأنبياء والملائكة والارواح المقدسة في قالب الخيال) (٤)

---

(١) الغزالي كتاب الاربعين في اصول الدين ص٣٧ المكتبة التجارية الكبرى بدون تاريخ
(٢) الصافات الاية : ٩٩ (٣) المصدر السابق ص٣٧ (٤) المصدر السابق ص٣٨

وعرفه الجرجاني بقوله :

(الفناء سقوط الاوصاف المذمومة ،كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة والفناء فناءان ،احدهما ما ذكرناه وهو بكثرة الرياضة ،والثاني : عدم الاحساس بعالم الملك والملكوت وهو الاستغراق في عظمة الباري ومشاهده الحق) (١)

ولا يصل العبد الى الفناء حتى يكون هنالك تحول في النفس وذلك بذهاب شهواتها ، فانهم يقولون :

١ — ان فناء الصفات والافعال المذمومة التي هي وليدة الهوى والشهوة نتيجة لبقاء الصفات والافعال الحميدة التي تقابلها لا يكون الا بهذا التحول ٠

ومعنى هذا ان الصوفي اذا فني عن الغفلة بقي بذكر الله ،وذلك بحصر الشعور في الله وصفاته وحده ، ويبلغ الصوفي أرقى درجات الفناء عندما يفنى عن الفناء ، أي عندما ينقطع شعوره بحال فنائه وادراكه اياه ،وهناك يقال : ان العبد استولى عليه سلطان الحق فلا يشهد سواه ٠

٢ — أن يغيب عن كل ما يحس ،وعن كل ما يخطر بالعقل فيعطل حياته الحسية والعقلية تعطيلا كاملا ٠ واستشهد القشيري بالقصة التالية قال :

(وقد حكى ان ذا النون المصري ،بعث انسانا من أصحابه الى ابي يزيد البسطامي ،لينقل اليه صفة أبي يزيد ٠٠٠ فلما جاء الرجل الى بسطام ، سأل عن دار أبي يزيد ،فدخل اليه فقال له ابو يزيد : ما تريد ؟ فقال : أريد أبا يزيد ، فقال من ابو يزيد ؟ وأين أبو يزيد ؟ أنا في طلب أبي يزيد فخرج الرجل وقال : هذا مجنون ورجع الى ذي النون ،فأخبره بما شهده ، فبكى ذو النون وقال : أخي أبو يزيد ذهب الى الذاهبين الى الله) (٢)

ولذا يقولون : ان الصوفي في حال الفناء لو ضرب وجهه بالسيف ما أحس به ٠ (٣)

---

(١) التعريفات ٢ ص ٩١ ط تونس

(٢) الرسالة القشيرية ج١ ص ٢٣٤ / ٢٣٥ (٣) انظر اللمع ص ١٩٢

ويروى القشيرى ما دار بينه وبين شيخه سرى السقطى فيقول :

(ذكريوما عند سرى السقطى رحمه الله تعالى ، المواجيد الحادة فى الأذكار القوية ، وما جانس هذا مما يقوى على العبد ، فقال سرى رحمه الله ، وقد سألته فيه فقال : نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يحسه ، قال أبو القاسم رحمه الله ، كان عندى فى ذلك الوقت أن هذا لا يكون فراجعته أنا فى ذلك الوقت فقلت له • يضرب بالسيف ولا يحس ؟ انكارا منى لذلك فقال : نعم يضرب بالسيف ولا يحس وأقام على ذلك) (١)

ويحكون عن أبى الخير الأقطع ان قدمه جرحت فلما فسد الجرح أشار عليه الطبيب بقطعه ، ولكن أبا الخير أبى ذلك ، فقال مريدوه للطبيب : لو قطعت قدمه أثناء صلاته لما أحس بها لأنه يغيب عن حسه فيها ففعل كما قالوا ، ولما قضى ابو الخير صلاته وجد قدمه قد قطعت • (٢)

ومن المعلوم ان الذى لا يشهد شيئا سوى الله ويفنى حتى عن فنائه ، يكون فى حالة لا يحس فيها بوقت الصلاة ولا بوجوبها اللهم الا اذا خرج عن فنائه وعاد الى صحوه ، وقد نقل نيكلسون عن الهجويرى ما يؤيد ما قلنا : حيث يذكر :

(أن أبا يزيد والشبلى ، وغيرهما من كبار الأولياء ، كانوا فى حالة جذب دائمة الى أن يحين وقت الصلاة ، وهناك يصحون من سكرهم فاذا انتهوا من صلاتهم عادوا الى حالة الوجد) (٣)

والملاحظ ان الاختلاف ظاهر بين النصين اذ أن ابا الخير يفنى فى الصلاة اما فيما عداها فهو صاح باق على حاله ، وأن غيره كأبى يزيد والشبلى يصحون فيها وبانقضائها يفنون •

---

(١) اللمع ص ٣٨١

(٢) فى التصوف الاسلامى ص ١٠٢

(٣) نفس المصدر والصفحة •

واذا كان الفناء عند الصوفية هو نهاية الطريق كما زعموا وان (الولاية الخاصة مختصة بالواصلين من أرباب السلوك و هى عبارة عن فناء العبد فى الحق وبقائه به فالولى هو الفانى فيه والباقى به والفناء عبارة عن نهاية السير الى الله والبقاء عبارة عن هداية السير فى الله ، لأن السير الى الله ينتهى أمره متى ما قطع العبد بيداء الوجود بقدم العبدية) (١)

هذا ومما لا شك فيه أن الذكر من وسائل القرب الى الله تعالى ،وقد حث الله عليه بقوله :

﴿ ياأيها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ (٢)

وقوله تعالى ﴿ والذاكرين الله والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما ﴾ (٣)

وكما حث عليه مدح أهله وبادلهم ذكرا بذكر فقال جل شأنه :

﴿ الذين يذكرون الله قيامًا وقعودا وعلى جنوبهم ﴾

وقال تعالى ﴿ فاذكرونى أذكركم ﴾ (٤)

و مهما يكن شأن أى ولى من أولياء الله ، لا يكون فى صلاته اعظم مراقبة لله ، وأشد خشوعا وأعظم اجلالا ، وحضورا للقلب وتعلقا بالرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك كان فى صلاته يعرف كم صلى من الركعات .

وقد شرع الله سبحانه صلاة الخوف أثناء الحرب وطبقها خير من مشى على الأرض محمد صلى الله عليه وسلم افضل الرسل جميعا هو وأصحابه الذين هم أفضل الأولياء بعد الأنبياء ،وكان هو وأصحابه فى صلاتهم يعقلون ما يدور فى ساحة الحرب ، بل وشرع الله لهم الصلاة أثناء الحرب .

ولقد ورد فى الأخبار الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما كان يصلى ليلة بدر اذ عثر أصحابه على اثنين من سقاة قريش ،وكانوا يظنون أنهما

---

(١) تاريخ التصوف فى الاسلام ص٣١٧

(٢) الاحزاب : ٤١ (٣) الاحزاب : ٣٥

(٤) البقرة : ١٥٢

سقاة أبي سفيان ، وعندما انتهى من صلاته اخبرهم أنهما سقاة قريش ، فأين هؤلاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟

فلا طريق الى الله سبحانه الا صراطه المستقيم الذى بينه بكتابه الكريم ، وانفاه ، بسنة محمد صلى الله عليه وسلم .

فالفناء عن وجود السوى ليس من شرعة الاسلام . قال ابن تيمية رحمه الله :

(والفناء عن وجود السوى هو قول الملاحدة أهل الوحدة كصاحب الفصوص واتباعه الذين يقولون : وجود الخالق هو وجود المخلوق ، وما ثم غير ولا سوى فى نفس الأمر) (١)

واذا علمنا ما سبق أن الذكر أقوى دعائم الولاية فلا بد كذلك من العلم بان التعلق بالدنيا عند الصوفية من اكبر المعوقات فى هذا الطريق وهو خطأ جسيم وخطب عظيم ، وترك الدنيا هو ينبوع الخير العميم فلا بد للمريد ان يكون زاهدا فيها . فما الزهد ؟

الزهد بين التصوف والاسلام :

اقتضت حكمة الله تعالى البالغة أن يخلق الانسان من روح وجسد ، ولكل منهما غذاء مناسب له ، فغذاء الجسد لذات عاجلة ، مكونة من مادته ، وغذاء الروح لذات عاجلة هى حلاوة الايمان فى هذه الدنيا ، وآجلة يشاركها فيها الجسد وهى رضا الله سبحانه والخلود فى جناته .

ولا تحصل لذة الروح الا بالصلة الكاملة بالله تعالى ، ولما كان الانسان ميالا بطبعه للعاجل مفرطا فى الآجل جاءت ارشادات الله وانذاراته تترى على ألسنة رسله الكرام ، لئلا يقع فريسة للشيطان الذى يزين له الشهوات ليخلد اليها ويتبع الهوى فيفقد بذلك انسانيته وكرامته فى الدنيا كما يفقد سعادته الأبدية فى الآخرة .

---

(١) الرد الاقوم على ما فى فصوص الحكم ص ٤٧

وكل من له أدنى المام بالقرآن الكريم و سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ،يدرك هذا لأن القرآن ركز فى كثير من الايات على توضيح قدر الدنيا بالنسبة للآخرة بقوله تعالى :

﴿ وما الحيواة الدنيا الا لهو ولعب و ان الدار الاخرة لهى الحيوان ﴾ (١)

ويقول تعالى ﴿ وما الحياة الدنيا فى الاخرة الا متاع ﴾ (٢)

ويقول تعالى ﴿ فما متاع الحيواة الدنيا فى الاخرة الا قليل ﴾ (٣)

ويقول تعالى ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المئاب ﴾ (٤)

ففى هذه الاية الكريمة يرشد الله تعالى عباده الى مقدار الدنيا ، ويذمها لئلا يسترسلوا فى اتباع الشهوات ،فيفقدوا ما فيه خيرهم الأبدى وسعادتهم الدائمة .

الدنيا التى ذمها الله :

سمع كثير من الناس ذم الدنيا ، فاعرضوا عما يصلحهم من المطاعم والمشارب ، وقد جعل الله توقان الكائن الى الى ما يصلحه ،غريزة يعمر بها الكون ،فحاربوا هذه الغريزة بحرمان نفوسهم مما تتوق اليه من مباحات الدنيا ، ظنا منهم أن هذا هو الزهد المراد ،وجهلا بحقوق النفس ،وعلى هذا اكثر الزاهدين من المتصوفة ، لقلة علمهم .

ونحن نصدع بالحق من غير محاباة فنقول :

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للانسان فيها متاعه ، فالسماء سقف محفوظ مزدتنة بالكواكب يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ،والأرض قرار حفلت بما هو ضرورى للانسان فى حياته فهى مسكنه ،وما عليها ملبس ، و مطعم ومشرب ومنكح وكل ذلك علف كراحلة بدنه السائر الى الله عز وجل

---

(١) العنكبوت : ٦٤ (٢) الرعد : ٢٦ (٣) التوبة : ٣٨ (٤) آل عمران : ١٤

فانه لا يبقى الا بهذه المصالح . (١)

والصوفية لم يفهموا هذه الحكمة فساروا عكس الطريق فأجحفوا فى حق أنفسهم فحاربوا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ولم يعلموا أن تناول ما يصلح البدن ممدوح وألا مؤاخذة فى المباحات .

زهد الصوفيـــة :

فالزهد عـند الصوفية ،هروب من المسئولية ،وانطواء المرء على نفسه على ما هو مفاد أقوالهم فيه حتى ذهبوا الى الأزهد فى الدنيا ،فقال أبـو حفص الحداد المتوفى سنة نيف وستين ومأتين :

(الزهد فى الحلال ولا حلال فى الدنيا فلا زهد) (٢)

وكان رياح بن عمرو القيسى يقول :

(لا يبلغ الرجل منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ،وأولاده كأنهم أيتام ويأوى الى منازل الكلاب) (٣)

ويقول الغزال : والسد الذى أمام المريد أربعة :

(المال والجـاه ، والتقليد والمعصيـة . وانما يرفع حجاب المال بخروجـه عن ملكه ، حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم فهو به محجوب عـن الله عز وجل) (٤)

وقال الجنيد : (الزهد خلو الأيدى من الأمـلاك) (٥)

وسئل الشبلى عن الزهد فقال :

(ويلكم أى مقدار لأقل من جناح بعوضة حتى يزهد فيها) (٦)

---

(١) انظر حبيب الله الأعظمى مقدمة كتاب الزهد لابن المبارك ص ٣/٢

(٢) الرسالة القشيرية ج٢ ص ٣٢٩ وانظر نفس المصدر السابق ص١٠٦

(٣) عبد الوهاب الشعرانى الطبقات ج١ ص٤٠

(٤) احياء علوم الدين ج٣ ص ٧٥

(٥) التعرف لمذهب اهل التصوف ص ١١٢

(٦) نفس المصدر والصفحة .

وقال أيضا : (لا زهد فى الحقيقة ،أما أن يزهد فيما ليس له فليس ذلك بزهد أو يزهد فيما له فكيف يزهد فيه وهو عنده) (١)

هذه الأمثلة المتقدمة خير شاهد على أن التصوف كان بمثابة السوس فى عظام الاسلام ، فاضعف كيان المسلمين المادى بتصوره الخاطىء المتمثل فى الزهد ، وجعلهم يعيشون كلا على غيرهم بل أن بعض الزهاد ليحمله على الزهد ما يأمله من اعزاز الناس وأكرمهم له والتحدث بشأنه وما وصل اليه من درجة عظمى فى الولاية .

كما أن الزهد بمفهومه عندهم اضعف كيان المسلمين ... المعنوى ، وهو اعداد ما يستطيعه المؤمنون من قوة ذودا عن الاسلام ، بالجهاد فى سبيل الله ،قال الله تعالى :

﴿ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ (٢)

فزهد الصوفية محاربة للفطرة الانسانية لانهم يدعون الى ترك الدنيا كليــة .

يروى أبو نعيم عن القشيرى أنه : (قال لأخ له فى الله اذا كنت تحب أن تكون لله وليا ،وهو لك محبا ، فدع الدنيا والاخرة وولا ترغبن فيهما ، وفرغ نفسك واقبل بوجهك على الله يقبل بوجهه عليك)(٣)

فليس هذا هو الزهد الاسلامى الذى دعا اليه الرسول صلى اللــه عليه وسلم ،وطبقه بنفسه وسار عليه اصحابه من بعده حيث كانوا يعملون ويكسبون ولا يعيشون عالة على غيرهم امتثالا لأمره تعالى :

﴿ فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ﴾ (٤)

---

(١) التعرف لمذهب اهل التصوف ص ١١٢

(٢) الانفال الاية : ٦٠

(٣) الحافظ ابو نعيم احمد بن عبد الله الاصفهانى المتوفى سنة ٤٣٠ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء جا ص ٨٢ و ١٠/١٠٢ .

(٤) الملك الاية : ١٥

وقوله تعالى ﴿ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ (١)

ولقول نبيه صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه :

(لئن تدع ورثتك اغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس) (٢)

فلم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدنيا بالكلية ، ولم يجعلوها أكبر همهم ، وانما ملكوا زمامها ، وجعلوا وجهتها الاخرة فلم تشغلهم عنها طرفة عين .

والله سبحانه وعدهم بما نطق به قوله تعالى :

﴿ وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصلحت ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾ (٣)

وأباح لهم الطيبات قال تعالى :

﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبت من الرزق قل هى للذين ءامنوا فى الحيوة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾ (٤)

وفى قوله تعالى :

﴿ ياأيها الذين ءامنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ (٥)

ما يدل على أن المأمور به ، ألا تكون الدنيا شاغلة عن الآخرة صارفة للعبد عن طلب ما عند الله ، وعلى هذا النحو جاء زهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

ومع هذا فالزهد أقسام .

---

(١) الجمعة الاية : ١٠

(٢) البخارى ، كتاب النفقات .

(٣) النور الاية ٥٥

(٤) الاعراف الاية ٣٢

(٥) المنافقون الاية ٩

اذ يقسمه ابن القيم الى الأقسام التاليـة :

١ — فرض على كل مسلم ، وهو ترك الحرام .

٢ — مستحب وهو ترك المكروه وفضول المباحات .

٣ — الزهد فى الجملة .

وليس المراد به خلو اليد من الدنيا واخراجها وقعوده صفرا منها ، وانمـــا اخراجها من قلبه بالكلية فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهى فى قلبك وانما الزهد أن تتركها من قلبك وهى فى يدك .

وهذا كان حال سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح ، وما زاده ذلك الا زهدا فيها ، وكحال خلفائه الراشديـن وعمر بن عبد العزيز الذى يضرب بزهده المثل مع أن خزائن الأموال فى يده .

ومنه هذا الأثر المشهور ، وقد روى مرفوعا وموقوفا :

(ليس الزهد فى الدنيا بتحريم الحلال ولا اضاعة المال لكن الزهـد فى الدنيا أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك ، وأن تكون فى ثواب المصيبة اذا أصبتها أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك والـذى يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء :

١ — علم العبد أن الدنيا ظل زائل كما وصفها الله تعالى فى قوله تعالى :

﴿ اعلموا انما الحيواة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فـى الأموال والأولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ﴾ (١)

وقوله تعالى ﴿ انما مثل الحيواة الدنيا كماء أنزلنه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما ياكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفهـا وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتيها أمرنا ليلا أونهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ﴾ (٢)

---

(١) الحديد : ٢٠ (٢) يونس : ٢٤

وقوله تعالى ﴿ واضرب لهم مثل الحيواة الدنيا كماء انزلنه من السماء فاختلط به نبات الأرض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا ﴾ (١)

٢ — وعلمه ان وراءها دارا اعظم منها قدرا وأجل خطرا .

٣ — ومعرفته أن زهده فيها لا يمنعه شيئا كتب له وأن حرصه لم يجلب له شيئا لم يقدر عليه . (٢)

نماذج من زهد الرسول صلى الله عليه وسلم :

لم يعرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم ،انه عاش كلا على غيره نعم كان يقبل الهدية ويرفض الصدقة وأحل الله سبحانه له الغنائم قال تعالى :

﴿ واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ﴾ (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم : (احلت لى الغنائم) (٤)

وكان صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من الجوع والفقر كثيرا ،ويسأل الله سبحانه له ولآله القوت نعم لم تكن الدنيا أكبر همه ،ولم يعن بحظوظ نفسه ،بل كان يقنع بالقليل ويرضى باليسير . وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم ارزق آل محمد صلى الله عليه وسلم قوتا) (٥)

---

(١) الكهف الاية : ٤٥

(٢) انظر الامام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ص ٢٥١ المطبعة السلفية ومكتبتها سنة ١٩٧٥م بتصحيح محب الدين الخطيب .

(٣) الانفال الاية : ٤١

(٤) البخاري ،كتاب فرض الخمس ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (احلت لكم الغنائم) ح ٣١٢٢ وانظر فتح الباري ج ٦ ، ص ٢٢٠ ط السلفية وشرح مسلم للنووي ج ١٢ ص ٥١

(٥) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ج ٣ ص ٣٢٠ ح ١٨٦٩ .

وقالت عائشة رضى الله عنها :

(ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض) (١)

وقالت رضى الله عنها :

(ما أكل آل محمد صلى الله عليه وسلم أكلتين فى يوم الا كان احداهما تمرا) (٢)

وقالت رضى الله عنها لعروة : ابن اختى ان كنا لننظر الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة وشهرين وما أوقدت فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، قال عروة فقلت : يا خاله ما كان يعيشكم قالت : الأسودان التمر والماء الا انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، جيران من الانصار كانت لهم منائح ،كانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانهم فيسقينا) (٣)

وعنها أيضا : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،كانت تأتى عليه أربعة أشهر ما يشبع من البر) (٤)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشد صلبه من الضرث (الجوع) (٥) .

وعن أنس رضى الله عنه (أن فاطمة عليها السلام جاءت بكسرة خبز الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا فاطمة ؟ قالت قرص خبزته ، فلم تطب نفسى حتى آتيك بهذه الكسرة فقال أما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام) (٦)

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جـ٣ ص ١٣٢ ح ١٨٧١ وانظر الحديث رقم ١٨٧٥ عن ابى هريرة وانظر ابن سعد جـ١ ص ٤٠١

(٢) المصدر السابق جـ ٣ ص ١٣٢ ح ١٨٧٢

(٣) المصدر السابق جـ٣ ص ١٣٢ ح ١٨٧٣ وانظر ابن سعد جـ١ ص ٤٠١ وانظر الامام احمد كتاب الزهد ص ٥

(٤) طبقات ابن سعد جـ١ ص ٤٠٠ (٥) نفس المصدر والصفحة

(٦) نفس المصدر والصفحة

هكذا كان شأن الرسول صلى الله عليه وسلم مع الدنيا وسلك نفس الطريق أصحابه وهو الطريق الذى ارتضاه الله سبحانه لعباده الصالحين .

زهد الصحابة رضى الله عنهم :

وشارك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه نفس الحياة بنفس راضية وقناعة عالية فسعد ابن أبى وقاص يقول : (لأنى لأول العرب رمى بسهم فى سبيل الله ، ورأيتنا نغزو وما لنا طعام الا ورق الحبلة (*) وأن احدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط ، ثم أصبحت بنو أسد تعذرنى على الاسلام خبت اذن وضل سعيى) (١)

قال النووى : وهذا بيان لما كانوا عليه من الزهد فى الدنيا والتقلل منها والصبر فى طاعة الله على المشاق الشديدة) (٢)

وقال جابر بن عبدالله رضى الله عنه : رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه لحما معلقا فى يدى ، فقال ما هذا يا جابر ؟ فقلت : اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر : وكلما اشتهيت اشتريت ، اما تخاف من هذه الاية :

﴿ أذهبتم طيبتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾ (٣)

كل هذه الأدلة ترينا الفارق بين زهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وزهد الصوفية والفرق بينهما هو الفارق بين الايجاب والسلب ، اذ أن زهد الصوفية هروب من المسئولية ، ونصوصهم فيه خير شاهد على رفض الحياة وتعطيل استخلاف الله سبحانه البشر فى الأرض ، لأنهم يهربون من الواقع ، ويتركون الدنيا يستمتع بها غيرهم . وزهد الرسول صلى الله عليه وسلم

(*) ورق الحبلة : ثمر السلم والسلم نوع من الاشجار الصحراوية .

(١) اللؤلؤ والمرجان جـ٣ ص ٣٢٠ ح ١٨٦٩

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) الاحقاف : ٢٠ وانظر علاء الدين على بن محمد البغدادى الصوفى ، تفسير الخازن جـ٦ ، ص ١٢٦ دار الفكر بيروت .

وأصحابه في الدنيا لا يعني ذلك ، وانما يعني امتلاك الدنيا والسيطرة على خيراتها دون ان تشغلهم عن الاخرة اذ الدنيا مطية الآخرة ، فأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ملكوها وزهدوا فيها بقلوبهم فعمر رضي الله عنه ، الحاكم الذي شمل حكمه الرقعة الاسلامية التي تقوم عليها كثير من دول المسلمين اليوم ، كان يتوسد الحجر ، ويلبس المرقع ، ومع ذلك فهو الحاكم المهاب الذي تخشى صولته ، ولم يكن وحيداً في هذا المضمار ، فلقد اخرج احمد في كتاب الزهد ، قال :

(قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام فتلقاه عظماء اهل الأرض وأمراء الاجناد فقال عمر : أين أخي ؟ قالوا : من ؟ قال : أبو عبيدة ، قالوا : آتيك الان قال : فجاء على ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه ، وسأله ، ثم قال للناس : انصرفوا فسار حتى أتى منزله فنزل عليه ، فلم ير في بيته الا سيفه وترسه ورمحه ، فقال : لو اتخذت متاعا أو شيئا فقال ابو عبيدة : يا أمير المؤمنين ان هذا سيبلغنا المقيل) (١)

فهذا امير المؤمنين مع قائد جيشه الذي تهاوت امبراطورية قيصر تحت أقدامه ، لم يجد الخليفة في بيته الا ما خرج به من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورث العرش والتلج ولم يكن في بيته الا أدوات الحرب التي خرج بها من المدينة .

ان امثال عمر وأبي عبيدة كثر ، كسعيد بن عامر والي حمص الذي كان يوزع كل عطائه على الفقراء حتى يصير افقرهم جميعا وهو أميرهم (٢)

ولقد ذكرنا نماذج من الحكام دليلا على ان الدنيا بايديهم وزهدوا فيها مختارين . فهذا هو زهد الاسلام المبني على عزة النفس وقوة العزيمة وهؤلاء الذين ذكرنا ، هم نماذج المسلمين التي يحتذى بها ، فقد رباها رسول اللـــــــه

(*) تبلغ المقيل : موضع القيلولة يشير الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ، سار في يوم صائف فقال تحت شجرة ثم راح وتركها " (متفق عليه)

(١) الزهد للامام احمد بن حنبل ص ١٨٤ / ١٨٥

(٢) انظر نفس المصدر ص ١٨٥

(٣) انظر البخاري كتاب قصة الخمس وانظر محمد علوي مالكي ، الانسان الكامل ص ١٧٧ ط اولى سنة ١٤٠٠

صلى الله عليه وسلم لتكون المنار لخلف هذه الأمة ، فزهدهم كان اختيارا لأنهم فتحوا الأمصار وورثوا الأرض والديار والاموال فأعرضوا عنها وصرفوها جميعا في سبيل الله ، رغبة في حسن مثوبته :

﴿ وما عند الله خير وأبقى للذين ءامنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾(١)

---

(١) الشورى الآية ٣٦

الباب الثاني

في

الأولياء

ويشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الأول في من هو الولي ؟

الفصل الثاني في مراتب الأولياء .

الفصل الثالث في كرامات الأولياء .

الباب الثاني

الأوليـــــــــــاء

الفصل الأول

من هو الولـــــــــي

المبحث الأول : الولي في الاسلام :

لقد تقدم فيما سبق تعريف الولاية لغة وشرعا ،ووجدناها في كـــلا التعريفين تدور على القرب وبهذا نتوصل الى أن الولي هو القريب ، بيد أن القرب المطلوب هنا هو القرب من الله تعالى .

ولذا قال الرازى :

(الولي هو القريب في اللغة ،فاذا كان العبد قريبا من حضرة اللـــه بسبب كثرة طاعاته وكثرة اخلاصه ،وكان الرب قريبا منه برحمته وفضله واحسانه ، فهناك حصلت الولاية) (١)

والتعريفات المذكورة في كثير من الكتب لكلمة " ولي " متعددة والغالب على الكثير منها أن الولي هو العارف وهذا ما يستعمله الصوفية كثيرا،جاء فـــي شرح العقائد النسفية :

(الولي هو " العارف " بالله حسب ما يمكن ، المواظب على الطاعة ، المجتنب المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات) (٢)

وبنفس هذه الألفاظ دون زيادة أونقصان ورد تعريف الولي فـــي كتاب التعريفات (٣)

ولو وضعت كلمة " العالم " بدل " العارف " حصل المقصود ولكن الصبغة الصوفيـــة التي دخلت الاسلام من الفلسفة اليونانية ،سيطرت على كثير من العلماء حتى غيرت كثيرا من المفاهيم الاسلامية في شتى المجالات .

---

(١) التفسير الكبير للرازى جـ١٧ ص٨٤ دار الكتب العلمية طهران بدون تاريخ .
(٢) التفتازاني مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية جـ١ ص١٩٤
(٣) انظر التعريفات للجرجاني ص١٣٢ ط. تونسية .

فأول من قال بالمعرفة " ارسطو " ورأى أن المعرفة وحدها هي طريق الانسان نحو الكمال في الانسانية ،واذا تطور الانسان في المعرفة ووصل في مراتبها لأن يكون صورة انسانية خالصة أي عقلا خالصا ، فقد صار شبيها بالصورة المحضة للعالم كله. (١)

وقال ابن جرير الطبري :

(الولي معناه " فعيل " من قول القائل وليت أمر فلان ،اذا صرت به قيما ، فأنا اليه ، فهو وليه وقيّمه ، ومن ذلك قيل " فلان ولي عهد المسلمين " يعني به القائم بما عهد اليه من أمر المسلمين) (٢)

وابن حجر يعرف الولي بتعريف مختصر محدد في فتح الباري ،فيقول :
(المراد بولي الله العالم بالله ، المواظب على طاعته المخلص في عبادته) (٣)

فالعلم بالله لا بد منه ، لأن الجهل ينافي الولاية ، والمواظبة على طاعة الله من لوازم الولاية الحقة ، والاخلاص هو روحها ،فمن لم يخلص عمله لله لم يقبل عمله فعن أبي سعيد بن أبي فضالة وكان من الصحابة قال :

(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اذا جمع الله الناس ليوم لا ريب فيه ، نادى مناد من كان أشرك في عمله عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله أغنى الشركاء عن الشرك) (٤)

---

(١) انظر الجانب الالهي من التفكير الاسلامي ص٢٦٣
(٢) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ،جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٢ ص٤٨٩ الطبعة الثانية بتحقيق احمد ومحمود شاكر.
(٣) فتح الباري ج ١١ ص ٣٤٢ ط السلفية .
(٤) اخرجه الترمذي في كتاب التفسير ح ٥١٦١ وابن ماجه في كتاب الزهد والبيهقي وصححه ابن حبان .

ويقول الرازى رحمه الله فى تفسير قوله تعالى :

﴿ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾

اعلم انا نحتاج أن نبين فى تفسير هذه الآية أن الولى من هو ؟ ثم نبين تفسير نفى الخوف والحزن عنه فنقول :

أما الولى من هو ؟ فيدل عليه القرآن ، والخبر ، والأثر والمعقول .

أما القرآن فهو قوله تعالى فى هذه الاية ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾

فهذه الآية شاملة للاعتقاد والعمل .

وأما الأخبار فكثيرة روى عمر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (هم الذين يذكر الله برؤيتهم) (١)

والسبب فيه أن رؤيتهم تذكر أمر الاخرة ، لما يشاهد فيهم من آيات الخشوع والخضوع ، ولما ذكر الله سبحانه فى قوله : ﴿ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ﴾ (٢)

وأما الأثر فلقد قال أبو بكر الأصم : اولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان ، وتولوا القيام بحق العبودية والدعوة اليه .

وأما المعقول ، فقد ظهر فى علم الاشتقاق أن تركيب (الواو — واللام — والياء) يدل على القرب فولى كل شيء هو الذى يكون قريبا منه والقرب من الله بالمكان والجهة محال ، وانما هو قرب معنوى لتعلق الحواس كلها به تعالى ، فان رأى ، رأى دلائل قدرته تعالى ، وان سمع ، سمع آياته تعالى ، وان نطق ، فبالثناء عليه تعالى وان تحرك ، فلخدمته تعالى ، وان اجتهد ، ففى طاعته تعالى ، فهناك يكون فى غاية القرب من الله تعالى ، فهذا الشخص يكون وليا لله تعالى . واذا كان كذلك كان الله وليا له أيضا كما قال تعالى :

﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ﴾

---

(١) انظر البحث رقم الصفحة .

(٢) الفتح الاية : ٢٩

ويجب أن يكون الأمر كذلك لأن القرب لا يحصل الا من الجانبين . (١)

ولكلمة (ولى) معنيان اما أن تكون بمعنى اسم المفعول كقتيل وجريح كما فى من تولاه الله ، قال تعالى :

﴿ أن ولى الله الذى نزل الكتب وهو يتولى الصالحين ﴾ (٢)

وهذا لا يمنع أن تكون الولاية كسبية لأن المجاهدة أمر حتم على المرء من الذى يتولاه الله بهدايته ، قال تعالى :

﴿ والذين جهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ﴾ (٣)

أو تكون كلمة (ولى) صيغة مبالغة وهو الذى تتوالى طاعته من غير انقطاع .

قال الرازى :

(.. أن يكون فعيلا مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير ، فيكون معناه من توالت طاعته من غير تخلل معصية ... أو أن يكون فعيلا بمعنى مفعول كقتيل وجريح بمعنى مقتول ومجروح . وهو الذى يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على التوالى عن كل أنواع المعاصى ويديم توفيقه على الطاعات واعلم ان هذا الاسم مأخوذ من قوله تعالى :

﴿ الله ولى الذين آمنوا ﴾

وقوله تعالى ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾

وقوله تعالى ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾

وقوله سبحانه ﴿ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾

---

(١) انظر التفسير الكبير للامام الفخر الرازى جـ١٧ ص١٢٦ ط اولى سنة ١٣٥٧هـ١٩٣٨م

(٢) الأعراف : ١٩٦

(٣) العنكبوت : ٦٩

ولا تتوالى طاعته الا بتولية الله له . هذا التعريف لا يخلو من مسحة صوفية وبه عرف القشيرى الولى وسوف نذكر ذلك ان شاء الله .

هذا وقد ذهب محقق كتاب قطر الولي الى أن الولاية المذكورة في هذه الآيات لا يعني بها الصحابة اذ يقول :

(ويجب أن نلاحظ أن هذه الايات التي تحدثت عن الولاية والأولياء انما تعني صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين نصروه ،وعزروه ،ووقروه وآووه وجاهدوا معه) (١)

ويقول في موضع آخر :

(رأينا كيفية دلالة كلمة " ولي " وأولياء في القرآن الكريم ، وانـــه يعني بها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين والوه ونصروه ،وتعرضوا للاضطهاد والتعذيب من أجل نصرة دين الله وانه لا مانع من اطلاقها على غيرهم اذا توفرت الشروط) (٢)

ويبدو أن الدافع له في ما قاله هو انه فهم ان الولاية بمعنى النصرة ، ولما رأى النصرة في الصحابة اذ هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في ساعة العسرة ،وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ، جعل الأولياء الذين تحدثت عنهم الايات هم الصحابة مع أن ولاية الله تعالى مدلولها واسع شامل لكل صالح في أي أمة من الأمم لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ومما لا شك فيه أن نصيب الصحابة من الولاية أوفر من غيرهم ،فلهم حظ كبير في الولاية الخاصة التي قيدها الله تعالى ،بالايمان والتقوى ،لأن كل مؤمن له من ولايته نصيب بحسب ايمانه ودرجة عمله ،فمن قال : ﴿ لا اله الا الله ﴾ خالصا من قلبه له جزء من الولايـة يحول دون خلوده في النار كما يخلد الكافر ، أما خلّص المؤمنين أصحاب الولايـة الخاصة ، فهم الذين امتثلوا أمـر اللـــه تعالى واجتنبوا ما نهى عنه وقد عرفهم الله سبحانه وتعالى ﴿ بقولـه :

﴿ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفـــوز العظيم ﴾ .

---

(١) ابراهيم ابراهيم هلال ،ولاية الله والطريق اليها مقدمة لتحقيق قطر الولي ص٦٧
(٢) نفس المصدر ص ٧٠

فبين الله سبحانه في هذه الاية أولياءه وأنهم هم الذين يتولونه بالايمان والتقوى فيتولاهم بالكرامة ، وانما قلنا ان ولاية الآية مبينة لمعنى الولي ، لأن قوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ ان جعل بدلا أو عطف بيان من قوله ﴿ أولياء الله ﴾ كان مقيدا لما قلناه وان جعل خبرا لمبتدأ محذوف ، كأن سائلا سأل فقال : من هم أولياء الله ؟ بعد أن اخبر بأنهم ﴿ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ كان مفيدا أيضا ، ان الولي هو المؤمن المتقي ، وفي هذا يقول شارح الطحاوية :

(قال الله تعالى ﴿ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ منصوب على انه صفة ﴿ أولياء الله ﴾ أو بدل منه ، أو باضمار أمدح ، أو مرفوع باضمار " هم " أو خبر ثان لـ " ان " واجيز فيه الجر بدلا من ضمير " عليهم " وعلى هذه الوجوه كلها ، فالولاية لمن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون ، وهم أهل الوعد المذكور في الايات الثلاث ، وهي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه ليس بكثرة صوم ولا صلاة ولا تملق ولا رياضة) (١)

وقال أبو حيان في كتابه البحر :

(قال ابن عطية : هذه الاية يعطي ظاهرها ، أن كل من آمن واتقى فهو داخل في أولياء الله وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي ، وانما نبهنا هذا التنبيه ، / حذرا من مذهب الصوفية وبعض الملحدين في الولي — وانما قال حذرا من مذهب الصوفية لأن بعضهم نقل عنه أن الولي أفضل من النبي ، وهذا لا يكاد يخطر في قلب مسلم ، ولابن عربي الطائي كلام في الولي نعوذ بالله منه) (٢)

---

(١) قاضي القضاة العلامة صدر الدين ، علي بن محمد بن ابي العز الحنفي ، شرح الطحاوية ص٣٠٦ بتحقيق احمد محمد شاكر ، مكتبة الرياض الحديثة .

(٢) البحر المحيط ج ٤ ص ١٢١

فالآية ظاهرة فى أن أولياء الله هم المتقون ، وأقل ما يكفى فى اطلاق الولى ، التقرب الى الله سبحانه بالفرائض ، وامتثال الأوامر واجتناب الزواجر . (١)

قال أبو جعفر :

(والصواب من القول فى ذلك ، أن يقال : " الولى " أعنى ولى الله من كان بهذه الصفة التي وصفه الله بها وهو الذى آمن واتقى ، كما قال تعالى : ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ .

ومثل ما قلنا : كان ابن زيد يقول : حدثنى يونس بن زيد فى قوله تعالى :

﴿ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ من هم ؟

قال : ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾

قال أبى : (لن يتقبل الايمان الا بالتقوى) . (٢)

واذا كانت التقوى بالقلب ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم (التقوى ها هنا) مشيرا الى صدره فمن المسلم به اذا صلح القلب صلح الجسد كله كما قال صلى الله عليه وسلم :

(ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب) (٣)

فبصلاح القلب تكون استقامة المرء ويتحقق أداؤه للواجبات .

وعرف المتكلمون الولى بقولهم :

(ولى الله هو من يكون آتيا بالاعتقاد الصحيح المبنى على الدليل ، ويكون آتيا بالأعمال الصالحة وفق ما وردت به الشريعة) (٤)

---

(١) محمود الالوسى المعانى ج ١١ ص ١٤٦

(٢) تفسير الطبرى ج ١٥ ص ١٢٢ و ١٢٣

(٣) البخارى عن النعمان بن بشير باب ٣٩ ك ٢

(٤) المواقف ج ٨ ص ٢٢٤

ومن جملة هذه التعريفات نلمس أنه لا بد في الولاية من الاخلاص في العمل ولا بد ان يكون العمل على وفق السنة كما أنه لا بد من الاعتقاد الصحيح بيد أن المتكلمين قالوا : بوجوب بناء الاعتقاد على الدليل ، اذ كانت المعرفة عندهم واجبة ، وهي لا تتم الا بالدليل ، فكان الدليل واجبا بوجوبها ، اذ ما لا يتم الواجب المطلق الا به يكون واجبا لوجوبه مع اننا نلاحظ :

أولا : ان ايجاب الدليل على كل أحد ليس رأيا للجميع .

فقد اختلفوا في ايمان المقلد ، فقال بعضهم بصحته ويكفينا هذا القدر في هذه المسألة فليس هذا موضع تحقيقها ما قيل في ايمان المقلد .

ثانيا : معرفة الله تعالى فطرية ، كما قال تعالى :

﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ (١)

واذا كانت فطرية كما قال الله تعالى فلا يجب الدليل والنظر الا بالنسبة لمن فسدت فطرته .

وقيل أولياء الله هم المتحابون في الله .

لأن من صفات الولي ، أن يحب في الله ويبغض في الله ، لأن الولاية موافقة الله تعالى في محابه ومساخطه ، وليست بكثر صوم ولا صلاة (٢)

ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :

(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله تعالى) (٣) الحديث

والاثار في هذا المعنى مستفيضة تقدم ذكرها عند ذكر أدلة الولاية من السنة فانظرها هناك .

---

(١) الروم : ٣٠

(٢) انظر شرح الطحاوية ص٣٠٦ تحقيق احمد محمد شاكر

(٣) انظر البحث هامش ص ٧٢ من البحث

وقيل : الولى من يذكر الله برؤيته .

قال ابن جرير :

(واختلف أهل التأويل فيمن يستحق هذا الاسم ، فقال بعضهم هم قوم يذكر الله برؤيتهم لما عليهم من سيما الخير والاخبات) (١)

وقال حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا حدثنا ابن يمان ، قال : حدثنا ابن ابى ليلى عن الحكم عن مقسم وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ قال الذين يذكر الله لرؤيتهم . (٢)

وفى تفسير الرازى لقوله تعالى : ﴿ ألا ان أولياء الله ... ﴾ الاية وقال بعض العارفين :

(ان الولاية عبارة عن القرب ،

فولى الله تعالى : هو الذى يكون فى غاية القرب من الله تعالى ، وهذا التقرير فسرناه باستغراقه فى معرفة الله تعالى بحيث لا يخطر بباله فى تلك اللحظة شىء ما ، سوى الله تعالى ، ففى هذه الساعة تحصل الولاية التامة ومتى كانت هذه الحالة الحاصلة ، فان صاحبها لا يخاف شيئا ولا يحزن بسبب شىء ، وكيف يعقل ذلك الخوف من الشىء والحزن على الشىء لا يحصل الا بعد الشعور به ، والمستغرق فى نور جلال الله غافل عن كل ما سوى الله تعالى فيمتنع أن يكون له خوف أو حزن وهذه درجة عالية ومن لم يذقها لم يعرفها) (٣)

ويلاحظ أن الرازى فى سكوته على ما عزاه لبعض العارفين ، قد يفسر ذلك منه بأنه يجنح جنوحا صوفيا ، ويذهب الى أن الولى الذى استغرق فى نور جلال الله ، وغفل عن كل ما سوى الله سبحانه ، وهى درجة الفناء

---

(١) و (٢) الطبرى جـ١٥ ص١١٩ ، ١٢٠

(٣) الامام الرازى التفسير الكبير جـ ١٧ ص١٢٧ طاولى سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م

عند المتصوفة ، وان الولى فى هذه الحالة يمتنع أن يكون له خوف أوحزن ، وفى هذا مخالفة لما وصف الله سبحانه به أولياءه فى كتابه العزيز . فالله تعالى يقول فى أوليائه :

﴿ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ (١)

ويقول تعالى ﴿ ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴾ (٢)

ويقول سبحانه ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ﴾ (٣)

ويقول جل شأنه ﴿ يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾ (٤)

ويقول سبحانه ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون ﴾ (٥)

والملاحظ ان هذه الآية وهى قوله تعالى :

﴿ ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ تصف حال الأولياء فى الاخرة ، وهى معضدة بكثير من الآيات والأحاديث . قال تعالى :

﴿ ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، لا يسمعون حسيسها وهم فى ما اشتهت أنفسهم خالدون . لا يحزنهم الفزع الأكبر ﴾ (٦)

وقال تعالى :

﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون ﴾ (٧)

وقال سبحانه :

﴿ يعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ﴾ (٨)

---

(١) الانفال : ٢
(٢) المؤمنين : ٥٧
(٣) السجدة : ١٦
(٤) الانبياء : ٩٠
(٥) المؤمنين : ٦٠
(٦) الانبياء : ١٠١ و ١٠٢
(٧) فصلت : ٣٠
(٨) الزخرف : ٦٨ و ٦٩

وقال تعالى :

﴿ قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين، فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم ﴾ (١)

فالولي هو الذي يخاف الله تعالى في الدنيا ليأمن يوم القيامة الفزع الأكبر ، لأن حكمة الله سبحانه اقتضت الا يجمع على عبده خوفين ولا امنين ، فمن خاف الله في الدنيا آمنه في الاخرة قال تعالى :

﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾

وقال تعالى :

﴿ الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾

مما تقدم نخلص الى القول بأن الولي هو المرء من التقي ، وهذا يقتضي ان يكون موافقا لله تعالى في الحب والبغض ، فيحب ما أحب ويبغض ما أبغض ، ويرضى بما يرضى ، ويسخط بما يسخط ويأمر بما يأمر وينهى عما ينهى ، ويوالي اولياءه ويعادي أعداءه . فهو تابع لأوامر الله طائع لها .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

(وقد قيل ان الولي سمي وليا من موالاته للطاعات أي متابعته لها) (٣)

---

(١) الطور : ٢٦ ـ ٢٧

(٢) الرحمن : ٤٦

(٣) الفرقان ص ٢٩٠ بتصحيح وتعليق محمود عبد الوهاب فائد

المبحث الثاني :
الولي عند الصوفية :

لقد قلنا فيما سبق : ان الولي هو الذي آمن بالله ووالاه ، وأحب مايحب وابغض ما يبغض ،ورضي ما يرضى وسخط ما يسخط وأمر بما يأمر ونهى عما ينهى .

وخلاصة القول فيه ،هو الذي وافق الله ،وتابعه فيما يحبه ويرضاه ، هذا هو المفهوم الاسلامي للولي .

فالسابقون الاولون من المهاجرين والانصار هم قمة الولاية بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

وظل هذا المفهوم الاسلامي هو مفهوم الولي الحق ، حتى بعد ظهور التصوف لأن مدلول كلمة ولي التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز تشمل كل من تحقق بالايمان والتقوى .

يقول القشيري في تعريف الولي :

(فان قيل ما معنى الولي ؟ قيل : يحتمل أمرين :

أحدهما أن يكون فعيلا مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير ،وغيره فيكون معناه من توالت طاعته من غير تخلل معصية .

ويجوز أن يكون بمعنى مفعول ،كقتيل وجريح بمعنى مقتول ومجروح ، وهو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته ،على الادامة والتوالي ، فلا يخلق له الخذلان الذي هو القدرة على العصيان وانما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة قال الله تعالى : ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾) (١)

ثم بعد أن غزت الافكار الدخيلة الفكر الاسلامي وتأثر بها الصوفية بدأ مدلول الكلمة يضيق شيئا فشيئا ، فبعد أن كان شاملا لكل مؤمن تقي حصره

---

(١) الرسالة القشيرية جـ٢ص٦٦٤ / ٦٦٥
والاعراف : الاية ١٩٦

الصوفيـة فى نوع معين ، هو النوع الذى وصل الى أعلى درجات القرب والقداسة والورع ففنى فى الله على ما زعموا !!

فالصوفية هم الفئة المختارة من المسلمين ، كما أن الأولياء هم صفوة الصوفية (١) الذين وصلوا الى مرحلة الفناء .

يقول نيكلسون :

(ويطلق المسلمون اسم الولى على الرجل الذى وصل الى مقام الفنـاء عن ذاته وارادته ، وبقى بالارادة الالهيـة) (٢)

وقال ابو على الجوزجانى :

(الولى الفانى عن حاله الباقى فى مشاهدة الحق ، لا يمكن له اخبـار عن نفسه وليس له مع غير الله قرار) (٣)

وقال عامر بن عبد الله :

(ما أبالى امرأة رأيت أم حائطا) (٤)

يعنى أنه محفوظ من ارتكاب الاثام ، والحفظ للولى كالعصمة بالنسبة للنبى ، وربما صرحوا بالعصمة للأولياء .

قال الكلاباذى :

(فالفناء أن يفنى عن الحظوظ فلا يكون له فى شىء من ذلك حظ ، ويسقط عنه التمييز عن الأشياء كلها شغلا بما فنى به ..

والحق يتولى تصريفه فيصرفه فى وظائفه وموافقاته فيكون محفوظا فيما لله عليه ، مأخوذا عماله ، وعن جميع المخالفات فلا يكون له اليها سبيل ، وهـو العصمة ، وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم : (كنت له سمعا وبصرا) الخبر (٥)

---

(١) انظر تاريخ التصوف فى الاسلام ص٣٣٦

(٢) فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص١٥٧

(٣) تاريخ التصوف فى الاسلام ص٣١٧

(٤) أبو بكر محمد الكلاباذى ، التعرف لمذهب اهل التصوف ص١٤٧ بتحقيق محمود أمين النووى الطبعة الاولى ٧ ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م مكتبة الكليات الازهرية .

(٥) نفس المصدر والصفحة وانظر فطر الولى ص

ويؤكد ذلك القشيري بقوله :

(... حتى يكون الولي وليا يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ، ودوام حفظ الله تعالى اياه في السراء والضراء ، ومن شرط الولي أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما) . (١)

ومن كلامهم هذا يتبين أن الولي من لا يقترف معصية ، وأنه القائم بحقوق الله تعالى كاملة ، مع أننا نرى أن ولاية الولي من الكاملة لا تمنع من وقوع المعصية ، غاية ما في الأمر أنه لا يقيم عليها ولا يصر على معصيته ، وانما يرجع الى ربه بالندم والاستغفار والتوبة قال الله تعالى :

﴿ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ﴾ (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم :

(كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) (٣)

فالاستغفار من العبادة المأمور بها شرعا ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(توبوا الى ربكم ، فوالله اني لأتوب الى ربي تبارك وتعالى مائة مرة في اليوم) (٤)

واذا كان سيد الأولياء وصفوة الأنبياء أمر بالاستغفار وقال :

(والله لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة) (٥)

---

(١) الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٢١

(٢) الاعراف : ٢٠١

(٣) المسند ج٣ ص١٩٨ والترمذي مجلد ٤ ص٧ ط الفجالة الحديثة القاهرة وسنن ابن ماجه ج٢ كتاب الزهد باب ذكر التوبة ح ٤٢٥١ بتحقيق محمد عبد الباقي دار احياء التراث العربي ، وسنن الدارمي ج٢ كتاب الرقاق باب التوبة ص٣٠٢ .

(٤) مسلم كتاب الذكر باب استحباب الاستغفار ح رقم ٢٧٠٢

(٥) البخاري كتاب الدعوات باب الاستغفار وانظر الفتح ج١١ ص ١٠١ السلفية ح ٦٣٠٧

وقال صلى الله عليه وسلم :

(الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره ، وقد أضله في أرض فلاة) (١)

فما ذاك الا لأن العبد في حاجة ماسة الى تدارك ما قد يقع من التقصير بالتوبة والاستغفار .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(ان المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وأن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا — قال أبو شهاب بيده فوق أنفه — ثم قال : الله أفرح بتوبة العبد ، من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته ، حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله ، قال ارجع الى مكاني ، فرجع فنام نومة ، ثم رفع رأسه فاذا راحلته عنده) (٢)

تفضيل بعضهم الولي على النبي :

هذا ولم يقف بعضهم عند حد الحفظ والقول بعصمة الأولياء بل فضل الولي من حيث هو ولي على النبي من حيث هو رسول ونبي ، ومن أوائل الصوفية القائلين بهذا ، الحكيم الترمذي (*) .

فيرى ، أن ولاية النبي أفضل من نبوته من حيث أن نبوة التشريع متعلقة بمصلحة الوقت والولاية لا تعلق لها بوقت كما أن النبوة صفة الخلق دون الحق) (٣)

---

(١) فتح الباري جـ١١ ص ١٠٢ ح ٦٣٠٩

(٢) نفس المصدر والصفحة ح ٦٣٠٨

(٣) الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية ص٣٦٦

(*) الحكيم الترمذي : هو محمد بن علي الترمذي انظر ترجمته في طبقات الصوفية ص٢١٧ وحلية الأولياء جـ١ ص٢٣٣ وصفة الصفوة جـ٤ ص١٤١ والشعراني ٧٨/١ والقشيرية ص٣٨ حـ١ وطبقات الشافعية ٢٠/٤

وبهذا [illegible] الحكيم الترمذى ليصرح بفضل الولاية على النبوة ، كما عزا اليه طاش كبرى زاده ، القول :

(بأن للأولياء خاتما كما أن للأنبياء خاتما ، وانه يفضل الولاية على النبوة) (١)

ويذكر الحكيم فى هذا المضمون كلاما غريبا فى الولى فيقول :

(فلم يزل مذكورا فى البدء ، أولا فى الذكر ، وأولا فى العلم ثم هو الأول فى المشيئة ، ثم هو الأول فى اللوح المحفوظ ثم هو الأول فى الميثاق ، ثم هو الأول فى الحشر ، ثم هو الأول فى الخطاب ، ثم هو الأول فى الوفاة ، ثم الأول فى الشفاعة ، ثم الأول فى الجوار ثم الاول فى دخول الدار ، ثم الأول فى الزيارة فهو فى كل مكان أول الأولياء ، كما كان محمد صلى الله عليه وسلم أول الأنبياء فهو من محمد صلى الله عليه وسلم عند الاذن والأولياء عند القفا) (٢)

ويتضح من هذا الكلام :

أن خاتم الأولياء المفضل غير النبى صلى الله عليه وسلم والدليل على ذلك قوله :

(فهو سيدهم كما ساد محمد صلى الله عليه وسلم الأنبياء ، فيثبت له مقام الشفاعة ، ويثنى على الله تعالى ويحمده بمحامد يقر الأولياء بفضله عليهم فى العلم بالله تعالى) (٣)

ولا يزال الولى يرقى فى سلم الولاية ، حتى يبلغ المنتهى .

---

(١) طاش كبرى زاده مفتاح دار السعادة جـ ٢ ص ١٧ ط الهند
(٢) الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية ص ٢٧٦ نقلا عن ختم الاولياء ص ٣٤٥ للترمذى
(٣) نفس المصدر ص ٣٤٤ / ٣٤٥

يقول : (فكلما تخطى الى ملك ، اعطى ذلك الاسم حتى يكون الذى يتخطى جميع ذلك الى ملك الوحدانية الفردانية هو الذى يأخذ حظوظه من الأسماء وهو محظوظ من ربه وهو سيد الاولياء ، وله ختم الولاية من ربه فاذا بلغ المنتهى من اسمائه فالى أين يذهب وقد صار الى الباطن الذى انقطعت عنه الصفات) (١)

وعلو الدرجة عند الترمذى لا ينتهى بزمان :

يقول الترمذى :

(... وان المراتب العليا ليست قصرا على زمن بعينه وانه ـ لذلك ـ لا يبعد ان يكون فى اخر الزمان من هو أفضل من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما) (٢)

ويعتبر الحكيم الترمذى استاذا لابن عربى فى هذه الدعوى الباطلة .

يقول عبد الرحمن الوكيل :

(والعنكبوت الأول الذى سال لعابه بهذه الاسطورة هو الحكيم الترمذى) (٣)

والدكتور على عبد القادر وآربرى يقولان فى مقدمهما لكتاب الرياضة وأدب النفس للحكيم الترمذى :

(فالموضوع مهما قلبناه على أى ناحية من نواحيه يسوق الى نتائج لا يوافق عليها الرأى الاسلامى العام سواء فى ذلك تفضيله الولاية على النبوة ، او اختصاص الولى بما ليس عند النبى أو القول فى الخاتم) (٤)

---

(١) الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية جـ ٢ ص ٣٧٢ / ٣٧٣ نقلا عن ختم الولاية ص ٣٣٥

(٢) نفس المصدر ص ٢٢

(٣) هذه هى الصوفية ص ١٢٧/١٢٨

(٤) انظر مقدمة كتاب الرياضة وادب النفس للترمذى ص ٢٥ ط ١٩٤٧ م

ويعلق ابن تيمية على آراء الترمذي قائلا :

في كلامه من الخطأ ما يجب رده ومن أشنعه ما ذكره في ختم الولاية مثل دعواه فيه أن يكون من المتأخرين من درجته عند الله ، أعظم من درجة أبي بكر وعمر وغيرهما (١)

ثم قال :

(ومن قال إن الأولياء أفضل من جميع الخلق فقوله أظهر عند جميع أهل الملل ، من أن يشك في كذبه ،بل هو معلوم من الدين بالضرورة أنه باطل) (٢)

وجاء ابن عربي ليتم ما بدأه الحكيم الترمذي وبالغ في القول بتفضيل الولي على النبي فقال :

(... إلا أن الله لطيف بعباده فابقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها ،وابقى لهم التشريع في الاجتهاد في ثبوت الأحكام ،وابقى لهم الوراثة في التشريع ،فقال : " العلماء ورثة الأنبياء " وما ثم ميراث في ذلك الا ما اجتهدوا فيه من الأحكام فشرعوه ، فاذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث انه ولي وعارف ،ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتم واكمل من حيث هو رسول ذو تشريع وشرع ، فاذا سمعت أحدا من اهل الله يقول او ينقل اليك عنه انه قال : الولاية أعلى من النبوة فليس يريد ذلك القائل الا ما ذكرناه ،أو يقول : : ان الولي فوق النبي والرسول فانه يعني في شخص واحد ، وهو ان الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث هو ولي أتم من حيث هو نبي رسول) (٣)

---

(١) انظر مجموع الفتاوى الكبرى ج١١ ص ٣٧٣

(٢) مختصر الفتاوى المصرية ص٥٦٠

(٣) محي الدين بن عربي فصوص الحكم ص١٣٥ علق عليه د / ابو العلا عفيفي .

ويقول أيضا :

(وما يراه أحد من الانبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم ولا يراه احد من الاولياء الا من مشكاة الولي الخاتم حتى ان الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الأولياء ، فان الرسالة والنبوة اعني نبوة التشريع ورسالتـه ينقطعان والولايـة لا تنقطـع أبدا والمرسلون من حيث كونهم أولياء لا يرون ما ذكرنا الا من مشكاة خاتم الأولياء فكيف من دونهم من الأولياء ؟

وان كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا اليه ،فانه من وجه يكون أنزل و من وجه يكون أعلى ،وقد ظهر في ظاهر شرعنا ما يؤكد ما ذهبنا اليه من فضل عمر في أسارى بدر بالحكم فيهم ، وفي تأبير النخل ، فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء ،وفي كل مرتبة وانما نظر الرجال الى التقدم في رتبـة العلم ،هنالك مطلبهم وأما حوادث الأكوان فلا تعلق لخواطرهم بها فتحقق ما ذكرناه) (١)

ويلاحظ هنا :

أولا : انه لا نبوة بعد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا عامة ولا خاصة .

قال الله تعالى : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول اللـه وخاتم النبيين ﴾ (٢)

فتسمية الولاية نبوة خروج عما هو معروف في الدين ،والمجتهد باجتهاده ليس مشرعا ، بل هو باذل لجهده في معرفة حكم الله تعالى ، الذي جاء بـه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمشرع هو الله تعالى ،فليس المقصود بقول النبي صلى الله عليه وسلم " العلماء ورثة الأنبياء " أنهم ورثتهم في التشريع ، فقد تم

---

(١) فصوص الحكم ج ١ ، ص ٦٢/ ٦٣

(٢) الاحزاب :

التشريع قبل موته صلى الله عليه وسلم ، وختمت جميع الرسالات به .

واذا كان ابن عربي يعترف بأن خاتم الأولياء تابع في الحكم لما جاء به خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم كان أقل درجة لأن مقام التابع دون مقام المتبوع ، وليس هناك جهتان ،يكون الرسول باعتبار احداهما مشرعا وباعتبار الأخرى عالما .

ثانيا : أما ما استشهد به من موقف عمر رضي الله عنه ،فهذا لا يعني ان عمر أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم ،ولم يقل بهذا مسلم ،ولا يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم يجهل ما ارتآه عمر ، وانما رجح ما ذهب اليه لمصلحة قامت عنده جعلته يرجح الرأي المعارض لرأي عمر وهو رأي ابي بكر رضي الله عنهما ، فهي مسألة لم ينزل فيها حكم من الله ،شاور الرسول صلى الله عليه وسلم فيها أصحابه ، واجتهد فيها ابو بكر وعمر فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بأحد الاجتهادين ،فليس هنا حيثية علم ،وحيثية تشريع حتى يقول ابن عربي : عمر من حيث هو عالم أفضل .

والمجتهد لا يجب أن يكون حكمه موافقا لحكم الله ،— والا لما اجتهد عالم — غاية ما في الأمر أن الرسول صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فأخطأ لا يقر على خطائه .

ثالثا : يظهر التناقض واضحا في هذا النص حيث يزعم ابن عربي ،ان الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث هو ولي أتم من حيث هو نبي و رسول ، وقد بني كلامه هذا على ان العلم أكمل من الرسالة ،وانه من حيث هو عالم ،يتكلم بكلام خارج عن التشريع مع العلم ان جميع ما ينطق به الرسول صلى الله عليه وسلم وحي من الله سبحانه كما قال تعالى :

﴿ وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ﴾ [1]

والوحي لا يناقض بعضه بعضا ،فليس فيه اختلاف التناقض ، فما المراد

---

[1] النجم الآية (٣)

بالكلام الخارج عن التشريع ،أهو ما يخبر به من مغيبات ؟ فمهما كان شأن المغيبات التي أخبر عنها فانها لا تناقض ما شرع ،وليس اخباره بها من حيث انه عالم ،بل ذلك بفضله تعالى كما قال تعالى :

-١-
﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول ﴾ الاية

ان المعنى الذى يقصده بالكلام الخارج عن التشريع غير واضح والمشرع في نفس الوقت عالم فلا يكون هناك اعتباران مختلفان ،اعتبار هو قوله : من حيث انه عالم واعتبار هو قوله : من حيث انه رسول ذو تشريع وشرع و يظهر التناقض كذلك بوضوح من قوله :

(وخاتم الأولياء) فجعل للاولياء خاتما وهو آخر الأولياء وفي قوله :

(.. هذا والولاية لا تنقطع أبدا ، ثم ينزل بالنبي الى مرتبة تأباها النبوة هي : أنه يأخذ ما يأخذه مما يخبر به خارجا عن التشريع من مشكاة خاتم الأولياء . مع ان ما يأخذه من علم انما هو عن الله تعالى . قال الله تعالى :

﴿ وقل رب زدني علما ﴾

وأين خاتم الأولياء الذى يأخذ عنه اذا كانت الولاية لا تنقطع ؟.

هذا ولقد اتخذ الصوفية من قصة الخضر مع موسى عليهما السلام مستندا لدعواهم الباطلة في تفضيل الولي على النبي لانهم يقولون بولاية الخضر دون نبوته ولكن لا تعتبر القصة شاهدا فضلا عن ان تكون دليلا وبيان ذلك :

قال أبو حيان في البحر :

(وفي كتاب التحرير والتحبير ما نصه : " تعلق بعض الجهال بما جرى لموسى مع الخضر عليهما السلام ، على أن الخضر أفضل من موسى ، وطردوا الحكم ، وقالوا قد يكون بعض الأولياء أفضل من آحاد الانبياء ،واستدلوا أيضا بقول : أبي يزيد : خضت بحرا وقف الأنبياء على ساحله وهذا كله من ثمرات

١- الجن (الآية ٢٦)
٢- طه الآية ١١٤

الرعونة والظلمة بالنفس " ـ

وهكذا سمعنا من يحكي هذه المقالة عن بعض الضالين المضلين ، وهو ابن عربي الطائي الحاتمي ،صاحب الفتوح المكية ، فكان ينبغي ان تسمى بالقبوح الهلكية ، وانه كان يزعم أن الولي خير من النبي ،قال لأن الولي يأخذ عن الله بغير واسطة والنبي يأخذ بواسطة عن الله ، ولأن الولي قاعد في الحضرة الالهية والنبي مرسل الى قوم ،ومن كان في الحضرة أفضل ممن يرسله صاحب الحضرة الى أشياء من هذه الكفريات والزندقة ،وقد كثر معظمو هذا الرجل في هذا الزمان من غلاة الزنادقة القائلين بالوحدة نسأل الله السلامة في (ديننا وأبداننا) (١)

ولقد بنى الصوفية كثيرا من معتقداتهم الخرافية على أحاديث موضوعة نتعرض لذكر نذر منها ان شاء الله على سبيل المثال منها ما زعموه في :

قصة الخضر والياس :

حيث رووا حديثا طويلا عن أنس رضي الله عنه جاء فيه انه رأى شخصا يقول اللهم اجعلني من أمة محمد فسأله من أنت ؟ فقال أنا الخضر .

وفيه انه كان في غزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان عند الحجر " مدائن صالح " سمع صوتا يقول اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها ،فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصوت ـ فدخل أنس الجبل فرأى رجلا أبيض الرأس طوله اكثر من ثلاثمائة ذراع فاجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت عليهم مائدة من السماء فأكلوا وجاء السحاب فحمله فسأل أنس النبي صلى الله عليه وسلم ،فقال : انه الياس ينزل عليه جبريل بالطعام من السماء كل أربعين يوما وفي كل عام له شربة من زمزم .

---

(١) البحر المحيط جـ٦ ص ١٥٦

والخضر والياس يصومان رمضان ببيت المقدس (١) ·

ويروى صاحب نزهة المجالس قصة طريفة بين الخضر وابن الجوزى فيقول :

(تكلم ابن الجوزى رضى الله عنه فى معنى قوله تعالى ﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾ عامين فحجبته / نفسه فتصدى له سائل قائلا ما يصنع ربنا فى هذه الساعة ؟ فسكت وختم المجلس ثم اعاد نفس السؤال فى اليوم الثانى والثالث ففعل ابن الجوزى مثل ما فعل أولا ، فرأى فى تلك الليلة النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يا ابن الجوزى أتدرى من السائل ؟ قال ابن الجوزى قلت : لا يا نبى الله · قال : هو الخضر فاذا سألك فقل له : له شئون يبديها ولا يبتديها ،فلما أصبح قال له ما يصنع ربنا فى هذه الساعة ؟ فقال : له شئون يبديها ولا يبتديها · فقال الخضر عليه السلام : صل على من علمك فى المنام ـ ثم ختم القصة بقوله (واعلم جعلنى الله واياك من صالحى الأمة أولها نبى الله محمد صلى الله عليه وسلم وآخرها نبى الله عيسى عليه السلام وفيها رجل مختلف فى نبوته أى هو الخضر عليه السلام) (٢)

اختلاف العلماء فى الخضر :

اختلف العلماء فى الخضر عليه السلام ، هل هو نبى أو ولى ؟ وهل هو المذكور فى سورة الكهف او غيره ؟ وهل هو حى أو ميت ؟

فجمهور العلماء على أن العبد المذكور فى هذه الاية :

﴿ فوجدا عبدا من عبدنا ءاتينه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ﴾ (٣)

---

(١) انظر القرطبى ،المجلد الرابع ص ٥٥٦٠ وكذا انظر الشيخ عبد الرحمن الصفورى نزهة المجالس ومنتخب النفائس ج٢ص ٢١٧ مطبعة احمد الحلبى سنة ١٣٠٧ مصر المحروسة ·

(٢) انظر نزهة المجالس ج٢ص ٢٢١ وفى رواية ابن الشجرى عن ابن الجوزى

(٣) الكهف : ٦٥ (*) قال ابن حجر والسخاوى حديث اجتماع الخضر والياس فى كل عام فى الموسم منكر ، وليس فى السنة ما يدل على حياة الخضر . انظر الزهر النضر فى ترجيح موت الخضر ص ٤ .

هو الخضر عليه السلام بل ذكر الشيخ محمد الامين الشنقيطي الاجماع على ذلك حيث دلت عليه النصوص الصحيحة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

و هذه الرحمة والعلم اللدني اللذان ذكر الله امتنانه عليه بهما لم يبين هنا هل هما رحمة النبوة و علمها أو رحمة الولاية وعلمها .

والعلماء مختلفون هل هو نبي أو رسول أو ولي . وقيل هو ملك ..

فمن قال بنبوته عول على بعض الايات التي تفيد عنده أن الرحمة المذكورة هنا رحمة نبوة ، وأن هذا العلم اللدني علم وحي مع العلم بان فيما استدل به مناقشات معروفة بين العلماء لكن الراجح أنها النبوة لأن الرحمة قد تكرر اطلاقها على النبوة في القرآن الكريم ، وكذلك العلم المؤتى من الله سبحانه تكرر اطلاقه على الوحي .

أدلة القائلين بنبوته :

وفسر الجمهور القائلون بنبوة الخضر الرحمة في قوله تعالى :

﴿ آتيناه رحمة من عندنا ﴾ بالنبوة وقيل : النعمة ، وقالوا : ان العلم المذكور في قوله تعالى ﴿ وعلمناه من لدنا علما ﴾ انه علم الغيب .

وقال ابن عطية :

(كان علم الخضر علم معرفة بواطن قد أوحيت اليه) (١)

وقال النسفي :

(هي الوحي والنبوة أو العلم والحياة) (٢)

وقال الألوسي في تفسيرها بعد أن ذكر أقوالا متعددة :

(والجمهور على أنها الوحي والنبوة وقد اطلقت على مواضع من القرآن الكريم ، واخرج ذلك ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، و هذا

---

(١) القرطبي جـ١١ ص١٦ وانظر نزهة المجالس جـ٢ ص٢١٧

(٢) النسفي ، التفسير ج ٣ ص ٩٢/٩٣ مطبعة الحلبي

قول من يقول بنبوته عليه السلام) (١)

وقال صاحب الأضواء الشيخ محمد الامين الشنقيطى :

(فمن اطلاق الرحمة على النبوة قوله تعالى فى سورة الزخرف :

﴿ وقالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم • أهم يقسمون رحمة ربك ﴾ (٢)

اى نبوته حتى يتحكموا فى انزال القرآن على رجل من القريتين •

وقوله تعالى فى سورة الدخان :

﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم ﴾ (٣)

وقوله تعالى فى سورة القصص :

﴿ وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتب الا رحمة من ربك ﴾ (٤)

وقال ابن جزى :

(وتظهر نبوته من هذه القصة ـ يعنى قصته مع موسى عليهما السلام ـ انه فعل أشيا لا يعلمها الا بوحى) (٥)

اطلاق عن انباء العلم على النبوة :

ومن اطلاق عن انباء العلم على النبوة قوله تعالى :

---

(١) روح المعانى جـ٥ ص ٩٢/٩٣ (٢) الزخرف الايتين ٣١ ـ ٣٢

(٣) الدخان الايتين ٣ ـ ٤

(٤) القصص الاية : ٨٦ وانظر اضواء البيان جـ ٤ ص ١٥٨ •

(٥) الامام الحافظ محمد بن أحمد الأنصارى بن جزى الكلبى الغرناطى ـ
(٦) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل جـ٢ ص ٣٥ بتحقيق عبد المنعم اليونس واخر دار الكتب الحديثه

﴿ وأنزل الله عليك الكتب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ (١)

وقوله تعالى ﴿ وانه لذو علم لما علمنه ﴾ (٢)

ومن أظهر دلالة الرحمة والعلم اللدني اللذين امتن الله بهما على عبده الخضر على النبوة قوله ﴿ وما فعلته عن أمرى ﴾ (٣) . فاذا لم يفعله عن أمره ، فانما فعله عن أمر الله جل وعلا وأمره تعالى انما يتحقق عن طريق الوحي اذ لا طريق يعرف بها اوامر الله ونواهيه الا الوحي من الله جل وعلا ولا سيما قتل النفس البريئة فى ظاهر الأمر ، وتعييب سفينة الناس بخرقها لأن العدوان على أنفس الناس وأموالهم لا يصح الا عن طريق الوحي من الله تعالى . (٤)

أما الذى قال بولايته هو القشيرى وجماعة ومال الى هذا القول القرطبي . (٥)

اختلاف العلماء فى حياته :

وكما اختلف العلماء فى نبوته اختلفوا فى حياته اليوم فذهب جمع الى أنه ليس بحى اليوم .

وسئل البخارى عنه ، وعن الياس عليهما السلام هل هما حيان ؟ فقال : كيف يكون هذا ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم ، أى قبل وفاته بقليل : (لا يبقى على رأس المائة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد) (٦)

---

(١) النساء : ١١٣

(٢) يوسف : ٦٨

(٣) الكهف : ٨٢

(٤) انظر اضواء البيان جـ ٤ ص ١٥٨ / ١٥٩ وانظر الجوهرة ص ١٤ / ٢٨

(٥) القرطبي جـ ١١ ص ١٦ ونزهة المجالس جـ ٢ ص ١٧٢

(٦) البخارى كتاب مواقيت الصلاة باب السمر فى الفقه والخير .

والذى فى صحيح مسلم عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته :

(ما من نفس منفوسة يأتى عليها مائة سنة وهى يومئذ حية) (١)

وهذا أبعد عن التأويل .

وسئل عن ذلك غيره من الأئمة فقرأ : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ (٢)

وسئل عن شيخ الاسلام ابن تيمية فقال :

(لو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتى الى النبى صلى الله عليه وسلم ويجاهد بين يديه ويتعلم منه ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر أن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض ، فكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا معروفين باسمائهم واسماء آبائهم وقبائلهم ، فأين كان الخضر حينئذ) .

وسئل ابراهيم الحزنبى عن بقائه فقال :

(من أحال على غائب لم ينتصف منه وما ألقى هذا بين الناس الا الشيطان) (٣)

وجه بطلان احتجاجهم بقصة الخضر :

يقول الامام الطحاوى :

(وأما ما يتعلق بقصة موسى مع الخضر عليهما السلام فى تجويز الاستغناء عن الوحى بالعلم اللدنى الذى يدعيه بعض من عدم التوفيق ، فهو ملحد زنديق فان موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا الى الخضر ، ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته . ولهذا قال ، أنت موسى بنى اسرائيل ؟ قال نعم ، ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين ، ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من اتباعه ،

---

(١) المسند جـ ٣ ص ٢٢٦

(٢) الانبياء : ٣٤

(٣) روح المعانى جـ ٥ ص ٥٣ ط اولى سنة ١٣٠١ هـ المطبعة الكبرى ببولاق .

وانظر الزهر النضر فى ترجيح موت الخضر ص ٤٢ وما بعدها
رسالة الشيخ الاعيمه عمر رحمه

فمن ادعى أنه مع محمد صلى الله عليه وسلم كالخضر مع موسى ، أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد اسلامه وليشهد شهادة الحق فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن أن يكون من أولياء الله وانما هو من أولياء الشيطان)(١)

وقال الطحاوى أيضا :

(ولا نفضل أحدا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ، ونقول نبى واحد أفضل من جميع الأولياء)(٢) ففى هذا رد على من اتخذ من قصة الخضر مع موسى سلما لدعواه أن الولى افضل من النبى فالخضر لم يكن وليا فحسب وانما هو نبى من أنبياء الله ، وليس هو بأفضل من موسى عليهما السلام سواء اكان وليا أم كان نبيا ،ولقد قالوا ان المزية لا تقتضى الأفضلية ولو فرضنا على حد زعمهم أنه ولى لا نبى فيكون عندئذ أبو بكر وعمر وغيرهما من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم افضل منه كما سيأتى بيان فضلهم ان شاء الله وبهذا تبطل دعواهم من تفضيلهم الولى على النبى ،والله أعلم .

---

(١) شرح الطحاوية ص٤٥٧/٤٥٨ بتحقيق احمد شاكر وانظر نفس المصدر ص٥٧٢ بتحقيق الألبانى .

(٢) شرح الطحاوية ص٤٤٠ بتحقيق احمد شاكر بدون تاريخ .

الفصل الثانـي

مراتـب الأوليـــــاء

المبحث الأول : فى مراتب الأولياء فى الاسلام :

اذا كان الله سبحانه وتعالى ،وصف أولياءه الكرام فى كتابه العزيـز بالايمان والتقوى ،والناس يتفاضلون فيهما ،فهم كذلك متفاضلون فى الولايـة بحسب تفاضلهم فى الايمان والتقوى .

فأفضل أولياء الله تعالى أعظمهم ايمانا وتقوى وهم رسله الكرام ، وهم متفاضلون فيما بينهم كذلك ، قال الله تعالى :

﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ (١)

قال القرطبى :

(هذه الآية مشكله ،والأحاديث ثابتة بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

" لا تخيرونى على الأنبياء " " ولا تخيروا بين الأنبياء " وجاء فـى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تخيرونى على موسى ، فان الناس يصعقون يوم القيامة ،فأكون أول من يفيق ، فأجد موسى باطشا بقائمة العرش فلا أدرى ، أفاق قبلى ؟ أم جوزى بصعقة الطور ؟ فلا تفضلونى على الأنبياء)

وثبت أيضا فى حديث ابى سعيد المتفق عليه " لا تخيرونى على الأنبياء " (٤)

---

(١) البقرة : ٢٥٣

(٢) ابو داود رقم ٤٦٦٨ واسناده حسن وانظر جامع الاصول جـ٨ ص٥٤٤

(٣) مسلم كتاب الفضائل باب فضائل موسى .

(٤) الرواية المتفق عليها " لا تخيروا بين الأنبياء " " ولا تخيرونى على موسى " البخارى / الخصومات والديات ، مسلم الفضائل

قال القرطبي :

(ومعنى هذه الأحاديث أى لا تقولوا : فلان خير من فلان وفلان افضل من فلان) (١)

ثم ساق القرطبي بعض ما أجاب به العلماء لدفع الاشكال فقال :

(وقد اختلف العلماء ، فى تأويل هذا المعنى فقال قوم : ان هذا كان قبل ان يوحى اليه بالتفضيل ، ... وقبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم ، وان القرآن ناسخ للمنع من التفضيل .

وقال ابن قتيبة :

(انما أراد بقوله : " أنا سيد ولد آدم " يوم القيامة لأنه الشافع يومئذ ، وله لواء الحمد ، وأراد بقوله " لا تخيرونى على موسى " على طريق التواضع ، كما قال ابو بكر رضى الله عنه :

" وليتكم ولست بخيركم " وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم " لا ينبغى لعبد أن يقول انا خير من يونس بن متى " (٢) على معنى التواضع)

لأن فى قوله تعالى ﴿ ولا تكن كصاحب الحوت ﴾

ما يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل منه —يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم " أفضل من يونس عليه الصلاة والسلام — لأن تفسير الآية لا تكن مثله (٣)

واختار القرطبي أن منع التفضيل فى خصوص النبوة وجوازه فى غيرها ، من زيادة الأحوال والخصوص والكرامات فقال :

(وأحسن من هذا قول من قال :

ان المنع من التفضيل انما من جهة النبوة التى هى خصلة واحدة لا تفاضل فيها ، وانما التفضيل فى زيادة الاحوال والكرامات والالطاف ، والمعجزات المتباينات

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن جـ٣ ص٦١ ط ثانية دار الكتاب العربى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧

(٢) جامع الأصول جـ٨ ص ٥١٧ رقم ٦٣١٩ (واخرجه البخارى و مسلم وأبوداود)

(٣) انظر القرطبي جـ٣ ص ٢٦٢

وأما النبوة نفسها فلا تفاضل فيها ،وانما التفاضل بأمور أخر زائدة عليها ،ولذلك فهم رسل ،وأولوا عزم ، ومنهم من اتخذ الله خليلا ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ،قال الله تعالى :

﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ (١)

قلت : وهذا قول حسن فانه جمع بين الآى والأحاديث من غير نسخ) (٢)

،واختار ابن عطية كما نقل عنه القرطبي أن وجه الجمع جواز التفضيل اجمالا لقوله صلى الله عليه وسلم : " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " ولم يعين ومنع التفضيل على طريق الخصوص كقوله : " لا تفضلونى على موسى " وقوله " ولا ينبغى لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى " (٣)

وأجاب ابن كثير بأجوبة أخرى نذكر منها ما لم يذكره القرطبي وهى :

١ — ان هذا نهى عن التفضيل فى مثل هذه الحالة التى تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر .

٢ — لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية .

٣ — ليس مقام التفضيل اليكم وانما هو الى الله عز وجل ،وعليكم بالانقياد والتسليم له والايمان به. (٤)

واذ ثبت التفضيل بين الرسل الكرام عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وأنهم وان اشتركوا جميعا فى خصلة النبوة ،فقد امتازوا البعض بصفات زائدة تجعله أفضل من البعض الاخر قال الله تعالى :

---

(١) البقرة :/ ٢٥٢

(٢) انظر الجامع لاحكام القرآن نفس الجزء والصفحة .

(٣) اضواء البيان جـ١ ص ١٩٧ / ١٩٨ وانظر الجامع لأحكام القرآن جـ٣ ص ٢٦٣

(٤) انظر الحافظ بن كثير ،تفسير القرآن العظيم جـ١ ص ٤٤٦ ط.الشعب بتحقيق عبد العزيز غنيم واخرين .

﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾ (١)

وأفضل هؤلاء الرسل جميعا ، هم أولوا العزم ، وهم : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم . ولقد جمعهم الله سبحانه وتعالى في قوله :

﴿ واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ (٣)

وروى ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه :

(خيار ولد آدم خمسة : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم) (٤)

وسموا أولى العزم لصبرهم على أذى قومهم ، هذا وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما :

(ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على الأنبياء وعلى أهل السماء فقالوا بم يا ابن عباس فضله على أهل السماء فقال : ان الله تعالى قال :

﴿ ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين ﴾ (٥)

وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم :

﴿ انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ (٦)

---

(١) البقرة : ٢٥٢ (٢) الاحزاب : ٧ (٣) الشورى : ١٣

(٤) العلامة على الدين ، على المتقى بن حسام الدين الهندى البرهان فوزى المتوفى (٩٧٥) كنز العمال في السنن والاقوال والافعال جـ١١ ص٤٠٧ الطبعة الاولى ١٣٩٤هـ مطبعة حلب وانظر القرطبي جـ٣ ص ٢٦٣ واضواء البيان جـ١ / ١٩٧

(٥) الانبياء : ٢٩ (٦) الفتح : ١

قالوا : فبم فضله على الأنبياء قال : قال الله تعالى :

﴿ وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ (١)

وقال الله عز وجل لمحمد :

﴿ وما ارسلناك الا كافة للناس ﴾ (٢)

فأرسله الى الجن والانس ذكره أبو محمد الدارمي في مسنده) (٣) .

هذا ولقد ثبت بالدليل أن افضل أولى العزم محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وامام المتقين ، وحجة الله تعالى على جميع العالمين كما قال تعالى :

﴿ واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ (٤)

وهو سيد ولد آدم ، وامام الأنبياء اذا اجتمعوا وخطيبهم اذا وفدوا وصاحب لواء الحمد ، وصاحب المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون وشفيع الخلائق يوم القيامة يقول عليه الصلاة والسلام :

(أنا سيد الناس يوم القيامة ... فانطلق فآتى تحت العرش ، فاقع ساجدا لربى عز وجل ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى ، ثم يقال يا محمد ، ارفع رأسك سل تعطه ، واشفع تشفع) (٥)

وهو صاحب الوسيلة ، والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة ، الذى بعثه الله تعالى بأفضل كتبه وشرع لأمته من الدين ما رضيه لهم ، وجعله الله سبحانه الفارق بين أوليائه وأعدائه ، فلا يكون وليا الا من آمن به وبما جاء به واتبعه باطنا وظاهرا ، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله بل من خالفه كان من

---

(١) ابراهيم : ٤ (٢) سبأ : ٢٨

(٣) وانظر القرطبى جـ٣ ص ٢٦٣

(٤) آل عمران : ٨١

(٥) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جـ١ ص٥٤ حديث رقم ١٢٠

أعداء الله وأولياء الشيطان (١) .

واذا ثبت أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو أفضل أولى العزم صلوات الله عليهم وسلامه ،وكان أولوا العزم أفضل من غيرهم من الرسل ،وبقية الرسل أفضل سائر البشر الذين اتبعوهم اذ مقام المتبوع أفضل من مقام التابع ظهر بجلاء أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل البشر عامة فلا يكون أحد أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وهو أول من تنشق عنه الأرض واول من يدخل الجنة كما سيأتى شاهد ذلك . ولقد مدحه الله تعالى فى كثير من آى القرآن قال تعالى :

﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم :

(أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا ،وأنا خطيبهم اذا وفدوا ،وأنا مبشرهم اذا أيسوا ،لواء الحمد يومئذ بيدى ،وأنا اكرم ولد آدم على ربى ولا فخر) (٤)

اخرجه الترمذى عن أنس . وقال صلى الله عليه وسلم :

(اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر) (٥) .

وأخرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال عليه الصلاة والسلام :

(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، واول من ينشق عنه القبر واول شافع وأول مشفع) (٦)

---

(١) انظر الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان ص٢٥/٢٦ بتصحيح عبد الوهاب فائد .

(٢) من الأحزاب الآية ٤٠ (٣) الاسراء الاية ٧٩

(٤) الترمذى رقم ٣٦١٤ باب رقم ٢ وقال حديث حسن وانظر جامع الاصول جـ٨ ص٥٢٦/ ٥٢٨ ح رقم ٦٣٢٦

(٥) الترمذى رقم ٣٦١٧ فى المناقب باب رقم ٣ وقال حسن صحيح وجامع الاصول جـ٨ ص٥٢٨ ح ٦٣٢٧

(٦) مسلم كتاب الفضائل باب تفضيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جميع [illegible]

وأخرج الخمسة عد البخارى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(اذا سمعتم النداء قولوا مثل ما يقول ،ثم صلوا على ، فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لى الوسيلة ، فانها منزلة فى الجنة ،لا ينبغى أن تكون الا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون هو فمن سأل الله لى الوسيلة حلت له شفاعتى) (١)

وأخرج مسلم فى صحيحه عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه ابيض من اللبن و ريحه اطيب من المسك ،وكيزانه كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا) (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم :

(آتى باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : أنا محمد فيقول : بك أمرت ان لا افتح لأحد قبلك) (٣)

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام أفضل الثقلين وهو أعظمهم ايمانا ،وتقوى وأخوفهم لله وأشدهم مراقبة لله تنام عيناه ولا ينام قلبه ،ويبيت عند ربه فيطعمه و يسقيه ولقد قال صلى اللهعليه وسلم :

(فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ،ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض طهورا ومسجدا ،وأرسلت الى الخلق كافة ، وختم بى النبيون) (٤)

---

(١) اخرجه الخمسة عدا البخارى .

(٢) مسلم والبخارى واللفظ لمسلم كتاب الفضائل باب اثبات حوض النبى صلى الله عليه وسلم جـ٤ ص١٧٩٣ ح ٢٢٩٢

(٣) جامع الأصول جـ٨ ص٥٣٩ ومسلم باب قول النبى صلى الله عليه وسلم انا أول الناس ح رقم ١٩٧ كتاب الايمان جـ ١

(٤) صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح رقم ٥٢٣ .

وعنون الامام مسلم فى كتاب الفضائل للباب الثانى بهذا العنوان :

" باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق " (١)

هذا ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى مراتب الأولياء فى كتابه العزيز فبدأهم بالصفوة من الخلق ، وهو الأنبياء وثنى بالصديقين ، فالشهداء وختمهم بالصالحين . فقال جل ذكره :

﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصلحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ (٢)

وبهذا يتبين أن الأولياء ليسوا فى درجة واحدة بل بعضهم أفضل من بعض ، وهذه المراتب الأربعة جمعها الله سبحانه فى نوعين :

سابقين ـ وأصحاب يمين .

وذكرهم فى عدة مواضع من كتابه العزيز ، فى أول سورة الواقعة وفى آخرها ، وفى سورة الانسان والمطففين وفى سورة فاطر ، فانه سبحانه وتعالى ذكر فى سورة الواقعة القيامة الكبرى فى أولها ، ثم ذكر أحوال الخلق فقال :

﴿ وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحب الميمنة ما أصحب الميمنة وأصحب المشئمة ما أصحب المشئمة والسبقون السابقون أولئك المقربون فى جنت النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ﴾ (٣)

وهذا تقسيم الله للأولين والآخرين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن سبقها من الأمم .

ثم قال تعالى فى آخرها :

﴿ فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحب اليمين فسلام لك من أصحب اليمين ﴾ (٤)

---

(١) نفس المصدر جـ٤ ص ١٧٨٢

(٢) النساء : ٦٩ (٣) الواقعة : ٧ ـ ١٤

(٤) الواقعة ٨٨ ـ ٩١

وقال فى سورة الانسان :

﴿ ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا • عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ﴾ (١)

وفى سورة المطففين قال تعالى :

﴿ كلا ان كتاب الابرار لفى عليين • وما ادرك ما عليون • كتاب مرقوم • يشهده المقربون • إن الأبرار لفى نعيم • على الأرائك ينظرون • تعرف فى وجوههم نضرة النعيم • يسقون من رحيق مختوم • ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون • ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ﴾ (٢)

فعن ابن عباس رضى الله عنهما ، وغيره من السلف قالوا :

يمزج لأصحاب اليمين مزجا ، ويشرب المقربون صرفا وهو كما قال تعالى : ﴿ يشرب بها ﴾ ولم يقل (يشرب منها) لأنه ضمن قوله يشرب معنى يروى فان الشارب قد يشرب ولا يروى فاذا قيل يشربون منها ، ولم يدل على الرى ، فاذا قيل بها كان المعنى يروون بها • فالمقربون يروون بها ، فلا يحتاجون معها الى ما دونها ، فلهذا يشربون صرفا بخلاف أصحاب اليمين فانها مزجت لهم مزجا • (٣)

ويتضح الفرق بين السابقين واصحاب اليمين فى سورة الرحمن حيث يقول الله تعالى :

﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان • فبأى آلاء ربكما تكذبان • فيهما عينان تجريان • فبأى آلاء ربكما تكذبان • فيهما من كل فاكهة زوجان • فبأى آلاء ربكما تكذبان • متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان ﴾ (٤)

ويقول تعالى :

﴿ ومن دونهما جنتان • فبأى آلاء ربكما تكذبان • مدهامتان • فبأى آلاء ربكما تكذبان • فيهما عينان نضاختان • فبأى آلاء ربكما تكذبان • فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ (٥)

---

(١) الانسان : ٦ ـ ٧ (٢) : المطففين : ١٨ ـ ٢٨ (٣) انظر الفرقان ص ٤٩

(٤) الرحمن : ٤٦ ـ ٥٤ (٥) الرحمن : ٦٢ ـ ٦٨

فالفروق واضحة بين الجنتين الأوليين والجنتين الأخريين ، اذ الأوليان عيناهما جاريتان وفاكهتهما متوفرة من كل صنف بخلاف الأخريين ،فعيناهما نضاختان وفاكهتهما محصورة فى الأنواع المذكورة ،و هذا لأن الجزاء من جنس العمل لأن :

هذه الفروق تأتى من العمل ،فمن اكتفى بأداء الفرائض والابتعاد عن الرذائل كفاه ان يكون بفضل الله من الأبرار أصحاب اليمين — أما المقربون السابقون فهم الذين تقربوا زيادة على ما فعله اصحاب اليمين بالنوافل والابتعاد عن عن المكروهات فجزاهم الله بنعم أفضل .

و لقد قال الله تعالى فى سورة فاطر :

﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير ﴾ (١)

قال ابن تيمية :

(الأصناف المذكورة فى هذه السورة ،هى أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة لأنهم الذين ورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة و ليس ذلك مختصا بحفاظ القرآن الكريم ،بل كل من آمن بالقرآن . فالظالم لنفسه : المذنب المصر على ذنبه ،والمقتصد : المؤدى للفرائض المجتنب الرذائل —" صاحب اليمين "— والسابق بالخيرات هو المؤدى للفرائض والنوافل) (٢)

و لقد سبق القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم افضل الرسل ،وزيادة فى التفضيل والبيان لمراتب الأولياء أقول :

أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير الأمم بشهادة القرآن الكريم ، و خير هذه الأمة الصحابة رضوان الله عليهم ،وخير الصحابة السابقون الأولون فمتقدموهم قبل الفتح .

---

(١) فاطر : ٣٢

(٢) الفرقان : ص ٤٨

والدليل على فضل هذه الأمة على الأمم قاطبة قوله تعالى :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾

لأن الله تعالى جمع فيها من المزايا والفضائل ما فرقه في سائر الأمم ، وبيّن سبحانه أنها خير الأمم ، فهم أنفعهم للناس وأعظمهم احسانا اليهم لأن كل خير ونفع للناس ، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، من حيث الصفة والقدر ، حيث أمروا بكل معروف ، ونهوا عن كل منكر ، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم لاسعاد البشر جميعا ، وهذا كمال النفع ولهذا قال ابو هريرة رضى الله عنه :

(كنتم خير الناس للناس ، تأتون بهم في القيود والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة) (١)

ولقد جاء في الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(عرضت على الأمم ، فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط ، والنبي ليس معه أحد ، حتى رفع لي سواد عظيم ، قلت ما هذا ؟ قيل : هذا موسى وقومه قيل : انظر الى الأفق ، فاذا سواء يملأ الأفق قيل : هذه امتك ، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا بغير حساب) (٢)

والدليل على أفضلية السابقين الأولين من المهاجرين والانصار قوله الله تبارك وتعالى :

﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ﴾ (٣)

---

(١) ابن تيمية ، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ص ١٢ بتحقيق صلاح الدين المنجد دار الكتاب الجديد بيروت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م

(٢) البخارى كتاب الطب باب من اكتوى أو كوى .

(٣) الحديد : ١٠

وقوله تعالى ﴿ والسبقون الأولون من المهجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسن رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ (١)

وقال صلى الله عليه وسلم :

(لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما ساوى مد احدهم ولا نصيفه) (٢)

ومن السابقين الأولين أهل بدر وأصحاب بيعة الرضوان وقد قال صلى الله عليه وسلم فى أهل بدر :

(لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) (٣)

وقال تعالى فى اهل بيعة الرضوان :

﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثبهم فتحا قريبا ﴾ (٤)

وأفضل السابقين ابوبكر الصديق ، ثم عمر (٥) ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم أجمعين .

ولقد ثبت لهم هذا الفضل بشهادة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين هم شهداء الله سبحانه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :

كنا نخير بين الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان رضى اللهة عنهم) (٦)

وسأل عمرو بن العاص رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحب الناس اليه فقال أبوبكر ثم قال له : ثم من ؟ قال : عمر بن الخطاب . (٧)

---

(١) التوبة : ١٠٠

(٢) البخارى كتاب فضائل الصحابة ، باب قوله صلى الله عليه وسلم " لو كنت متخذا خليلا "

(٣) = = = = باب فضل ابى بكر

(٤) الفتح : ١٨

(٥) انظر منهاج السنة جـ١ ص ٣ ط اولى سنة ١٣٢١ هـ الاميرية الكبرى

(٦) البخارى باب فضل ابى بكر

(٧) اللؤلؤ والمرجان جـ٣ ص ١٥٤٢

وممايدل على فضل أبى بكر رضى الله عنه أنه الصديق وأول الرجال ايمانا واكثرهم اخلاصا ووفاء للاسلام وأول صاحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورفيقه فى الغار . قال الله تعالى :

﴿ الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ﴾ (١)

حدثنا أنس بن مالك أن ابا بكر الصديق حدثه ، قال :

(نظرت الى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن فى الغار فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه أبصرنا ، فقال : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) (٢)

وكان أبو بكر رضى الله عنه سباقا الى الخير حريصا على اقتناء الأجر ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من أصبح منكم اليوم صائما ؟ قال ابو بكر رضى الله عنه : أنا ، قال : فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكينا ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن عاد منكم اليوم مريضا ؟ قال أبو بكر أنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اجتمعن فى امرئ الا دخل الجنة) (٣)

وهذا السبق هو الذى أهله لأن يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى هم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكتب له كتابا ، كما تروى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى مرضه ادعى لى أباك وأخاك حتى اكتب كتابا فانى أخاف أن يتمنى متمن ، ويقول قائل أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر) (٤)

والأحاديث الواردة فى فضله كثيرة . (٥)

---

(١) التوبة : ٤٠

(٢) و(٣) و(٤) مسلم فضائل الصحابة ، فضائل ابى بكر رضى الله عنه .

(٥) انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ج٣ ص ١٢٣ وما بعدها . وانظر البخارى كتاب فضائل الصحابة باب فضل ابى بكر وانظر الفرقان ص ٣٧

ويقول ابن تيمية :

(وأفضل الأولياء سابقهم الى خاتم الأنبياء وذلك لأن الولى مستفيد من النبى وتابع له ،فكلما قرب من النبى كان أفضل وكلما بعد عنه كان بالعكس بخلاف خاتم الأنبياء فان استفادته انما هى من الله ،فليس فى تأخره زمانا ما يوجب تأخر رتبته ،بل قد يجمع الله له ما فرقه فى غيره من الأنبياء فهذا الأمر الذى ذكرناه من أن السابقين من الأولياء هم خيرهم ،وهو الذى دل عليه الكتاب والسنن المتواترة واجماع سلف الأمة) (١)

ومما يدل على فضل عمر رضى الله تعالى عنه قول ابن عباس رضى الله عنهما :

(وضع عمر بن الخطاب على سريره فلتكنفه (*) الناس يدعون ويثنون ، ويصلون عليه ،قبل أن يرفع وأنا فيهم ،قال فلم يرعنى الا برجل قد أخذ بمنكبى من ورائى فالتفت اليه فاذا هو علىّ ،فترحم على عمر وقال : ما خلفتَ أحدا أحب الىّ أن القى الله بمثل عمله منك وأيم الله ان كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وذاك أنى كنت أكثر أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" جئت أنا وأبو بكر وعمر ،ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ،وخرجت أنا وأبو بكر وعمر " (٢)

ويدل على فضل عثمان رضى الله عنه قول النبى صلى الله عليه وسلم :

(... ألا استحيى ممن تستحيى منه الملائكة) (٣)

وقوله صلى الله عليه وسلم فى عثمان وجاء بألف دينار لتجهيز جيش العسرة " ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم — مرتين " (٤) وحديث ابن عمر " كنا نخير بين الناس... ثم عثمان . (٥)

---

(١) مجموع الفتاوى جـ ١١ ص ٣٣٦

(*) فتكنفه الناس : أى احاطوا به .

(٢) صحيح مسلم جـ٤ ص ١٨٥٩ كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عمر ح ١٤ وانظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جـ٣ ص١٤٦ ح ١٥٤٦/ ١٥٤٧

(٣) مسلم فى فضائل الصحابة باب فضائل عثمان رضى الله عنه وجامع الأصول جـ٨ ص٦٣٤

(٤) الترمذى باب مناقب عثمان والمسند وجامع الأصول جـ ٨ ص١٣٦ .

(٥) انظر البحث ص ١٥٥

كما يدل على فضل على رضى الله عنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى :

(أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ، غير أنه لا نبى بعدى) (١)

وقوله عليه السلام : (من كنت مولاه فعلى مولاه) (٢)

وبعد الخلفاء الراشدين فى الفضل ، العشرة المبشرون بالجنة ثم السابقون ، فبقية الصحابة ثم التابعون لهم باحسان كما جاء فى الصحيح عن عمران ابن حصين يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(ان خيركم قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم)

قال عمران : فلا أدرى أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين أو ثلاثة (٣)

وأفضل التابعين أويس القرنى : عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(ان خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم) (٤)

ثم الأمثل فالأمثل فان كان الرجل عالما عاملا ومع ذلك داعيا غيره الى الله هاديا للخلق ، كان أفضل من غيره ، كما قال الله تعالى :

﴿ يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجٰت ﴾ (٥)

قال ابن عباس رضى الله عنهما :

(العلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة) (٦)

وقال صلى الله عليه وسلم : (إن العلماء ورثة الأنبياء لأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب) رواهما أهل السنن . (٧)

---

(١) متفق عليه ، وجامع الاصول جـ٨ ص٦٤٩

(٢) المسند ج ٤ ص ٣٦٨ والترمذى فى مناقب على وهو صحيح وجامع الاصول ٨/ ٦٤٩

(٣) صحيح مسلم فضائل الصحابة جـ٤ ص ١٩٦٤ ح ٢٥٣

(٤) صحيح مسلم فضائل اويس القرنى (٥) المجادلة : ١١

(٦) مختصر الفتاوى المصرية ص ٥٥٩

(٧) ابو داود كتاب العلم والبخارى كتاب العلم بغير هذا اللفظ .

المبحث الثانى : مراتب الأولياء ووظائفهم عند الصوفية :

يرى الصوفية أن الأولياء تختلف مراتبهم ، فمنهم المغمورون المستورون ، الذين لا يعرفون أنفسهم ولا يعرفون ،وعددهم اربعة آلاف كما يقول الهجويرى ، ومنهم أهل ساحة الحق ومادتها وهم ثلاثمائة يسمون الاخيار ،وأربعون يعرفون بالأبدال وسبعة هم الأبرار ،وأربعة هم الأوتاد ثم النقباء وهم ثلاثة وعلى قمة المراتب القطب أو الغوث .

يقول الدكتور قاسم غنى نقلا عن كشف المحجوب :

" منهم أربعة الاف مستورون مغمورون لا يعرف احدهم الاخر ،ولا يعرف جمال حالهم أحد كذلك وهم محجوبون عن أنفسهم وعن الخلق فى كل الأحوال وقد وردت الأخبار بهذا ونطق الأولياء بهذا الكلام ،وظهر لى فى هذا المعنى الخبر كالعيان والحمد لله .

ولكن أهل الحل والعقد منهم ،وأهل مادة ساحة الحق جل جلالة ثلاثمائة يقال لهم الأخيار ، وهناك أربعون يسمون الأبدال ،وسبعة آخرون يعرفون بالأبرار ، وأربعة يدعون بالأوتاد ،وثلاثة يسمى كل واحد منهم النقيب وواحد يقال له القطب والغوث وجملة هؤلاء يعرف أحدهم الآخر ويحتاجون فى الأمور الى بعضهم بعضا ،والأخبار المروية ناطقة بذلك وأهل السنة مجمعون عليه) (١)

ونلاحظ أن مراتبهم تتخذ شكلا هرميا ذا قاعدة عريضة قوامها أربعة الاف وذروة سنامها الغوث ،ولفظ القطب يطلق على كل مقدم قوم ،حتى ينتهى الى قطب الأقطاب أو الغوث الفرد الذى بيده تصاريف الأمور كما يزعمون .

---

(١) د / قاسم غنى ، تاريخ التصوف فى الاسلام ص٢٦٩ نقلا عن كشف المحجوب للهجويرى ص ٢٦٧/٢٦٩ .

ولهذا يقول الكمشخانوي :

(وأما الأقطاب فكثيرة فان مقدم كل قوم هو قطبهم ، وأما القطب الفرد الجامع فهو واحد ، وذلك أن نقباء هم وهم ثلاثمائة ... وأما النجباء فأربعون ، وقيل سبعون يحملون أثقال الخلق ، ولا ينظرون الا في الحق ... وأما الابدال فسبعة رجال .... ومن خواص الأبدال ، من سافر من القوم من موضعه وترك جسدا على صورته فذلك هو البدل لا الغير ... وأما الاوتاد فهم عبارة عن أربعة رجال منازلهم أربعة أركان العالم شرقا و غربا ، وجنوبا وشمالا ... وأما الامامان فهما شخصان احدهما عن يمين القطب والآخر عن شماله .

فالذى عن شماله ينظر في الملكوت ، وهو مرآة ما يتوجه من المركز القطبي الى العالم الروحانى من الامدادات التى هى مادة الوجود ، والبقاء ، و هو مرآة لا محالة .

والذى عن شماله ينظر فى الملك ، وهو مرآة ما يتوجه فيه الى المحسوسات من المادة الحيوانية وهذا مرآة كذلك) (١)

ويقول الكمشخانوى : فى القطب

(وأما الغوث فهو عبارة عن قطب عظيم ، ورجل عزيز وسيد كريم يحتاج الناس اليه عند الاضطرار فى تبيين ما خفى من الأمور المهمة والأسرار ، ويطلب منه الدعاء وهو مستجاب الدعاء لو اقسم على الله لأبره فى قسمه (٢) .

ويقول الجرجانى فى تعريف القطب :

" القطب يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف اليه وهو عبارة

---

(١) جامع الأصول فى الأولياء ص٣ — ٥ وانظر منه ايضا ص ٩٣
وانظر عبد الكريم الجيلى ، الانسان الكامل ، ج٢ ص٤٥/٤٦ ط الحلبى سنة ١٣٩٠
وعبد الفتاح بركة الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية ص٢٥٣ ط مجمع البحوث .

(٢) انظر جامع الاصول ص٥ وص٩٣ .

عن الواحد الذى هو محل نظر الله اليه فى كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه ،وهو يسرى فى الكون سريان الروح فى الجسد ،بيده قسطاس الفيض الأعم ووزنه يتبع علمه ، وعلمه يتبع علم الحق ، وعلم الحق يتبع الماهيات غير المجعولة ،وهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى ، وهو على قلب اسرافيل من حيث حصته الملكية الحاملة مسألة الحياة والاحساس لا من حيث الانسانية وحكم جبريل فيه حكم النفس الناطقة فى النشأة الانسانية وحكم ميكائيل فيه كحكم القوة الجاذبة فيها ،وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الواقعة فيها) (١)

والصوفية فيما أعلم مجمعون على أن القطب نهاية نظامهم الطبقى .

والتلمسانى فى شرحه لمواقف النفرى يصرح بانتهاء هذه الطبقات بالقطب فيقول فى مراحل الصوفية :

(أما الأولى : فتبدأ بالمعرفة وتنتهى بالفناء الكامل ،

وأما الثانية : حيث يخلف البقاء الفناء ومن وصل الى هذه المرتبة رحل من الحق بالحق الى الحق حتى يصير هو حقا ، ولا يزال يرحل حتى يصل الى مرتبة القطب التى هى مرتبة الانسانية الكاملة ،ويصير مركز العالم الروحى حتى ان كل نقطة أوحد يصل اليها الأناسى متساوية فى البعد عن مرتبته قرب ذلك الحد أو بعد ، اذ أن جميع المراتب تدور حول مرتبته لا فرق عند القا القطب بين القرب والبعد ، ومن حاز هذه المرتبة الرفيعة كان العلم والمعرفة والفناء أنهارا من محيطه ،يمد بها من يشاء ،وله أن يهدى الناس الى سبيل ربه ،لا يطالب على ذلك اذنا من أحد ،وقبل أن يوصد باب النبوة ،كان يدعى نبيا ،أما فى ايامنا هذه فانه يدعى شيخا . هو هادى الأرواح ، وهو غوث لمن يرجو معونته فقد جمع فى نفسه جميع الأحوال الجبلية للنوع البشرى ،وهو كسائق العيس ، يسرع بكل الى أهله .

---

(١) الجرجانى التعريفات ص٩٤ ط الدار التونسية سنة ١٩٧١ وانظر جامع الأصول ص٩٣ .

وأما المرتبة الثالثة :

فان الانسان الكامل يجعل همه منصرفا الى خلق الله لما على أنه نبى ، واما على انه شيخ ، ويكشف عن نفسه لهؤلاء الذين فشلوا فى التحرر من أوصافهم الترابية كل بحسب درجته فهو يبدو لصاحب الدين متدينا وللمتأمل الذى لم يحظ بعد بتمام التأمل عارفا وللعارف الذى فنى عن ذاتيته واتقا ، ويبدو للواقف قطبا فهو افق كل مرتبة صوفية ودونه نهاية حلقات الرياضة .

المرتبة الرابعة :

ترتبط عادة بالموت الحسى ، وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم اليها حين قال وهو على فراش الموت : (اللهم الرفيق الأعلى) (١)

ومن الملاحظ على هذه النصوص المتقدمة ، أنها مليئة بالمصطلحات التى لم تكن معروفة لدى المسلمين فى عهد الاسلام الأول ثم هى غير مفهومة فى الغالب الأعم لأن الصوفية اعتادوا استعمال رموز لا مدلول لها فى الغالب ويدعون انها سر لا يعرفها الا الخاصة منهم . كما يدعون أن أولياء هم هم الذين يحكمون العالم ويدبرون شئونه ولقد فطن المستشرق نيكلسون لهذا فقال :

(وللأولياء حكومة باطن يرون أن عليها يتوقف نظام العالم ، وأن رأس هذه الحكومة الأعلى يسمى " القطب " وهو ارفع صوفية عصره ، واليه رئاسة الاجتماعات التى يعقدها مجلس شوراه الموقر ، وأعضاء هذا المجلس لا يعوقهم عن الحضور حواجز الزمان والمكان ، وانما يأتون من أرجاء الأرض فى لمحة طرف يعبرون البحار ، والجبال والصحارى فى يسر بالغ ، كما يسير عوام البشر فى السبيل المعبد ، ودون القطب تقوم طبقات الأولياء ولا يعمل الواحد منهم الا برضا الباقين ... وعلى الأوتاد الطواف حول الأرض جميعا كل ليلة ، فان كان هنالك مكان لم تقع عليه أعينهم بدت فى اليوم التالى شائبة ، فيخبرون القطب حتى يجعل همه الى ذلك المكان

---

(١) الصوفية فى الاسلام ص ١٥٤ــ١٥٥

المشوب فيبرأ مما أصابه بفضل القطب) (١)

اجتماع الأولياء :

ثم يظهر الاختلاف بين الكتاب عن الصوفية فى مكان التقاء هذه النخبة الممتازة التى تقوم بادارة شئون العالم وأين تلتقى ؟ ومتى ؟ وكيف يكون اجتماعها ؟

يقول آدم متز :

(والأولياء هم ولاة العالم ،والحل والعقد منوط بهم ،وتدبير العالم موصول بهمتهم ،ومن الجلى أن القطب هو الذى يقوم مقام الاله عند الغنوصيين وكانت صحراء تيه بنى اسرائيل تعتبر فى ذلك الوقت موضع لقاء الغوث ،وكانت الأبلّة مقر الأبدال) (٢)

ويقول الدباغ :

(الديوان يكون بغار حراء الذى كان يتحنث فيه النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ،فيجلس الغوث خارج الغار ، ومكة خلف كتفه الأيمن والمدينة أمام ركبته اليسرى ،وأربعة أقطاب مالكية ،على مذهب مالك بن أنس ، وثلاثة أقطاب على يساره واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة ،والوكيل أمامه ، ويسمى قاضى الديوان وهو فى هذا الوقت مالكى ، ومع الوكيل يتكلم الغوث ... ويحضره النساء وصفوفهن ثلاثة ،ويحضره بعض الكمل من الأموات ويكونون فى الصفوف مع الأحياء ،والأموات حاضرون فى الديوان ينزلون من البرزخ ، يطيرون بطيران الروح ، تحضره الملائكة والجن ،وفى بعض الأحيان يحضره النبى صلى الله عليه وسلم ،وكلامه مع الغوث) (٣)

---

(١) الصوفية فى الاسلام ص١١٩ / ١٢٠
(٢) آدم متز الحضارة الاسلامية ج٢ص ٤٧ / ٤٨ نقلا عن كشف المحجوب .
(٣) عبد العزيز الدباغ الابريز ، ص١٩٣ ط مصر بدون تاريخ .

ثم يذكر موضعا آخر لاجتماع الديوان قائلا :

(ويكون الديوان فى موضع آخر غير غار حراء فى العام ، فى موضع يقال له زاوية " أسا " خارج أرض سوس بينها وبين غرب السودان فيحضره أولياء السودان ويجتمعون فى غير هذين الموضعين السابقين لأن الأرض لا تطيقهم)(١) ثم يقول :

(وأما ساعة انعقاد الديوان : فهى الساعة التى ولد فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، والأنبياء يحضرون فى ليلة واحدة هى ليلة القدر ،فيحضره فى تلك الليلة الأنبياء والمرسلون ، ويحضره الملأ الأعلى من الملائكة المقربين ،ويحضره سيد الوجود مع أزواجه الطاهرات .

ولغة الديوان : هى اللغة السريانية لاختصارها ولأن الديوان يحضره الأرواح والملائكة والسريانية لغتهم .. ويقول : ان الصغير من الأولياء يحضره بذاته وأما الكبير فلا تحجير عليه ... يشير الى ان الصغير ،اذا حضره غاب عن محله وداره فلا يوجد فى بلدته أصلا لأنه يذهب اليه بذاته .

وأما الكبير فانه يدبر على رأسه ،فيحضره ولا يغيب عن داره ،لأن الكبير يقدر على التطور على ما شاء من الصور ،ولكمال روحه تدبر له ان شاء ثلاثمائة وستة وستون ذاتا)(٢)

اختلاف كلمة الأولياء :

وقد يغيب الغوث عن الديوان فلا يحضر ، فيحصل بين الأولياء من اهل الديوان ما يوجب اختلافهم ،فيقع منهم التصرف الموجب لأن يقتل بعضهم بعضا ... واذا حضر سيد الوجود ، مع غيبة الغوث ،فانه يحضر معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن والحسين وفاطمة وتجلس مع جماعة النساء)(٣)

---

(١) عبد العزيز الدباغ ،الابريز ص١٩٩ ط.مصر بدون تاريخ

(٢) المصدر السابق ص١٩٨ / ١٩٩

(٣) المصدر السابق ص١٩٩

أعمال اهل الديوان :

وأهل الديوان اذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت الى مثله من الغد ،فهم يتكلمون فى قضاء الله فى اليوم المستقبل ، والليلة التى تليه ولهم التصرف فى العوالم كلها السفلية والعلوية ، وحتى فى الحجب السبعين (*) فهم الذين يتصرفون فيه وفى أهله وفى خواطرهم وما تهجس به ضمائرهم فلا يهجس فى خاطر واحد فيهم شيء الا باذن اهل التصرف واذا كان هذا فى عالم الرقى الذى فوق الحجب السبعين التى هى فوق العرش فما بالك بغيره من العوالم) (١)

المناقشة :

يقسم الصوفية الأولياء الى مراتب ليست هى المراتب المعروفة عند المسلمين والتى تدعمها الأدلة الصحيحة التى سبق بيانها فى المبحث الأول من هذا الفصل .

ولقد قيل ان المحاسبى الذى تأثر بالمسيحية هو أول من تكلم فى درجات الأولياء . (٢)

وقد كان الأولياء حتى القرن الرابع الهجرى شبه محصورين فى الأبدال ويذكر ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١هـ ان الأبدال جمع بديل وهم فئة من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم أبدا وعددهم سبعون ، اربعون بالشام وثلاثون فى سائر البلاد) (٣)

(*) ذكر نيكلسون فى كتاب الصوفية فى الاسلام ان الحجب سبعون الفا

(١) الابريز ص٢٠٠

(٢) انظر آدم متز ،الحضارة الاسلامية جـ٢ ص٤٦

(٣) انظر آدم متز ، الحضارة الاسلامية جـ٢ ، ص ٤٧ نقله الى العربية د/ محمد عبد الهادى ابو ريده .

ثم حدث تصنيف الأولياء في القرن الخامس متخذا شكلا هرميا واسع القاعدة اذ يبلغ عدد افرادها أربعة آلاف ولى ، وهم المغمورون المستورون كما سبقت الاشارة اليهم ، ثم تتابعت السلسلة حتى انتهت بالغوث ، ومما لا شك فيه أن النصوص واضحة الغرابة ، ظاهرة التناقض ،

أما من حيث انها غريبة ، فهي مشتملة على مسميات دخيلة على الاسلام لا تستند الى دليل نقلى ولا عقلى ، ولم يعرفها سلف هذه الأمة ، وذكروا ان الاخبار ناطقة بما قالوا ، ولم يوردوا خبرا واحدا صحيحا .

وأما كونها متناقضة ، فالتناقض يظهر فى أول طبقة من طبقات أوليائهم . حيث زعموا أنهم لا يعرفون أنفسهم ولا يعرفهم غيرهم ، والسؤال ، كيف حددوا عددهم بأربعة الاف مع هذا الجهل ؟

ثم انهم يرمون القول دون تثبت ، فقد قالوا :

انعقد الاجماع على ما جاءوا به فلو قالوا اجماع الصوفية لما احتاج الأمر الى كبير عناء ولكن قالوا : اجماع أهل السنة . فمن أين جاءوا بهذا الاجماع ؟ اللهم الا ان يدعوا ان المتصوفة هم أهل السنة وحدهم .

ونرى من النصوص المتقدمة كذلك ان درجة القطبية الكبرى ، هى نهاية التدرج الذى يبدأ بالمعرفة وينتهى بالفناء الذى يخلفه البقاء فيرحل صاحبه من الحق بالحق الى الحق فيصل الى مرتبة القطبية ، والقطب بما خلعوا عليه من صفات اسطورة سميت فى الفلسفة الاغريقية " بالعقل الأول " كما سميت فى المسيحية " بالكلمة "(١) فقد اعطوه كل مقاليد الأمور وكل مخصصات الذات الالهية وجعلوه رأسا لحكومة وهمية خرافية لا تستند الى أدلة نقلية ولا عقلية وانما هى أوهام ضللوا بها العوام — والنصوص التى ساقها الدباغ خير شاهد على ما قلنا حيث يعين زمان ومكان انعقاد الديوان وكيفية انعقاده ليصبح هذا

---

(١) انظر الفصوص بتعليق د/عفيف جـ ٢ ص ٢٥

وانظر فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص ١٥٩ وانظر التصوف الثورة الروحية ص ١٠

الوهم حقيقة ٠

ولم يكن هذا الديوان قاصرا على الأحياء دون الأموات ، ولا على الرجال دون النساء بل يحضره الأموات كما يحضره الأحياء وتحضره النساء كما يحضره الرجال ٠

والدباغ بهذا الزعم يريد أن يحفظ لنفسه مكانها حيا وميتا ومن العجب أنه أمى يزكى نفسه ٠

قال راوى كتاب الابريز عنه :

(فجعل يذكر أكابر الصالحين مع كونه أميا ، ثم جرى بيننا ذكر الشيخ ابراهيم الدسوقى فقال : من الاكابر ، فجعلت أذكر مناقبه ٠٠ فقال رضى الله عنه لو عاش سيدى ابراهيم الدسوقى من زمنه الى زماننا هذا ما أدرك من المقامات ، ولا ترقى مثل ما ترقى اخوك عبد العزيز — يعنى نفسه — من امس الى اليوم) (١)

ثم يعين الدباغ زمن انعقاد الديوان وان الأولياء الصغار يحضرونه بذات واحدة ، أما الأولياء الكبار فتكون لهم ذوات متعددة ، بقدر أيام السنة ، ولعل ذلك يسهل عليهم الجواب اذا قال احد ان فلانا القطب لم يغب عن أعيننا عاما كاملا ، اذ تسهل حينئذ دعوى أنه حضر بذات غير التى تراها ، ولو كان المنتقد من أهل الغيب لما خفى عليه هذا ٠

ثم نرى أنه ينسب وظائف الديوان العظمى للمالكية لأنه مغربى والمغاربة على مذهب مالك بن أنس رحمه الله ٠ (٢)

ويقرر أن لغة الديوان الرسمية هى السريانية ، ويعلل ذلك بعلل واهية ، منها حضور الملائكة والأرواح الى الديوان كأن الملائكة والارواح لا تفقه سوى السريانية ولا يخفى ما فى هذا النص من حط من قدر اللغة العربية التى شرفها الله سبحانه

---

(١) الابريز ص ١٩٦

(٢) انظر هذه هى الصوفية ص ١٣٦

بكتابه ، ومهما أراد أعداؤها هجرها فقد رفع الله ذكرها وقدرها ، وحفظها بحفظ كتابه ، ثم يذكر اختلاف الأولياء فى غيبة القطب حتى يقتل بعضهم بعضا ، وفى حضوره تجتمع الكلمة فاذا كان هؤلاء لا يديرون اجتماعهم الصغير فكيف يديرون أمر هذا العالم .

ولقد كان المشركون أعقل من هؤلاء حيث لم يدعوا هذه الدعاوى العريضة التى ما أنزل الله بها من سلطان .

ومهما يكن من أمر فلقد كان المشهور عند المسلمين هو لفظ الأبدال دون سواهم لأن الأحاديث التى وردت فى هذا الشأن لم تذكر غير اسم الأبدال على أن الأحاديث الواردة فيهم ، لا تقوم بها حجة ، ولقد وردت هذه الأحاديث فى الحلية والمسند وغيرهما ولعل الحديث الذى يعتبر بمثابة القطب من الرحى ، والذى عليه مدار التصوف فى هذه الفكرة هو ما اخرجه الامام أحمد فى مسنده وهو الحديث الآتى :

(حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثنى شريح يعنى ابن عبيد قال : ذكر اهل الشام عند على بن أبى طالب وهو بالعراق ، فقالوا العنهم يا أمير المؤمنين قال : لا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب) (١)

---

(١) المسند ج٢ ص ٨٩٨ حديث ٨٩٦ الطبعة الثانية دار المعارف بتحقيق احمد شاكر
وانظر ابا عبد الرحمن السلمى طبقات الصوفية ص ٢ بتحقيق نور الدين سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م
وانظر الحافظ نور الدين على بن ابى بكر الهيثمى ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ١٠ ص ٦٢/٦٣ دار الكتاب العربى بيروت لبنان ط ثانية سنة ١٩٦٧م

آراء العلماء في حديث الأبدال :

١ - قال احمد محمد شاكر هذا الحديث

اسناده ضعيف لانقطاعه ،فشريح بن عبيد الحضرمي الحمصي لم يدرك عليا ،بل لم يدرك الا بعض متأخري الوفاة من الصحابة ولقد سبق لهذا الحديث رواية منقطعة الاسناد عن عمر .

٢ - وسئل ابن تيمية عن الأبدال ،فأجاب بأن هذه الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل " الغوث " و " الأوتاد " و " الأقطاب السبعة " و " الأبدال الأربعين " و " النجباء الثلاثمائة " أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى ،ولا هي أيضا مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح ولا ضعيف يحمل عليه ألفاظ الأبدال ،فقد روى فيهم حديث شامي منقطع الاسناد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ،مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيهم - يعني أهل الشام - الأبدال الأربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا .

ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف ،كما هي على هذا الترتيب والمعاني عن المشائخ المقبولين عند الأمة قبولا عاما ... وبذلك يتبين أن هذه الأسماء على هذا العدد والترتيب والطبقات ليست حقا بل يجب القطع بأن هذا على عمومه واطلاقه باطل) (١)

٣ - وأورد السيوطي حديث الأبدال في اللآلي على النحو الآتي ثم ضعفه . قال :

(الحسن بن علي بن الحسين الخلال ،حدثنا أبو بكر بن شاذان ،حدثنا

---

(١) مجموعة الفتاوى الكبرى مجلد ١١ ص ٤٣٤ / ٤٣٥ .

عمر بن محمد الصابوني ، حدثنا ابراهيم بن الوليد ، حدثنا ابو عمر الفدائي حدثنا ابو سلمة الخراساني عن عطاء عن أنس مرفوعا ، الابدال اربعون رجلا واربعون امرأة ، كلما مات رجل ، بدل الله مكانه رجلا ، وكلما ماتت امرأة بدل الله مكانها امرأة) فيه مجاهيل) (١)

٤ — ووصف ابن حجر حديث الأبدال بانه افك ودعا على من وضعه ، فقال :

(الحديث كذب ، فقاتل الله من وضع هذا الافك) (٢)

ومما تقدم يتبين فساد دعوى الصوفية في ترتيب اوليائهم وعدد أصحاب كل مرتبة كما يظهر بجلاء الاحجة على ما اختص به اصحاب كل مرتبة وبهذا يكون طريق الولاية الحقة واحدا هو اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو المقياس الحقيقي للتدرج في سلم الولاية ، وكلما كان المرء من أكثر اتباعا كان أعلى درجة كما يقول ابن تيمية رحمه الله .

فاتباع هذه الشريعة والقيام بالجهاد بها من أعظم الفروق بين أهل محبة الله واوليائه الذين يحبهم ويحبونه ، وبين من يدعي محبة الله ناظرا الى عموم ربوبيته أو متبعا لبعض البدع المخالفة لشريعته ، فان دعوى هذه المحبة كلها من جنس دعوى اليهود والنصارى البنوة والمحبة لله) (٣)

واذا كان المقياس في الولاية هو اتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فمن الواجب الا نحصر بشاراتنا أصحاب كل مرتبة في عدد معين بل لا يعلم عددهم الا الله .

---

(١) الامام جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي اللآلى المصنوعة جـ٢ ص ٢٣٢ المكتبة التجارية الكبرى بدون تاريخ .

(٢) لسان الميزان جـ٤ ص ١٥٠ ط ٢ ، بيروت بعناية موءسسة الاعلمي سنة ١٣٩٠هـ

(٣) العبودية لابن تيمية ص٨٨ مطبعة انصار السنة سنة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م

الفصل الثالث

كرامات الأولياء

قبل أن نتكلم عن كرامات الأولياء يجدر بنا أن نتكلم عن خوارق العادات مطلقا فنقول :

قسم الأشاعرة الخوارق الى ستة أقسام : (١)

١ - الارهاص :

وهو الخارق المتقدم على دعوى النبوة ،كشق بطنه صلى الله عليه وسلم وغسل قلبه ،واظلال الغمامة له قبل النبوة وتسليم الحجر والمدر عليه ، فهذه كلها خوارق للعادات متقدمة على دعوى النبوة ولكنها لا تسمى معجزات ، لأن شرط المعجزة أن تكون مقارنة لدعوى الرسالة على ما سيأتي ،وسمى الخارق قبل دعوى النبوة بذلك لكونه تأسيسا للنبوة من ارهصت الحائط اذا أسسته. (٢)

٢ - المعجزة :

وسيأتي تعريفها في موضعه لطول الكلام عليها .

٣ - الكرامة :

وسيأتي تعريفها مفصلا ان شاء الله فيما يأتي .

٤ - المعونة : (*)

وهي الأمر الخارق للعادة يظهره الله على أيدى العوام تخليصا لهم من شدة .

---

(١) انظر محمد بن علان الصديق الشافعي دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين جـ٤ ص ٣١٥ ط الحلبي .

(٢) انظر المواقف جـ٨ ص٢٢٢

(*) لا أرى فارقا بين الكرامة والمعونة والكل اكرام من الله سبحانه للعبد .

٥ — الاستدراج :

وهو أمر خارق للمادة يظهره الله سبحانه على يد فاسق خديعة ومكرا به .

٦ — الاهانـــه :

وهى ما يظهره الله تعالى على يد مدعى النبوة كذبا ،تكذيبا له ،كما جرى لمسيلمة الكذاب ، فانه تفل فى عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة. (١)

زاد بعضهم السحر ،وقيل : انه ليس من الخوارق ،لأنه معتاد عند تعاطى أسبابه (٢) وسيأتى الكلام عليه بالتفصيل ان شاء الله .

المعجـزة لغـــة :

اسم فاعل من أعجز والتاء فى اخرها للمبالغة ،كما فى قولهم : نسّابة وراويـة ،وعلامة (٣) وقيل التاء فيها للنقل من الوصفية للاسمية. (٤)

وأصلها من العجز ،ومعناه الضعف ،وعدم القدرة (٥) ويقال : أعجز عن الأمر ،وعجز عجزا .

﴿ قال يـٰويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فاوارى سوءة أخى فاصبح من النادمين ﴾ (٦)

---

(١) انظر تحفة المريد على جوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم الباجورى ص١٢٤ المطبعة الخيرية اليعقوبية الارثوذكسية سنة ١٢٩١هـ .

(٢) انظر مجموعة الحواشى الالهية على شرح العقائد النفسية جـ١ ص١٨٨

(٣) لسان العرب جـ٧ مادة عجز ص٢٣٦ . وانظر فتح البارى جـ٦ ص٥٨٢

(٤) الشيخ محمد الدسوقى على شرح ام البراهين للشيخ محمد السنوسى ص١٦٧ دار احياء الكتب .

(٥) انظر لسان العرب جـ ٧ ص٢٣٦ وتاج العروس جـ٤ مادة عجز ص ٤٩

(٦) المائدة : ٣١ وانظر المصدر السابق والصفحة .

وقال امام الحرمين :

(اعلموا أولا أن المعجزة مأخوذة لفظا من العجز ، وهى عبارة شائعة على التوسع والاستعارة والتجوز . فان المعجز على التحقيق خالق العجز ... وهو فى الحقيقة الله تعالى .. وفى تسمية الآية الخارقة للعادة الدالة على صدق الأنبياء معجزة ، تجوز ... وهو اسناد الاعجاز اليها والرب هو معجز الخلائق بها ولكنها سميت معجزة لكونها سببا فى امتناع ظهور المعارضة على الخلائق) (١) فاسناد الاعجاز اليها اسناد مجازى من الاسناد الى السبب وقال فى فتح البارى وسميت المعجزة معجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها . (٢)

المعجزة شرعا :

عرفها الباقلانى بأنها :

(أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء وتحديهم للأمم بالاتيان بمثل ذلك) (٣)

وقال امام الحرمين :

(هى أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المستمرة الظاهرة على حسب دعوى النبوة (٤) وقال أيضا هى فعل لله يقصد بمثله التصديق) (٥)

وعرفها الرازى بأنها :

(أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة ، والتحدى دعوى الرسالة) (٦)

وقال الآمدى :

(فحقيقتها هى كل ما قصد به اظهار صدق المدعى للرسالة

---

(١) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى ، الارشاد ص٣٠٧/٣٠٨ بتحقيق الدكتور محمد يوسف موسى واخرون ، طبعة دار السعادة بمصر سنة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م وانظر اصول الدين للبغدادى ص١٧٠ وانظر غاية المرام للآمدى ص٣٣٣

(٢) انظر فتح البارى جـ٦ ص٥٨٢ (٣) الانصاف ص٦١

(٤) الجوينى لمع الأدلة فى قوله اهل السنة والجماعة ص١١٠ بتحقيق د /فوقيه حسين محمود ط أولى سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م الدار المصرية للتاليف والترجمة .

(٥) الارشاد ص ٣٠٩ (٦) الرازى الأربعين فى أصول الدين ص٣٨٨

أو النبوة المتحدى بها سواء أكانت فعلا أو تركا) (١)

وقال ابن علان هى :

(الخارق للعادة ،المقرون بالتحدى الواقع على طبق ما ادعاه مع الأمن من المعارضة فيه ،والتحدى طلب المعارضة والمقابلة) (٢)

وقال القاضى عبد الجبار هى :

(الفعل الذى يدل على صدق مدعى النبوة) (٣)

وأظهر تعريف لها ما ذكره السعد حيث عرفها :

(بأنها أمر يظهر بخلاف العادة ، على يد مدعى النبوة ، عند تحدى المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الاتيان بمثله) (٤)

وليس العجز هدفا للشارع نفسه ،وانما القصد اظهار صدق المدعى للنبوة ،والمعنى الشرعى لوحظ فيه المعنى اللغوى ،لأن المعجزة فى اللغة مأخوذة من العجز كما سبق ،وفى العرف الأمر الخارق المقرون بالتحدى عند دعوى النبوة فقد لوحظ عدم استطاعة المتحدى الاتيان بمثل الخارق (٥)

وقد اعتبر المحققون فيها شروطا سبعة :

١ — ان تكون فعلا لله أو ما يقوم مقامه من التروك ،وذلك لأنها تصديق من جهته •

٢ — أن تكون أمرا خارقا للعادة ،لاستواء الأمور العادية بالنسبة للصادق والكاذب فلا يكون ما جرت به العادة دليلا على الصدق •

---

(١) الآمدى غاية المرام ، ص ٣٢٢ بتحقيق حسن محمود عبد اللطيف القاهرة سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م المجلس الأعلى •

(٢) دليل الصالحين لطرق رياض الصالحين جـ٤ ص ٣١٥

(٣) شرح الأصول الخمسة ص ٥٦٨

(٤) انظر الحواشى البهية على شرح العقائد النسفية جـ١ ص ١٨٨

(٥) المصدر السابق نفسه والصفحة

٣ — أن يتعذر معارضته فان ذلك حقيقة الاعجاز

٤ — وأن يكون ظاهرا على يد مدعى النبوة .

٥ — وأن لا يكون مكذبا له وفرق بين احياء انسان ميت ونطق بتكذيبه فلا يعتد بهذا التكذيب ، اذ المعجز هو احياؤه ، اما نطقه فهذا أمر يرجع الى اختياره ، فان كان حيوانا غير ناطق كحطب مثلا فنطق بتكذيبه فانه يعتبر وكأنه أحيى للتكذيب .

٦ — أن يكون موافقا للدعوى ، لعدم تنزيل ما خالف الدعوى منزلة تصديق الله له فى دعوى النبوة .

٧ — أن يكون مقارنا لها أو متأخرا عنها بزمان يسير معتاد ،

وهل يشترط التصريح بالتحدى؟ ، الحق أنه لا يشترط بل يكفى قرائن الأحوال مثل ان يقال لمدعى النبوة ان كنت نبيا فاظهر معجزا ، فان ظهور المعجز على يده نازل منزلة التحدى وان لم يصرح به . (١)

الكرامة لغة :

الكرامة فى اللغة الاسم من أكرم ، وكرم ، قال فى لسان العرب :

(التكرم والاكرام بمعنى واحد ، والاسم الكرامة) (٢)

وجاء فى معجم متن اللغة :

(أكرمه اكراما ، ومكرما ، عظمه ونزهه فهو مكرم ومكرام ، وذاك مكرم ، والاسم الكرامة) (٣)

---

(١) انظر المواقف جـ٨ ص ٢٢٥ / ٢٢٦ وانظر شرح العقائد النسفية ص١٨٠

(٢) لسان العرب مادة (كرم)

(٣) الشيخ أحمد رضا ، معجم متن اللغة مادة كرم جـ ٥ ص ٥٥ دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م

وفيه أيضا :

الكرامة الاسم من كرم أمر خارق للعادة غير مقارن بالتحدى ودعوى النبوة .

الكرامة شرعا :

الكرامة شرعا : أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها ، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ، ملتزم لمتابعة نبى كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم .

فدخل فى قولنا : (أمر خارق) جنس الخوارق ، وخرج ب (غير مقرون بدعوى النبوة) المعجزة ، وبنفى مقدمتها ، الارهاص فانه وان كان كرامة للنبى قبل النبوة ، الا أنه ليس كرامة بالمعنى المصطلح عليه وب (ظهور الصلاح) ما يسمى معونة مما يظهر على يد بعض العوام ، تخليصا لهم من شدة ومكروه ، (وبالتزام متابعة النبى) ما يسمى اهانة ، كالخوارق المؤكدة لكذب الكاذبين ، كبصق مسيلمة فى البئر ليعذب ماؤها فملح (وبالمصحوبية بصحيح الاعتقاد) الاستدراج ، كما خرج السحر من جهات عدة [1] ، فانه ليس خارقا للعادة اذ يمكن الوصول اليه بمعرفة اسبابه وان قيل هو خارق [2] فالساحر لا يلتزم متابعة النبى ، اذ السحر كبيرة موبقة على ما جاء فى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(اجتنبوا السبع الموبقات ... قال : الاشراك بالله والسحر ...) [3] الحديث ، وسيأتى مزيد بيان لهذا إن شاء الله .

---

(١) انظر المرحوم محمد يوسف الشيخ التعليقات على الجوهرة ص١٣٠ / ١٣١ وانظر طبعة د. سليمان الاعظمى/ رسالة فى التوحيد والفرق المعاصرة ص٧٨ سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م كمال الدين الطائى وانظر التعريفات للجرجانى ص٢٦٧ ط تونسية .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٤٦ ط ثالثة عن مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م

(٣) ابن الاثير جامع الاصول ج١٠ ص٦٢٥ بتحقيق عبد القادر الارناؤوط وانظر البخارى ٥/ ٢٠٩٤ كتاب الوصايا باب قول الله تعالى ﴿ ان الذين يأكلون أموال اليتامى ﴾ ومسلم رقم ٨٩ وابو داود رقم ٢٨٧٤ والنسائى ٦/ ٢٥٧ .

السحــر :

اختلف العلماء فيه هل هو من الخوارق (١) أو هو معتاد يعتمد على خفة الحركـة .

فابن تيمية يقول فيه :

(وأما اخبار الكهان ،وسحر السحرة مما هو من عامة الشياطين فهو أمـر موجود فى العالم كثير ،يعرفه الناس ليس من خرق العادة ، بل هو من العجائب الغريـبة) (٢)

فهذا تصريح منه بأن السحر ليس من الخوارق ،والى هذا ذهب ابـن أبى شريق اذ يقول :

(والحق أن السحر ليس من الخوارق وان أطبق القوم على عدة منها لأنه يترتب على أسباب ،فهو ترتيب مسبب على سبب ،كـترتيب الاسهال على شرب السقمونيا (*) وشفاء المريض على شرب الدواء الطبـى ،فان كلا منهمـا غـير خارق للعادة . (٣)

وتتضح ماهية السحر اكثر بتعريفه .

السحر لغـة :

السحر فى اللغة يطلق على كل شىء خفـى سببه ولطف ودق ، ولذلك تقول العرب فى الشىء الشديد الخفاء اخفى من السحر .

ومنه قول مسلم بن الوليد الأنصارى :

جعلت علامات المودة بيننـــا مصايد لحظ هن أخفى من السحر (٤)

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن جـ٢ ص ٤٦

(٢) النبوات ص٢٠٦

(*) السقمونيا : شراب مسهل

(٣) انظر الزرقانى ، المواهب اللدنية جـ٥ ص ٨٩ ط. الازهرية

(٤) الارشاد ص١ ٣٢

ولهذا قيل لملاحة العينين سحر ، لأنها تصيب القلوب ، ومنه قول المرأة التى تشببت بنصر بن حجاج السلمى :

وانظر الى السحر يجرى فى لواحظه وانظر الى دعج فى طرفه الساجى (١)

وقال الراغب :

السحر يطلق على معان منها :

ما لطف ودق ، ومنه سحرت الصبى خادعته واستملته ، وكل من استمال شيئا فقد سحره .

ومنه اطلاق الشعراء سحر العيون لاستمالتها النفوس ، ومنه قول الأطباء الطبيعة ساحرة .

ومنه قوله تعالى ﴿ بل نحن قوم مسحورون ﴾ (٢) أى مصروفون عن المعرفة .

ومنه حديث ، (ان من البيان لسحرا) (٣)

السحر شرعا :

أما السحر شرعا : فقيل : مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ، ويجرى مجرى التمويه والخداع (٤)

وقيل : هو ما يقع بخداع وتخييلات لاحقيقية لها نحو ما يفعله المشعوذة ، من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده والى ذلك أشار الله تعالى بقوله :

﴿ يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ (٥)

وقوله تعالى ﴿ وسحروا أعين الناس ﴾ (٦)

---

(١) انظر التفسير الكبير جـ٣ ص ٢٠٥ وانظر أضواء البيان جـ٤ ص ٤٤٧

(٢) المصدر السابق جـ٤ ص ٤٤٧

(٣) الحجر : ١٥

(٣) انظر فتح البارى جـ١٠ ص ٢٢٢ والحديث اخرجه البخارى فى كتاب الطب باب (ان من البيان لسحرا) حديث رقم ٥٧٦٢ ط السلفية

(٤) انظر التفسير الكبير جـ٣ ص ٢٠٥

(٥) طه : ٦٦ (٦) الاعراف : ١١٦

وقد يكون السحر مؤثرا حقيقة فى أمور غريبة كما فى قوله تعالى :

﴿ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾

ودلت عليه السنة الصحيحة كما فى قصة لبيد بن الأعصم اليهودى مع النبى صلى الله عليه وسلم (١)

ومما تقدم نتوصل الى أن السحر أمر معتاد ، اما بتخييل أو تأثير حقيقى لكنه يعتمد على الخفة والمهارة ، وربما استعان صاحبه بمعاونة الشياطين .

وابن تيمية يراه خارجا عن مألوف الناس وما اعتادوه فيقول :

(أما السحر والكهانة فهو من اعانة الشياطين لبنى آدم ... فأمورهم خارقة عما اعتاده الانس) (٢)

وهذا لا يدل على أنه من الخوارق التى ليس لها أسباب معروفة ، بل من الخوارق التى لها أسباب معروفة يمكن أن يباشرها غير من ظهرت على يده فيتوصل الى مثلها ، وبذلك لا يكون ابن تيمية مناقضا نفسه .

ومن المعروف أن الساحر لا يتجاوز سحره الأمور المقدورة كما يؤخذ من تعريف السحر والساحر كما قال الله تعالى :

﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ (٣)

وقوله تعالى ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ﴾

على أنه ان قيل : ان السحر امر خارق (٥) ففرق بينه وبين المعجزة .

يقول ابن تيمية :

(فان مبنى السحر على الشرك والكذب ، والظلم والفواحش وهذا ما يعلم بصريح العقل أنه من السيئات ، فالنبى لا يأمر به ، ولا يعمله وصاحبه يستعين عليه كما تقدم

---

(١) انظر المواقف جـ٨ ص٢٢٦

(٢) انظر النبوات ص ٣ ، ٤ و ٦٢ و ٢٠٢ و ٢٠٧

(٣) طه : ٦٩ (٤) البقرة : ١٠٢

(٥) انظر الجامع لاحكام القرآن جـ٢ ص٤٦

بالشرك والكذب وقد علم بصريح العقل مع ما تواتر عن الأنبياء انهم حرموا الشرك ، فمتى كان الرجل يأمر بالشرك وعبادة غير الله تعالى ، أو يستعين على مطالبه بهذا والكذب والفواحش والظلم علمنا قطعا أنه من جنس السحر ، لا من جنس خوارق الأنبياء • وخوارق الساحر يمكن معارضتها وابطالها من بني جنسه ، وخوارق الأنبياء لا يمكن غيرهم أن يعارضها ولا يمكن لمخلوق ابطالها لا من جنسهم ولا من غير جنسهم ، فان الانبياء يصدق بعضهم بعضا ، فلا يتصور ان نبيا يبطل معجزة آخر ، وان أتى بنظيرها فهو مصدق له ، ومعجزة كل منهما آية للآخر أيضا •

كما أن معجزات اتباعهم آيات لهم ، بخلاف خوارق السحرة ، فانها انما تدل على أن صاحبها ساحر يؤثر آثارا غريبة مما هو فساد في العالم ، ويسر بما يفعله من الشرك والكذب والظلم ، ويستعين على ذلك بالشياطين فمقصوده الظلم والفساد ، والنبي مقصوده العدل والصلاح ، وهذا يستعين بالشياطين ، وهذا يستعين بالملائكة ، وهذا يأمر بالتوحيد لله وعبادته وحده لا شريك له ، وهذا انما يستعين بالشرك وعبادة غير الله ، وهذا يعظم ابليس وجنوده ، وهذا يذم ابليس وجنوده • (١)

وكما ظهر الفرق بين السحر والمعجزة فالفرق بين السحر والكرامة :

ان السحر لا يظهر الا على يد فاسق والكرامة لا تظهر على يد الفاسق ، وليس ذلك من مقتضى العقل لكنه متلقى من اجماع الأمة • (٢)

الكرامة بين النفي والاثبات :

قصر المعتزلة خوارق العادات على معجزات الأنبياء دون سواها وقالوا :

" ان ظهور الخارق على يد غير النبي ، وان لم يكن قادحا في دلالته على نبوة من ظهر على يديه فانه مفسدة ، لأنه ينفر عن النظر في أعلام

---

(١) انظر النبوات ص ٢١

(٢) انظر الارشاد ص ٣٢٢

الأنبياء ... وقد ثبت أن ما ينفر الواحد بمنزلة ما ينفر الكل ، فليس لأحد أن يقول : ان كثيرا من الناس اعتقدوا ظهور الأعلام ولم ينفرهم ذلك ، لأنه لا معتبر بجميعهم بل الواحد كالجميع .(١)

ووافق المعتزلة على انكار الخوارق لغير الأنبياء ، أبو اسحق — الاسفراييني ، وابن حزم ، وابن أبي زيد نقل عنه ذلك ابن تيمية .(٢)

حجج نفاة الخوارق لغير الأنبياء :

احتج نفاة الخوارق لغير الأنبياء بوجوه :

١ — قالوا : لو جاز انخراق العوائد للأولياء لم نأمن في وقتنا هذا من وقوعه ، وذلك يؤدى الى أن يتشكك اللبيب في جريان النهر دما وانقلاب الأطواد ابريزا وحدوث بشر من غير أعلاق وولادة ، وتجويز ذلك سفسطة وتشكك في الضروريات(٣) — يقصدون بذلك أن تجويز الكرامة يؤدى الى عدم الثقة في العلوم العادية ، اذ يجوز ما علمناه نهرا بالأمس أن يستحيل دما كرامة لولي اليوم وهلم جرا .

٢ — من شرط الدليل ، أينما حصل لا بد وان يحصل معه المدلول وظهور الخوارق يدل على النبوة ، فلو حصل في حق النبي صلى الله عليه وسلم وفي حق غيره لخرج عن كونه دالا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وهذا باطل بالاجماع .

٣ — لو جاز ظهور الخارق في حق بعض الأولياء لجاز ظهوره في حق الباقين ، وعلى هذا التقدير ، فيخرج انخراق هذه العادات عن كونه دليلا على النبوة ودليلا على الكرامة ، اذ مع كثرة ظهور الخوارق تخرج الى كونها معتادة فظهور الخارق لغير الأنبياء يؤدى الى أن يشتبه النبي بغيره ممن يظهر على يده بعض الخوارق ويدعى النبوة كذبا .

---

(١) القاضي عبد الجبار ، المغني جـ١٥ ص٢٢٣/٢٢٤
(٢) انظر النبوات ص٢ ط دار الفكر
(٣) انظر الارشاد ص٣١٨

٤ — لو ظهرت هذه الخوارق على يد النبي وعلى يد غير النبي لم يبق لظهورها وقع ولا مرتبة ، كما أن المنصب الذي يصل اليه الشريف والخسيس ، فانه لا يبقى له وقع ، ولما اتفق العقلاء ان ظهور هذه الخوارق منصب عظيم ، علمنا أنه لا بد وان يكون مخصوصا بالأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه ، حتى لا يصرف وقوعها لغيرهم عن النظر في معجزاتهم ، فان ما يصرف عن ذلك مفسدة عظيمة .

٥ — لو ظهرت الكرامات على يد انسان ثم ادعى ذلك الانسان على أحد مالا ، لم يكن للمدعى عليه ان يطالبه بالبينة لأنه ظهر بتلك الكرامة كمال حاله ودرجته عند ربه ، ومن كان كذلك امتنع ان يكون في ادعائه المال على الغير كاذبا حتى يطالب بالبينة .

وعدم مطالبته بالبينة مخالفة صريحة لقوله عليه الصلاة والسلام " فالبينة على المدعي واليمين على المدعى عليه "(١) . وان طالبه بالبينة كان ذلك طعنا في كرامته ودرجته عند ربه .

واذا بطل القسمان ، عدم مطالبته بالبينة حتى لا يلزم الطعن في كرامته . ومطالبته بها حتى لا يخالف أمر الشارع — علمنا أنه لا يجوز ظهور الكرامة .

مناقشة حجج نفاة الخوارق لغير الأنبياء :

أجاب الرازي على شبه المنكرين بما يأتي :

١ — ان منكري الكرامة يلزمهم ذلك الاشكال ، لأنهم ان اثبتوا للعالم فاعلا مختارا ، فلعله فعل هذه الأمور من قلب الجبال ابريزا ، وتجفيف البحار ، وما شابه ذلك اما من غير رعاية مصلحة عند من لا يوقف فاعلية الله تعالى على رعاية المصالح .

او لمصلحة لا نعرفها نحن عند من يوقف فاعلية الله تعالى على رعاية المصالح .

---

(١) البخاري كتاب الرهن

أما من ينكر الفاعل المختار ،فيلزمه هذا الاحتمال أيضا لأن سبب حدوث الحوادث في هذا العالم بتشكيلات فلكية واتصالات كوكبية على مذهبه ،ولا يبعد أن يحدث في الفلك تشكل غريب يوجب حدوث هذه الحوادث في هذا العالم ، فثبت أن هذا الاشكال لازم على كل الفرق . ثم ان دليلكم هذا قد يتمسك به منكروا الخوارق مطلقا فيقولون لو جاز خرق العادة للنبي وغيره لم نأمن ان يكون بحضرتنا جبال لا نراها قد تحولت ذهبا ، وأن يكون ماء النهر قد تحول دما الى غير ذلك . وحل هذه الشبه أنه ليس كل أمر يمكن عقلا يجوز عادة فهذه مجرد احتمالات عقلية تكذبها العادة وهي احدى الأسباب الموجبة للعلم ، فمع احتمال أن يكون الجبل ذهبا عقلا ،الا أن العادة المستمرة تعطينا جزما أنه ما زال حجرا .

٢ — ان الكرامات والمعجزات وان اشتركتا في كون كل منهما أمرا خارقا للعادة ، ولكن تمتاز المعجزة على الكرامة بما يأتي :

أ — ان الدعوى شرط في النبوة وليست شرطا في الكرامة .

ب — القصد من المعجزة اظهار صدق مدعي النبوة فهي لتأييد دعوى. وليس القصد من الكرامة تأييد دعوى ،اذ الولي لا يدعي الولاية ومن باب أولى انه لا يدعي النبوة . وانما هي في حقه اكرام من الله لعبده ودليل على قربه من ربه .

٣ — ان هذا الذي ألزمتمونا به يلزمكم في المعجزات ،وذلك لأنه تعالى بعث جمعا كثيرا من الأنبياء ،فاذا أظهر على يد كل واحد منهم فعلا خارقا للعادة فحينئذ تصير الخوارق للعادة كثيرة وذلك يخرجها عن كونها خارقة ،الأمر الذي يقدح في كون المعجزة معجزة . فان قلتم : ان تكثير المعجزات انما يجوز بشرط ألا يصير انخراق العادة عادة كان هذا جوابنا في الكرامات .

٤ — ان دليل النبوة ليس الفعل الخارق فقط بل هو الفعل مقرونا بدعوى النبوة مع عدم المعارضة وهذا المجموع لا يحصل لغير الأنبياء ومن هنا يثبت لمعجزة الأنبياء وقعها ومرتبتها .

٥ — ان ظهور الكرامة على يده لا يوجب كونه صادقا في جميع الأمور ، فلا جوم يطالب بالبينة .

فليس من شرط الولي ألا يرتكب معصية بل المشروط ان وقع في المعصية ألا يصر عليها بل يجب عليه التوبة .

مما تقدم يظهر فساد مذهب المعتزلة ، ومن نحا نحوهم في انكار خوارق العادات لغير الأنبياء ، لأنه بمنزلة انكار المحسوسات (٢) .

ويلاحظ أن الذي حدا بالمعتزلة الى انكار الخوارق لغير الأنبياء قصرهم دليل النبوة على المعجزة ،فان علمنا أن أدلة النبوة كثيرة وأن المعجزة وان كانت دليلا صحيحا الا ان هناك أدلة غيرها ،أمكن ان يتميز أمر النبي من الولي بغير الخارق .

الفرق بين المعجزة والكرامة :

ويفرق ابن تيمية بين المعجزة والكرامة ،فيرى أن الكرامة وان كانت من جنس المعجزة أي ان الكل يندرج تحت خوارق العادات ، الا أن الكرامة دون المعجزة .

فالمعجزة كالقرآن وانشقاق القمر ،وفلق البحر ،وعدم حرق النار لمن يلقى فيها ، تختص بالنبي وتكون دليل صدقه ، اذ هي خارق للعادة أعظم مما يكون للولي .

يقول في ذلك :

(ان كرامات الأولياء ،ومعجزات الأنبياء من جنس واحد بلا ريب لكن كرامات الصالحين لا تبلغ مثل معجزات الأنبياء والمرسلين كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب مثل درجاتهم ،ولكن قد يشاركونهم في بعضها ، كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم ،والمعول عليه في الشهادة على صدق الانبياء معجزاتهم الكبرى

---

(١) انظر فخر الدين محمد بن عمر الرازي في الاربعين في اصول الدين ص٣٨٦/٣٨٨ ط اولى دار المعارف حيدر اباد الدكن سنة ١٣٥٣هـ وله التفسير الكبير جـ ٢١ ص ٩٢ وما بعدها وانظر الارشاد ص٣١٩ / ٣٢٠ .
(٢) انظر شرح الطحاوية ص٤٤٦ بتحقيق شاكر .

وهذه لا يظهر مثلها على يد أحد من اتباعهم وبالاحرى لا يظهر مثلها على يد أحد من المعارضين فاذا ظهر على يد احد من اتباعهم كما صارت النار بردا او سلاما على ابي مسلم الخولاني ، فانما هو تاكيد لآيات الأنبياء وهو ايضا من معجزاتهم بمنزلة ما تقدم من الارهاص .

ومع هذا ،فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين . اما التوابع والنوافل فيجوز أن يظهر مثلها على يد الأولياء كرامة ، ودلالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم الذى اتبعوه و هذا لا يطعن في صدق الأنبياء) (١)

لكن يظهر التناقض في كلامه ،لقوله(وهذه لا يظهر مثلها على يد أحد من اتباعهم) ثم يقول فاذا ظهر على يد أحد من اتباعهم ثم يسوق ما يؤيد أنه ظهر بالفعل مثلها على أيديهم ،فيذكر قول عمر رضى الله عنه في أبي مسلم الخولاني بعد أن ذكر قصته كاملة ،فيقول :

" وقدم المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم — يعنى أبا مسلم — فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر رضى الله عنهما ،وقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله) (٢)

فهذا القول ظاهر في أن ما حدث لأبي مسلم من عدم احراق النار ، كان مثل ما فعل بابراهيم خليل الله .

ويبدو أن الذى دفعه الى ما ذهب اليه هو أنه أراد أن يفرق بين المعجزة والكرامة ، فجعل الآيات الكبرى كانشقاق القمر وعدم حرق النار ،وقلب العصا حية تختص بالأنبياء وجعل ما دون هذه الآيات قد يظهر على يد بعض الصالحين والفرق حينئذ يتضح في ان كرامة الولى دون ما يحصل للنبي في الكم ، ولكن اذا علمنا ان المعجزة هي الخارق المقرون بدعوى النبوة المتحدى به الذى يعجز الناس عن الاتيان بمثله اتضح الفرق بين المعجزة والكرامة مهما بلغ شأن الكرامة .

---

(١) النبوات ص٤ / ٥

(٢) مجموعة الفتاوى الكبرى ج ١١ ص٢٨٠

جواز الكرامة :

الكرامة جائزة عقلا وواقعة شرعا .

أدلة الكرامة :

استدل القائلون بجواز الكرامة بأمور فقالوا :

١ ـ انه ليس يلزم من فرض وقوعها محال وكل ما كان كذلك فهو ممكن

قال الجرجاني :

(أما جوازها عقلا فظاهر على أصولنا ، وهي أن وجود الممكنات مستند الى قدرته تعالى الشاملة لجميعها ، ولا يمتنع شيء منها على قدرته ، ولا شك أن الكرامة أمر ممكن اذ ليس يلزم من وقوعها محال لذاته) (١)

وانما قلنا ، لا يلزم من فرض وقوعها محال لما أسلفناه من الفرق بين المعجزة والكرامة ، وأن ظهور الكرامات لا يلزم منه أن يكون غير المعتاد معتادا .

٢ ـ من المعلوم أن الله تعالى ، يتولى عبده القائم بطاعته فيحبه وينصره فاذا تعينت الكرامة طريقا لخلاص هذا العبد من شدة حصل وقوعها بوعده الكريم بقوله تعالى :

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ (٢)

فهذا وعده الصادق أن يخرج عبده من محنته ، ولو كان ذلك بضرب من الخوارق ومعلوم أن الله تعالى لا يعد بالمستحيل لذاته .

٣ ـ بالكرامة يزداد العبد الصالح ايمانا واطمئنانا فاذا لم يكن ثمة ما يمنع وقوعها فعلها الله تفضلا ، ولا شك أن وقوعها دليل جواز هـا اذ ما كان مستحيلا لا يقع .

---

(١) شرح المواقف ، للسيد السند ص ٧٨ ، ط القسطنطينية سنة ١٢٨٦

(٢) سورة الطلاق : ٢

يقول الرازى ما ملخصه :

أ — لقد ثبت أن الله تعالى ولى المؤمن قال تعالى :

﴿ الله ولى الذين ءامنوا ﴾ وأن المؤمن ولى الله ﴿ الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ فاذا فعل العبد الصالح كل الطاعات أمرا ونهيا فكيف يبعد ان يكرم الرب الرحيم ولو مرة واحدة هذا العبد بما يزيده يقينا وثباتا واطمئنانا ، بل أولى أن يفعل الرب ذلك ، لان العبد مع العجز واللوم فعل ما أمر به محبة واجلالا ، فأولى أن يفعل القادر الكريم بالعبد الصالح ما يزيده يقينا وطمأنينة وهو القائل :

﴿ هل جزاء الاحسان الا الاحسان ﴾ (١)

والقائل : ﴿ وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم ﴾ (٢)

وانما قلنا : ليس هناك ما يمنع وقوعها لظهور الفرق بين المعجزة والكرامة كما سبق .

ثم انه اذا كانت الكرامة أمرا جائزا فى نفسه فكيف يستبعد وقوعها وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل :

(وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ...) الحديث .

ولا شك أن هذا مقام شريف ، فاذا اوصل الله برحمته عبده الى هذا المقام وهذه الدرجات العلى ، فأى بعد أن يسخر له حيوانا كالسبع وما شابهه أو ان يعطيه شربة فى مفازة . قال عليه الصلاة والسلام حاكيا عن رب العزة جل وعلا : (من آذى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة) (٣) فجعل ايذاء وليه ايذاء له ، وهذا قريب من قوله تعالى ﴿ ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ﴾ (٤)

---

(١) الرحمن : ٦٠ (٢) البقرة : ٤٠

(٣) ابن ماجه كتاب الفتن بلفظ " وان من عادى لله وليا فقد بارز الله بالمحاربة "

(٤) الفتح : ١٠

فجعل بيعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم مبيعة له تعالى فلا جرم ان كانت درجة محمد صلى الله عليه وسلم ، أعلى الدرجات فكذا هنا لما قال : (من آذى لى وليا) دل على أنه تعالى جعل ايذاء الولى ايذاء له ، ويتأكد هذا الخبر المشهور الذى جاء فيه :

مرضت فلم تعدنى ... وفيه يا رب كيف اعودك وأنت رب العالمين ، فيقول تبارك وتعالى : (ان عبدى فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده) (١) فهذا دليل على ان أولياء الله يبلغون هذه الدرجات فكيف تستبعد عنهم الكرامات .

واذا كنا نشاهد فى العرف أن بطانة الملك التى اختصها بخدمته وأطلعها على أسراره وقربها فى مجالس أنسه قد يخصها أيضا بما لا يقدر عليه غيرها ، بل العقل السليم يشهد بأنه متى حصل القرب المبنى على الاخلاص ، فان المناصب تبع له فالقرب أصل والمنصب فرع .

وأعظم الملوك هو رب العالمين فاذا شرف العبد بالقرب ورفع حجب البعد بينه وبين نفسه ، فأى بعد فى أن يظهر على يديه بعض الكرامات فى هذا العالم ، علما بأن هذا العالم كله بالنسبة لما أوصله من السعادة الروحية والمعرفة الربانية كالعدم (٢)

وقوعها شرعا :

وأما وقوعها وهو يدل على جوازها ، فان الممتنع لذاته يستحيل وقوعه فنقول فيه :

أيد مثبتوا الكرامات قولهم بما لا سبيل الى رده مما ورد به الشرع ، فذكروا بجانب الحجج العقلية التى تقدم ذكرها حججا نقلية ، جاءت فى كتاب الله تعالى ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مثبتة كرامات فى الأمم السابقة أجراها الله

---

(١) مسلم كتاب البر باب فضل عيادة المريض ح ٤٣

(٢) انظر التفسير الكبير جـ ٢١ ص ٨٩ وما بعدها .
وانظر الارشاد ص ٣١٨ وما بعدها .

على أيدى بعض الصالحين ، ولم تكن معجزات لرسل ، وحصول الكرامة دليل امكانها .

وسنذكر بعض ما احتجوا به مما جاء فى التنزيل العزيز والسنة النبوية المطهرة على سبيل المثال لا الحصر :

١ — ان حدوث الحبل لمريم الصديقة العذراء البتول من غير ذكر ، وهى غير نبية لأكبر شاهد على اكرام الله تعالى لها ، وهو كرامة فليس من العادة أن تحمل الأنثى بدون ذكر قال الله تعالى :

﴿ والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين ﴾ (١)

٢ — ووجود الرزق عندها من غير سبب ، وبغير علم كافلها أنى لها الرزق كرامة لها من الله سبحانه وتعالى ، وينفى أنه معجزة لزكريا عليه السلام كما قالت المعتزلة عدم علمه به . قال الله تعالى :

﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال : يامريم أنى لك هذا قالت : هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ (٢)

قال الامام الرازى :

(تواترت الروايات أن زكريا عليه السلام كان يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف) (٣)

٣ — تساقط الرطب الجنى عليها بهزها النخلة وليس من المعتاد أن يتساقط الرطب من النخل بهز الانسان ، وانما حصل ذلك كرامة لها ، قال الله تعالى :

﴿ وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ﴾ (٤)

٤ — واكرام الله سبحانه أهل الكهف وابقاؤهم نائمين سالمين لا تبلى أجسادهم من غير طعام ولا شراب يقيهم ربهم حر الشمس وزمهرير الشتاء ، مدة غير معتادة للأحياء تسع سنين وثلاثمائة سنة — خارق للعادة ولا سبيل الى انكاره وما كانوا أنبياء اجماعا ، فوجب أن يكون هذا من باب الكرامة قال الله تعالى :

---

(١) الأنبياء : ٩١ (٢) آل عمران : ٣٧

(٣) التفسير الكبير ج ٨ ص ٣٠ وانظر الارشاد ص ٣٢٠

(٤) سورة مريم الاية ٢٥

﴿ واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا ﴾ (١)

٥ — وضع أم موسى عليه السلام ابنها فى التابوت والقاؤه فى اليم مطمئنة بالهام الله لها ووعده برده اليها ، وجعله من المرسلين من خوارق العادات التى ظهرت لأم موسى عليه السلام ولم تكن نبيه . قال الله تعالى :

﴿ وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ (٢)

٦ — احضار صاحب سليمان عرش ملكة سبأ من مسافة بعيدة بدون أسباب معتادة من كرامات الصالحين . قال الله تعالى :

﴿ قال الذى عنده علم من الكتب أنا ءاتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ﴾ (٣)

كل هذه الخوارق كرامات أجراها الله سبحانه على أيدى بعض صالحى الأمم السابقة دل عليها الكتاب الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فهذه شهادة الله تعالى على جواز الكرامة للأولياء ووقوعها بالفعل .

أدلة الكرامة من السنة :

وأما السنة فقد جاءت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ، تشير الى كرامات لبعض الصالحين الذين ءامنوا بالله ورسله واليك بعض هذه الأحاديث :

عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون ، اذ أصابهم مطر فأووا الى غار فانطبق عليهم ، فقال بعضهم لبعض انه والله ياهؤلاء لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه ، فقال واحد منهم :

---

(١) الكهف : ١٦ وانظر الايات ١٧ — ٢١

(٢) القصص : ٧ (٣) النمل : ٤٠

اللهم ان كنت تعلم أنه كان لي أجير ، عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه ، وأني عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار من امره أني اشتريت منه بقرا وأنه أتاني يطلب أجره ، فقلت له اعمد الى تلك البقر فسقها ، فقال لي : انما لي عندك فرق من أرز ، فقلت له اعمد الى تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها ، فان كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة .

فقال الآخر :

اللهم ان كنت تعلم ، كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فابطأت عليهما ليلة ، فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع ، فكنت لا اسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت ان أوقظهما ، وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل انتظر حتى طلع الفجر ، فان كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء .

فقال الآخر :

اللهم ان كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس اليّ وأني راودتها عن نفسها فابت الا ان آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها اليها فأمكنتني من نفسها ، فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه ، فقمت وتركت المائة دينار فان كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، ففرج الله عنهم فخرجوا) (١)

ففي هذا الحديث دلالة على أن الله تعالى أكرم هؤلاء الأولياء بانسياح الصخرة عن فم الغار ببركة دعائهم واخلاصهم لله .

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صهيب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(كان ملك فيمن كان قبلكم . وكان له ساحر . فلما كبر قال للملك : انى

---

* فيستكنا : اي يلبثا في كنهما ، وروي فيستكنا من الاستكانة وهو الضعف والمسكنة .

(١) البخاري كتاب بدء الخلق باب * أم حسبت أن اصحب الكهف والرقيم * ج٤ ص ١٤٧ / ١٤٨ .

قد كبرت ، فابعث الي غلا ما أعلمه السحر • فبعث اليه غلا ما يعلمه • فكان في طريقه اذا سلك راهب • فقعد اليه وسمع كلامه فأعجبه • فكان اذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه ، فاذا أتى الساحر ضربه • فشكا ذلك الى الراهب فقال : اذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي ، واذا خشيت اهلك فقل حبسني الساحر •

فبينما هو كذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال : اليوم أعلم الساحر افضل ام الراهب أفضل ؟

فأخذ حجرا فقال : اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة ، حتى يمضي الناس ، فرماها فقتلها و مضى الناس • فأتى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى • فان ابتليت فلا تدل عليّ ، وكان الغلام يبرئ الاكمه والأبرص ، ويداوي الناس من سائر الأدواء و فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك اجمع ان انت شفيتني ، فقال : اني لا أشفي أحدا • انما يشفي الله فان أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله ، فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس ، فقال له الملك من رد عليك بصرك ؟ قال : ربي • قال ولك رب غيري ؟ قال : ربي و ربك الله • فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فجيء بالغلام فقال له الملك أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل • فقال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله ، فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه •

ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل ، فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك ؟

فقال كفانيهم الله •

فدفعه الى نفر من أصحابه ،فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه ،فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك ؟ قال كفانيهم الله •

فقال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به ،قال : وما هو؟ قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع ثم خذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمنى فانك اذا فعلت ذلك قتلتنى ، فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغه فوضع يده فى صدغه فى موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام • فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر ؟ قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود فى أفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها أوقيل له اقتحم ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أمه اصبرى فانك على الحق)(١)

فى هذا الحديث دليل على أن الشخص اذا كان فى قتله مصلحة اكبر من حياته ،وهى ايمان العدد الكثير يجوز له ان يرشد الى قتله ولا يعتبر قاتلا لنفسه بل يعتبر قتله شهادة •

وفيه دلالة على أن الكرامة اذا تعينت طريقا لخلاص الولى أجراها الله على يديه مصداقا لقوله تعالى ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ ولقد لاقى الغلام من الشدائد ما لاقى فى سبيل دعوته الى الله وآثر الموت على الحياة • ولم يشغله شاغل عن الدعوة الى الله تعالى •

---

(١) مسلم ،كتاب الرقاق ،باب قصة اصحاب الاخدود والساحر والراهب والغلام ج ٣٠٠٥

ولقد حصلت له كرامات كثيرة دل عليها الحديث كقتله الدابة العظيمة بالحجر الصغير .

وابراؤه الاكمه والابرص واهلاك أعدائه واخفاقهم في شتى الوسائل لقتله كل هذه أمور خارقة ظهرت على يديه كرامة له .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(لم يتكلم في المهد الا ثلاثة ، عيسى بن مريم ، وصاحب جريج وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فقالت : يا جريج فقال : يا رب أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت : يا جريج . فقال : يا رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته ، فقالت : اللهم لا تمته حتى ينظر الى وجوه المومسات . فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته ، وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها فقالت : ان شئتم لأفتننه لكم ، قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فأتت راعيا كان يأوي الى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم قالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال : أين الصبي ؟ فجاءوا به فقال : دعوني أصلي فصلى فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال : يا غلام من أبوك ؟ قال : فلان الراعي قال : فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا : نبني لك صومعتك من ذهب قال : لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا .

وبينما صبي يرضع من أمه ، فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة فقالت أمه : اللهم اجعل ابني مثل هذا ، فترك الثدي وأقبل اليه فنظر اليه فقال : اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع .

قال فكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه باصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها .

قال : ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت . سرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل ، فقالت أمه اللهم لا تجعل ابني مثلها ، فترك الرضاع ونظر

اليها فقال اللهم اجعلني مثلها . فهناك تراجعا الحديث فقالت " حلقى " مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل إبنى مثله فقلت اللهم لا تجعلنى مثله ، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنيت . سرقت فقلت اللهم لا تجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها .

قال : ان ذاك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلنى مثله وان هذه يقولون لها زنيت ولم تزن و سرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلها)(١)

ففى هذا الحديث من الكرامات :

نطق الغلام ببراءة جريج من جريمة الزنا حيث ذكر اباه الحقيقى فهذا كرامة لجريج رضى الله عنه .

و نطق الغلام فى المهد ببراءة من رميت بالزنا والسرقة كرامة لها .

و كما وجدت الكرامات فى أمم سابقة فالكرامات التى ظهرت على أيدى الأولياء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة فأمته خير أمة ونبيها أفضل الأنبياء ومعجزاته أعظم المعجزات فكراماتها أفضل الكرامات وعلى رأس هذه الأمة بعد نبيها الصحابة رضى الله عنهم وكراماتهم كثيرة مشهورة نذكر منها على سبيل المثال ما أكرمهم الله بسبب اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم فمن ذلك ما أخرجه الشيخان : (عن عبد الرحمن بن أبى بكر ان اصحاب الصفية كانوا أناسا فقراء وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث . وان اربع فخامس أو سادس وأن أبا بكر جاء بثلاثة فانطلق النبى صلى الله عليه وسلم بعشرة . قال فهو أنا وأبى وأمى فلا أدرى قال وامرأتى وخادم بيننا وبين بيت أبى بكر ، وأن أبا بكر تعشى عند النبى صلى الله عليه وسلم ثم لبث حيث صليت العشاء ثم رجع فلبث حتى تعشى عند النبى صلى الله عليه وسلم فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله قالت له امرأته وما حبسك عن أضيافك

(حلقى) أى اصابه الله تعالى بوجع فى حلقه .

(١) مسلم كتاب البر باب تقديم بر الوالدين ح ٢٥٥٠

أو قالت ضيفك قال أو ما عشيتيهم ؟ قالت : أبواحتى تجيء ، قد عرضوا فأبوا قال فذهبت أنا فاختبأت فقال يا غنثر فجدع و ست وقال كلوا لا هنيئا فقال : والله لا أطعمه أبدا وأيم الله ما كنا ناخذ من لقمة الا ربا من اسفلها اكثر منها وصارت اكثر مما كانت قبل ذلك فنظر اليها أبو بكر فاذا هي كما هي أو اكثر منها فقال لامرأته يا أخت بنى فراس ما هذا ؟ قالت لا وقرة عينى لهى الان اكثر منها بثلاث مرات فأكل منها أبو بكر وقال انما كان ذلك من الشيطان يعنى يمينه ثم أكل منها لقمة ثم حملها الى النبي صلى الله عليه وسلم فأصبحت عنده وكان بيننا وبين قوم عقد فمضى الأجل ففرقنا اثنى عشر رجلا مع كل رجل منهم أناس الله أعلم كم مع كل رجل فأكلوا منها أجمعون أو كما قال) (١)

فتكثير الطعام وعوده اكثر مما كان بثلاث مرات مع الأكل منه من كرامات أبى بكر رضى الله عنه .

وروى مالك فى الموطأ عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت :

ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان نحلها جادّ عشرين وسقا من ماله بالغابة ، فلما حضرته الوفاة قال والله يا بنية ما من الناس أحد أحب الى غنى بعدى منك ، ولا أعز على فقرا بعدى منك وانى كنت نحلتك جاد عشرين وسقا فلو كنت جددتيه واحتزتيه كان لك ، وانما هو اليوم مال وارث ، وانما هما أخواك وأختاك .

قالت عائشة ، فقلت يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته انما هى أسماء فمن الأخرى ؟ فقال ابو بكر ذو بطن (*) بنت خارجه أراها جارية) (٢)

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقى ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ج٣ ص ٢٧/ ٢٨ ح ١٣٣٢ وانظر البخارى كتاب مواقيت الصلاة باب السحر مع الضيف والاكل .

(٢) مالك بن أنس الموطأ ج٢ كتاب الاقضية ص ٢٢٢/ ٢٢٣ طبع دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبى بجوار سيدنا الحسين .

(*) ذو بطن معناها صاحبة بطن بمعنى الكائنة فى بطن بنت حارجه وهى ام حبيبة بنت حارجه (اراها) اظنها جارية انثى فلذا قلت اختاك فكان كما ظن وسميت ام كلثوم انظر شرح الموطأ لابى عبد الله محمد عبد الباقى بن يوسف الزرقانى ج ٤ ص ٤٤٨

فاخباره بما في بطن زوجه من خوارق العادات كرامة له رضى الله عنه .

٢ — وعمر بن الخطاب رضى الله عنه : الامام المحدث الذى شهد له النبى صلى الله عليه وسلم بقوله :

(لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فان يكن فى أمتى أحد فانه عمر) (١)

والمحدث : الملهم .قاله ابن وهب ، وقيل : المصيب الذى اذا ظن فكأنه حدث بشيء فظنه ،وقيل : تكلمه الملائكة .

وقال البخارى يجرى الصواب على لسانه (٢)

وعن قيس بن طارق قال : كنا نتحدث أن عمر ينطق على لسانه ملك (٣)

وكان رضى الله عنه لا يقول لشيء اظنه كذا الا كان كما يظن (٤)

وكان من مناقبه أن وافق الله عز وجل فى كثير من المسائل فى مقام ابراهيم حيث طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتخذه مصلى فأنزل الله تعالى ﴿ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ﴾ (٥)

وفى الحجاب حيث سأل الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحجب أمهات المؤمنين فأنزل الله تعالى آية الحجاب ﴿ وقرن فى بيوتكن ﴾ (٦) وفى أسارى بدر حيث كان يرى قتلهم ، وفى عدم الصلاة على المنافقين فأنزل الله تعالى :

﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ﴾ (٧)

كما أجرى الله تعالى الحق على لسانه فوافق القرآن ،عندما اجتمع نساء النبى صلى الله عليه وسلم فى الغيرة قال لهن عمر ﴿ عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ﴾ (٨) فنزلت الاية بما نطق .

---

(١) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم جـ٢ ص ٤٢
(٢) انظر تعليق محمد فؤاد عبد الباقى على " محدث " صحيح مسلم جـ٤ ص١٨٦٤
(٣) الفتاوى الكبرى جـ١١ ص٢٠٤
(٤) البخارى كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
(٥) البقرة : ١٢٥ (٦) الاحزاب : ٣٣
(٧) التوبة : ٨٤ (٨) التحريم : ٥

وعمر رضى الله عنه كان من كراماته توجيه الجيش من مكان بعيد ونداء قائده وسماع القائد النداء .

جاء فى الاصابة ان عمر رضى الله عنه أمر على الجيش رجلا يسمى سارية بن زنيم ،وسيره الى فارس سنة ثلاث وعشرين فوقع فى خاطر عمر وهو يخطب يوم الجمعة أن الجيش المذكور لاقى العدو وهم فى بطن واد وقد هموا بالهزيمة وبالقرب منهم جبل فقال فى اثناء الخطبة يا سارية الجبل ورفع صوته فألقاه الله فى سمع سارية فانحاز الناس الى الجبل وقاتلوا العدو من جانب واحد ففتح الله عليهم (١)

ومن كراماته أيضا أنه قال :

(ان الله قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ،وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه الرجم فأخشى ان طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة) فكما طوى الله له المكان فى قصة سارية طوى له الزمان فى مسألة الرجم فالذى خشيه رضى الله عنه قد وقع من الخوارج ومن وافقهم فى هذا العصر ،وهذا من كراماته رضى الله عنه (٢) ذلك أن الاخبار بالمغيبات أمر خارق للعادة .

٣ — وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنه :

خاصمته أروى بنت أوس الى مروان بن الحكم ،وادعت أنه أخذ ارضها ،،، فقال سعيد ما كنت آخذ أرضها بعد الذى سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ودعا عليها قائلا : اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها ،واقتلها فى أرضها . قال : فما ماتت حتى ذهب بصرها وبينما هى تمشى فى أرضها اذ وقعت فى حفرة فماتت (٣)

---

(١) انظر شهاب الدين ابا الفضل احمد بن على بن حجر العسقلانى ،الاصابة ج٢ ص ٢/٢
(٢) مسلم بشرح النووى ج ١١ ص ١٩١
(٣) البخارى ج٤ ص ٢١١ ومسلم ج٣ باب تحريم الظلم ح ١٦١٠ ص ١٢٣١

فاظهار صدق سعيد بن زيد باستجابة دعائه وتبرئة ساحبة من الظلم بفقدانها بصرها وترديها فى الحفرة وموتها فى أرضها كرامة له .

٤ — وأسيد بن حضير رضى الله عنه كان من اكرام الله له :

أن تنزلت السكينة فيها امثال السرج لقراءته كما جاء فى الصحيح عن أسيد بن حضير قال :

(بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة ، وفرسه مربوط عنده اذ جالت الفرس ، فسكت فسكنت ، فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكنت الفرس ، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف . وكان ابنه يحيى قريبا منها فاشفق أن تصيبه فلما اجتره رفع رأسه الى السماء حتى ما يراها . فلما أصبح ، حدث النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير . قال : فأشفقت يا رسول الله ان تطأ يحيى وكان منها قريبا ، فرفعت رأسى فانصرفت اليه ، فرفعت رأسى الى السماء فاذا مثل الظلة فيها امثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها . قال : وتدرى ما ذاك ؟ قال : لا قال : تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى منهم)(١)

فنزول السكينة والملائكة لقراءة أسيد رضى الله عنه من خوارق العادات وهى كرامة له .

٥ — ومن كراماته رضى الله عنه هو وعبّاد بن بشر انهما خرجا من عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فى ليلة مظلمة واذا نور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما (٢)

٦ — وسعد بن معاذ اهتز لموته عرش الرحمن (٣)

(*) اجتره : اى جر اسيد ابنه يحيى من المكان الذى هو فيه حتى لا يطأه الفرس وفى رواية اخرى " أخره " بدل "اجتره " من التأخير ذكره العينى .

(١) البخارى كتاب فضائل القرآن باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن .

(٢) البخارى كتاب مناقب الصحابة باب منقبة اسيد بن حضير وعباد بن بشر رضى الله عنهما

(٣) = = = = = مناقب سعد بن معاذ رضى الله عنه

٧ ــ وسعد بن ابي وقاص رضى الله عنه ،

كان من كراماته ما روى عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال :

(شكا أهل الكوفة سعدا الى عمر رضى الله عنه ،فعزله واستعمل عليهم عمارا ،فشكوا حتى ذكروا انه لا يحسن يصلى فأرسل اليه ،فقال : يا ابا اسحق ان هؤلاء يزعمون انك لا تحسن تصلى قال أبو اسحق ،أما انا والله فانى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرم عنها أصلى صلاة العشاء فأركد فى الأولبين وأخف فى الأخريين قال : ذاك الظن بك يا أبا اسحق .

فأرسل معه رجلا أو رجالا الى الكوفة فسأل عنه اهل الكوفة ولم يدع مسجدا الا سأل عنه ويثنون عليه معروفا حتى دخل مسجدا لبنى عبس ، فقام رجل منهم يقال له اسامة ابن قتادة ،يكنى ابا سعدة ،قال : أما اذا نشدتنا ، فان سعدا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية .

قال سعد أما والله لأدعون بثلاث .

اللهم ان كان عبدك هذا كاذبا قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه بالفتن .

قال وكان بعد اذا سئل يقول : شيخ مفتون أصابتنى دعوة سعد ، قال : عبد الملك : فأنا رأيته بعد فقد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وانه ليتعرض للجوارى فى الطريق يغمزهن (١)

فاستجابة دعاء سعد رضى الله عنه اظهارا لعدله فى حكمه وتكذيبا لمن رماه بالجور من كراماته رضى الله عنه .

٨ ــ وخبيب بن عدى اسره المشركون بمكة وشاهدوه وهو موثق يأكل قطفا من العنب وما بمكة يومئذ عنب وكانت بنت الحارث تقول :

---

(١) البخارى كتاب الاذان باب وجوب القراءة للامام .

(ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب ،لقد رأيته يأكل من قطف عنب ، وما بمكة يومئذ ثمرة ،وانه لموثق فى الحديد وما كان الا رزق رزقه الله) (١)

فاتيانه بالعنب فى موضع لا عنب فيه ،ومع كونه موثقا لا يظن مع وثاقه أنه سار الى موضع أخذ منه ذلك العنب دليل قاطع على ان هذا أمر خارق للعادة ظهر على يد عبد صالح فهو كرامة له.

٩ — وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين رضى الله عنه وتزوره فى مرضه . (٢)

فتسليم الملائكة وزيارتها أمر خارق للعادة اكرم الله به عبدا من عباده الصالحين ،فهو كرامة له.

١٠ — وكان سلمان الفارسى وابو الدرداء يأكلان فى صحفة فسبحت ، أو سبح ما فيها (٣)

١١ — وتميم الدارى رضى الله عنه ،

حينما خرجت نار بالحرة فجاء عمر رضى الله عنه فقال قم الى هذه النار ، فقال : يا أمير المؤمنين من أنا ؟ وما انا ؟ فلم يزل به حتى قام ،فجعل تميم يحوشها بيديه حتى دخلت الشعب ، فجعل عمر يقول : ليس من رأى كمن لم ير قالها ثلاثا (٤)

١٢ — والعلاء بن الحضرمى رضى الله عنه :

له كثير من الكرامات :

منها : أنه كان اميرا على الجيش ، فعطش الجيش ، فصلى بهم يوم جمعة بعد ان زالت الشمس ،ورفع يديه سائلا الله سبحانه أن يسقيهم ، ولا يرون

---

(١) البخارى كتاب المغازى باب غزوة الرجيع .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية مجلد ١١ ص ٢٧٦ وصحيح مسلم ٢/ ٨٩٨

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) انظر ابن كثير شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٢٩٢/ ٢٩٣ بتحقيق مصطفى عبد الواحد توزيع دار البان

فى السماء شيئا قال الراوى : فوالله ما حط يديه حتى بعث الله الريح وأنشأ السحاب وأفرغت حتى ملأت الغدر والشعاب ،وسقينا ركابنا واستقينا .

ثم اتينا عدونا وقد جاوزوا خليجا فى البحر فوقف على الخليج وقال : يا على يا عظيم ،يا حليم يا كريم ،ثم قال : اجيزوا باسم الله ،قال : فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا ،فاصبنا العدو فقتلنا وأسرنا و سبينا ثم أتينـا الخليج فقال مثل مقالته فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا (١)

كل هذه الكرامات ظهرت على أيدى من ذكرناهم من عباد الله الصالحين ، ولم تكن الكرامات قصرا على الأحياء دون الأموات وانما الله سبحانه وتعالى ،كما يكرم عباده احياء يكرمهم أمواتا .

و من الكرامات التى اجراها الله سبحانه وتعالى اكراما للميت ، ما جاء فى قصة عاصم بن ثابت الانصارى رضى الله عنه ، التى أخرجها البخارى فى صحيحه فقد كان عاصم اميرا على القراء الذين غدر بهم بنو لحيان ،وقتل عاصم فيمن قتل ،وبعثت قريش ،ليؤتوا بشىء من جسده يعرفونه به .

وكان عاصم قد قتل قتيلا من عظمائهم يوم بدر ،فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شىء (٢)

فحماية الدبر ،وهو النحل له من أن يمس جسده بسوء ،أو ان يمسه مشرك كرامة له سألها الله فاستجاب الله له .

وكرامات الصحابة رضوان الله عليهم كثيرة مشهورة لا تحصى نكتفى منها بما تقدم ذكره ونذكر بعضا من كرامات التابعين و من بعدهم لئلا يظن أن هذا الأمر مقصور على صفوة البشر ونبدأ بخير التابعين وهو :

١٣ ـ أويس القرنى الذى شهد له النبى صلى الله عليه وسلم بقوله :

---

(١) المصدر السابق ص٢٩٦ وانظر الفتاوى الكبرى جـ١١ ص٢٧٩

(٢) انظر البخارى كتاب المغازى باب غزوة الرجيع .

(لو أقسم على الله لأبره) كما وجه أصحابه أن يطلبوا منه الاستغفار ففضل عمر رضي الله عنه . (١)

فابراره في قسمه ، وقبول استغفاره لمن يستغفر له كرامة أكرمه الله بها .

١٤ — وأبو مسلم الخولاني (*)

ألقاه الأسود العنسي في النار فجعل الله النار بردا وسلاما عليه كما جعلها بردا وسلاما لخليله ابراهيم عليه السلام . ومن كراماته أيضا :

انه جاء الى دجلة وهو يرمى بالخشب من مده ، فمشى على الماء والتفت الى أصحابه وقال هل تفقدون شيئا من متاعكم فندعو الله عز وجل . ذكره البيهقي وقال اسناده صحيح (٢)

١٥ — والبراء بن مالك :

كان مجاب الدعوة كلما حزب المسلمين أمر سألوه ان يدعو الله فيدعو فيستجاب دعاؤه ، وقبل أن يموت سأل الله أن ينصر المسلمين وأن يكتب له الشهادة فانتصر الجيش ومات شهيدا (٣)

١٦ — وعامر بن عبد قيس :

كان يأخذ عطاءه ألفي درهم في كمه وما يلقاه سائل في الطريق الا

---

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل اويس القرني ص١٩٦٨ / ١٩٦٩ وانظر كتاب الزهد لابن المبارك ص٢٩٥

(*) أبو مسلم : هو عبد الله بن ثوب من خولان ببلاد اليمن قال له الاسود العنسي لما ادعى النبوة اتشهد اني رسول الله ، قال لا أسمع ، قال أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم فأمر بنار فالقى فيها فوجدوه قائما يصلي فيها وقد صارت عليه بردا وسلاما (مجموع الفتاوى ج١١ ص ٢٨١) وانظر البداية والنهاية ج٨ ، ص١٤٦ ط ثانية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م مكتبة المعارف ببيروت .

(٢) انظر ابن كثير ، شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ص٢٩٧ / ٢٩٨ وانظر مجموع الفتاوى ج١١ ص٢٨٠

(٣) انظر جامع الأصول ج٩ ص ٩٢ والترمذي في المناقب باب مناقب البراء .

أعطاه بغير عدد ثم يجيء الى بيته فلا ينقص عددها ولا وزنها ٠

ومر بقافلة حبسهم الأسد ،فجاء حتى مس الأسد بثيابه ووضع رجله على عنقه وقال : انما أنت كلب من كلاب الرحمن وأنا استحيي أن أخاف شيئا غيره ٠ ودعا الله ان يهون عليه الطهور فكان يؤتى بالماء فى الشتاء وله بخار وسأل الله أن يمنع قلبه من الشيطان وهو فى الصلاة فلم يقدر عليه (١)

١٧ — وتغيب الحسن البصرى عن الحجاج ،فأرسل الحجاج فى طلبه ، فدخلوا عليه ست مرات فلم يروه بسبب دعائه الله ألا يروه ، ودعا على بعض الخوارج وكان يؤذيه فخر ميتا ٠ (٢)

١٨ — وكان سعيد بن المسيب ايام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المسجد قد خلا فلم يبق غيره ٠ (٣)

١٩ — وصلة بن أشيم (*)

كان يصلى فجاء أسد فلم يتحرك حتى اتم صلاته ،ثم قال : أيها السبع التمس الرزق من مكان آخر فولى وله زئير قال الراوى اقول تصدع الجبال ، وذهبت بغلته ،وهو غاز ،فسأل الله فردها عليه بمتاعها وكان من اشجع المجاهدين ٠ (٤)

وكان جائعا فقال : والله انى لأسير اذ سمعت خلفى وجبة كخواية الطير — فالتفت فاذا شيء ملفوف فى سب (+) ابيض أى خمار ، فنزلت فاذا "دوخلة" (×)

---

(١)و(٢)و(٣) مجموع الفتاوى الكبرى جـ ١١ ص ٢٨٠

(٤) الزهد لابن المبارك ص ٢٩٦ وانظر الفتاوى جـ١١ ص ٢٨٠

(+) السب : بالكسر شقة الكتاب الرقيق ٠

(×) دوخلة : شفيفة من خوص يوضع فيها التمر (مكتمل)

(*) وصلة بن أشيم العدوى من عدى بن الرباب ،وهو عبد ى بن عبد مناة بن أد بن طابخة أورده سعيد القرشى ٠ روى حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن صلة بن أشيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من صلى صلاة لم يذكر فيها شيئا من أمر الدنيا الا اعطاه صلة هذا مثل بسجستان سنة ٣٥ وكان عمره ثلاثين ومائة سنة وقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم " صلة " فقال فيما روى زيد بن جابر قال بلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يكون فى أمتى رجل يقال له " صلة " يدخل الجنة بشفاعته كذا ٠ أخرجه ابو موسى ،ابن الاثير الجزرى ، اسد الغابة جـ٣ ص ٣٤ بتحقيق محمد ابراهيم البنا وآخرين ٠

من رطب فى زمان ليس فى الأرض رطبة فأكلت فلم آكل رطبا قط أطيب منه •

٢٠ ـ والامام أحمد رحمه الله :

ذكر من كراماته ان الخليفة المتوكل ارسل اليه صاحبا له يعلمه أن له جاريه بها الصرع ، ويسأله ان يدعو الله لها •

فأخرج الامام احمد نعل خشب بشراك من خوص ، وقال له تمضى الى دار الخليفة وتجلس عند رأس الجارية وتقول له ـ يعنى الجنى ـ أيهما أحب اليك أن تخرج من هذه الجارية اوتصفع بهذا النعل سبعين ، فمضى اليه وقال مثل ذلك • فقال له المارد على لسان الجارية : السمع والطاعة ،ولو امرنا أحمد ألا نقيم بالعراق ما أقمنا لأنه أطاع الله ورسوله ،و من أطاع الله اطاعه كل شىء وخرج من الجارية ورزقت اولادا •

فلما مات الامام احمد عاودها المارد فارسل المتوكل الى ابى بكر المروذى صاحب الامام احمد وعرفه بالحال •

فأخذ المروذى النعل ومضى الى الجارية فكلمه العفريت على لسانها ،لا اخرج من هذه الجارية ولا اطيعك ،ولا أقبل منك أحمد اطاع الله فامرنا بطاعته ،انتهى

هذه حكاية مشهورة نقلها ابن تيمية وتلميذه ابن القيم (١) • وهكذا ظلت الكرامات وستظل امتدادا لمعجزات الأنبياء يجريها الله تعالى على أيدى اتباعهم الذين شهدوا لهم بالرسالة دليلا على صدق شهادتهم بالنبوة لمتبوعهم ، وبهذا قال كثير من العلماء كالامام أحمد (٢)

وهى امتداد للنبوة والمكرم بها مترسم خطا النبى سائر على منهاجه ، فبسبب اتباعه يجرى الله الخوارق على يديه تأييدا له (٣)

ومصداقها الاتباع الحق للكتاب والسنة ، أما اذا كان صاحبها مبتدعا فهى من الخوارق الشيطانية التى يجريها الله على أيدى اولياء الشيطان استدراجا لهم •

---

(١) انظر العلامة الشيخ محمد السفاريني ،شرح ثلاثيات مسند الامام احمد جـ١ ص ٢/١ ط المكتب الاسلامى بيروت ط ثالثة سنة ١٣٩٩هـ
(٢) انظر لوائح الأنوار البهية ص ٢٧٩/٢٧٨
(٣) النبوات ص ١٢١

الاحوال الشيطانية :

فالاحوال الشيطانية التى يتبع أصحابها غير منهاج الرسل ليست من الكرامات •

يقول ابن تيمية فى ذلك :

(واعرف من اصحاب الاحوال الشيطانية عددا منهم • منهم من كان يحمل فى الهواء الى مكان بعيد ويعود ، ومنهم من كان يؤتى بالمال المسروق تسرقه الشياطين وتأتيه به ، ومنهم من كان تدله على مكان السرقة بجعل يحصل له من الناس أو لعطاء يعطونه اذا دلهم على مسروقاتهم ونحو ذلك و ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية كانت مناقضة للرسل)(١) وقال أيضا :

(فانى أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع ، وانما يخاطبه الشيطان الذى دخل فيها) •

(وأعرف من يخاطبهم الحجر والشجر وتقول هنيئا لك يا ولى الله) •

(وأعرف من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول : خذنى حتى يأكلنى الفقراء ، ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل فى الانسى ويخاطبه بذلك •

ومنهم من يكون فى البيت وهو مغلق فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح وبالعكس، وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة أو تريه أنوارا وتحضر عنده من يطلبه ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه ، فاذا قرأ آية الكرسى مرة بعد مرة ذهب ذلك كله •

وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له : انا من أمر الله ••• واذا خطر بقلبه قيام بعض المواشى أو نومه حصل له ما أراد من غير حركة منه فى الظاهر ، وتحمله الى مكة وتأتيه باشخاص جميلة تقول له هذه الملائكة ارادوا زيارتك فيقول فى نفسه كيف تصوروا بصورة المردان ، فيرفع رأسه فيجدهم بلحى ، ويقول له علامة انك انت المهدى تنبت فى جسدك شامة فتنبت ويراها ، وغير ذلك ، وكله من مكر الشيطان ، وهذا باب واسع لو ذكرت ما أعرفه لاحتاج الى مجلد كبير) (٢)

---

(١) الفرقان ص ٤٧ (٢) نفس المصدر ص ١٨٧ / ١٨٨ بتصحيح فايد

واذ تبين أن الخوارق قد تكون استدراجا وجب ان نعرض احوال من تظهر على أيديهم على الكتاب والسنة فان وافقت فهي حق وصدق وكرامة من الله سبحانه وتعالى وان كانت مخالفة علم ان صاحبها مستدرج مخدوع ، لأن الكرامات لا بد أن تكون سببها الايمان والتقوى فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء الله لا من كرامات الأولياء . ومن المؤسف حقا أن يقع كثير من الناس في حبائل الشيطان فيذكروا مثل هذه الخوارق الشيطانية التي ساقها ابن تيمية ـ على أنها كرامات لأولياء مع مخالفة اصحابها لما جاء به الشرع واتباعهم غير سبيل المؤمنين ، ولم يقتصر الأمر على الدهماء بل نجد كثيرا من العلماء قديما وحديثا يفترون بمجرد ظهور الخارق فيعدونه كرامة غير ناظرين الى المقياس الصحيح الذي تقاس به الكرامة وهو التزام صاحبها متابعة النبي فيما جاء به . وأسوأ من هذا كله ما دون في طبقات الشعراني الكبرى ، ففيها ما يعف اللسان عن ذكره ، وأحيل القارئ اذا أراد أن يستوثق مما أقول الى قصة واحدة ذكرها الشيخ وهي قصة علي وحيش بقوله :

(ومنهم سيدى علي وحيش من مجاذيب النحارية رضي الله عنه)

ثم ذكر القصة التي فاق فيها فعل الشيخ فعل الشيطان (١) ومع ذلك يعده الشعراني من الأولياء اصحاب الكرامات ولقد نشر الشعراني الخرافات بين عوام المتصوفة في أوسع نطاق وتأثر به الكثيرون .

وممن سار على نهجه ونسج على منواله الشيخ محمد النور بن ضيف الله السوداني صاحب كتاب " الطبقات " الذي يعتبر تأريخا صادقا لمملكة الفونج السودانية التي حكمت السودان في أول القرن العاشر الهجري ٩١٠ هـ السادس عشر الميلادي فوجدت الجهل فاشيا . كما يعتبر المرجع الأول للصوفية في السودان .

يقول مؤلف كتاب الطبقات :

(ولم يشتهر في تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن ، ويقال ان الرجل يطلق المرأة ويتزوجها غيره في نهارها من غير عدة) (٢)

---

(١) الشعراني ـ الطبقات الكبرى جـ٢ ص١٣٥ مطبوعات مكتبة صبيح بميدان الأزهر
(٢) محمد النور ضيف الله ، الطبقات ص٤١ تحقيق الدكتور يوسف فضل حسن طبعة ثانية دار الطباعة جامعة الخرطوم سنة ١٩٧٤م

أقول وعندما شعر حكام الفونج بهذا الجهل ، أغروا العلماء وشجعوهم على القدوم لتوعية الناس ، فكان أول العلماء قدوما الشيخ محمود العركى ، ثم بدأ العلماء يتوافدون الى البلاد من كل صوب وحدب يفقهون الناس ويعلمونهم الدين الحق . ففطن أعداء الاسلام لذلك فوفد من العراق " تاج الدين البهارى " الذى يعتبر أول داعية للتصوف بالسودان .

والبهارى على أصح الروايات نسبة الى بهرة الهند فعمل جاهدا على اطفاء جذوة الوعى التى أذكاها العلماء بما سماه طريق القوم .

ولعل أكبر شاهد على هذا القول هو أن تاج الدين البهارى قبل رجوعه للعراق جند خمسة رجال لهذا الغرض يخلفونه فى بث دعوته ونشرها بين الناس(١) ، ويكفى أن نأخذ خليفته الأول محمد الهميم فقد عمل جاهدا على هدم ما بناه العلماء الذين وفدوا الى تلك البلاد . يقول فيه محمد النور ضيف الله :

(وخليفته الشيخ محمد الهميم ، أخذ الطريق على الشيخ تاج الدين وسلكه ، وارشده وأوصله مقامات الاولياء وجعله وكيلا مكانه ، وأمر تلاميذه أن يعاملوه معاملة الشيخ وقال لهم انه جاء من بغداد لأجله علما بأنه أمى لا يقرأ ولا يكتب)(٢) ويقول أيضا : (انه كان من الملاميته)(٣) يفعل اللوم ويخالف الشرع واللوم الذى فعله الشيخ أن نساءه ـ أى ازواجه ـ يبلغن التسعين ، وغصب خادما لأناس من " أربجى " اسمها زرقاء ، وجمع بين بنتى بان النقا : كلثوم ، وخادم الله . وعندما طلبهما منه رد عليه والدهما قائلا : " السيد لا يمنع اماؤه . "

وجمع كذلك بين بنتى أبى ندوده فى مدينة " رفاعه " هذا ما فعله خليفة الشيخ تاج الدين الذى لم يأل جهدا فى مهمته .

ولكن البذرة التى بذرها العلماء فى الأرض الطيبة كانت

---

(١) انظر المصدر السابق ص ١٢٩ (٢) نفس المصدر ص ٣١٧

(٣) الملامية : طائفة من طوائف الصوفية اشتهرت على يدى حمدون القصار ، وأبى حفص الحداد ، وأبى عثمان الحيرى . وقد ازدهرت فى نيسابور وخراسان منذ اواسط القرن الثالث الهجرى واشتهرت هذه الفرقة بتفضيل الظهور بالهيئة التى تبدو مخالفة للشريعة حتى يعرضوا أنفسهم لملامة الناس " انظر المصدر السابق ص ٣١٩ وانظر التصوف ص ١٧٥ ـ ١٨٠ .

ما تزال موجودة حيث تصدى القاضي " دشين " (*) قاضي " اربجى " لمحمد الهميم عندما جمعتهما صلاة الجمعة ، وخرج الشيخ وركب فأخذ القاضي بعنان الفرس وقال له :

(خمست وسدست وسبعت ثم بعد ذلك جمعت بين الأختين) (١)

أى تزوجت خمسا وستا وسبعا تخالف كتاب الله وسنة رسوله)

فقال الهميم : " الرسول اذن لى بذلك والشيخ ادريس يعلم ذلك " فسأل القاضي الشيخ ادريس : هل هذا الكلام صحيح ؟ فقال له : خل بينه وبين الله فقال له القاضي لا اريد هدايتك وانما اريد شهادتك فقال له : هذا رجل عتقه الله ،

فقام اليه القاضي وقال : جميع هذه الأنكحة فسختها هذا ويقول صاحب كتاب الطبقات :

فدعا عليه الشيخ بقوله : الله يفسخ جلدك ، فان القاضي مرض مرضا شديدا ، وفسخ جلده مثل جلد الحية ، وما زاده ذلك الا يقينا . (٢)

فمثل هذه الأمور يعدها محمد النور ضيف الله من كرامات الأولياء مع أنها لو صحت ماكانت الا استدراجا للهميم .

وانما سقت هذه الوقائع وذكرت أصولها ليعرف المسلم الغيور على دينه ، ان مثل ما جرى على يد الشيخ الهميم لا يمكن ان يعد من الكرامات لأن صاحبه مخالف لشرع الله سبحانه . و من المؤسف حقا ان يقع الكاتب الاسلامى " سعيد حوى " فيما وقع فيه الجهلة الذين لم يفرقوا بين الكرامة والاستدراج .

وأرانى مدفوعا بواجب النصح أن أحذر من كتابه " تربيتنا الروحية " لأنه ملىء بأشياء قتلها علماء الاسلام بحثا وأبطلوها واذكر على سبيل المثال قوله نصا :

---

(١) (١) الطبقات ص ٣٢٠ / ٣٦١

(٢) نفس المصدر ص٢١٣

(*) دشين : قاضي العدالة ولد بمدينة أربجى وكان شافعي المذهب وهو أحد القضاة الاربعة الذين ولاهم الشيخ عجيب القضاء لمملكة الفونج ، وسمى قاضي العدالة لانه فسخ نكاح الشيخ محمد الهميم ـ وذلك انه في حالة الجذب الالهي ـ كما يزعمون ـ زاد في النكاح على المقدار الشرعي وهو الاربعة ـ وجمع بين الاختين ، الطبقات ص٢١٢

قال : " فانكار أصل الكرامة لطبقات الصوفية ، انكار غير علمي ، وليس في محله ، وأهم ما ينصب عليه الانكار ما يحدث لأهل الطريقة الرفاعية من كون النار لا تؤثر فيهم ، ومن كونهم يضربون انفسهم بالرصاص أو بالسيوف ولا يؤثر ذلك فيهم ، وهذه قصة منتشرة ومشهورة محسة ، قد تتبعها الكثير من المنكرين فرجعوا عن الانكار والواقع الشاهد ان ما يحدث لهؤلاء لا يمكن ان يكون سحرا ، لأن السحر جزء من عالم الأسباب ، وها هنا لا نجد العالم الأسباب محلا كما لا يمكن ان يكون من باب الرياضات الروحية ، لان هؤلاء قد تحدث للواحد منهم هذه الخوارق دون رياضة روحية أصلا بل بمجرد أن يأخذ البيعة عن الشيخ ، بل احيانا بدون بيعة .

وقد حدثني " نصراني " عن حادثة وقعت له شخصيا وهي حادثة مشهورة معلومة جمعني الله بصاحبها شخصيا بعد ان بلغتني الحادثة من غيره ، وحدثني كيف أنه حضر حلقة ذكر فضربه أحد الذاكرين بالشيش في ظهره فخرج الشيش من صدره حتى قبض عليه بيده ثم سحب الشيش منه ولم يكن لذلك أثر .

أن هذا الذي يجري في طبقات ابناء الطريقة الرفاعية ويستمر فيهم هو من أعظم فضل الله على هذه الأمة .... ان الحجة الرئيسية لمنكري هذا الموضوع هي أن هذه الخوارق تظهر على يد فساق من هؤلاء ، كما تظهر على يد صالحين ، وهذا صحيح والتعليل لذلك :

هو ان الكرامة ليست لهؤلاء بل هي للشيخ الأول الذي اكرمه الله عز وجل بهذه الكرامة وجعلها مستمرة في اتباعه ... فهي كرامة للشيخ الأول الذي هو احمد الرفاعي رحمه الله"(١)

فالكرامة وان كانت جائزة عقلا وواقعة فعلا كما سبق الاستدلال على ذلك ، الا أن عد هذه الأمور التي تظهر عند بعض المتصوفة من الكرامات هو ما يؤخذ عليه . ان الكرامة انما تظهر على يد عبد ملتزم متابعة نبي امر باتباعه ، وهؤلاء

---

(١) الاستاذ سعيد حوى ، تربيتنا الروحية ص ٢١٨

بصريح عباراتهم يدعون ما يقعون فيه من مخالفات ، احوالا ومقامات فهل حال الولى تكون مخالفة لما جاء به الشرع ؟

ثم هو نفسه يصرح بظهور الكرامة على يد الفاسق وان جعلها لا كرامة لصاحب الطريق ، فهل من اكرام الله تعالى لصاحب هذه الطريقة ان يظهر الكرامات على يد الفساق من اتباعه ، مع أن صاحب الطريقة اذا كان وليا حقا يكون معاديا لهؤلاء الفساق بقدر ما معهم من فسوق ، وكيف يعد الفاسق من اتباعه ، والمتبع لنهج الولى لا يكون فاسقا ، وقد قال الله تعالى لخليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام :

﴿ انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين ﴾ (١)

وأيضا : فما عده الاستاذ سعيد من كرامات الأولياء معللا ذلك بأنه ليس لعالم الأسباب محل فيه ، هو فى الواقع دجل وشعوذة وله أسبابه المعروفة .

يقول ابن تيمية فى المناظرة التى جرت بينه وبين بعض دجاجلة البطائحية الرفاعية :

(أما بعد فقد كتبت ما حضرنى من المشهد الكبير العظيم بقصر الامارة بحضرة الأمراء والكتاب والعلماء والفقراء والعامة وغيرهم ، من أمر البطائحية ولما حصل بها من عز للدين وظهور كلمته العليا ، وقهر الناس على متابعة الكتاب والسنة ، وظهور زيف من خرج عن ذلك من أهل البدع المضلة ، والأحوال الفاسدة ، والتلبيس على المسلمين .

ولقد كتبت فى غير هذا الموضع صفة حال هؤلاء البطائحية وطريقتهم وطريقة الشيخ احمد بن الرفاعى ، وذلك انى كنت أعلم من حالهم ، وهو أنهم وان كانوا منتسبين الى الاسلام وطريقة الفقر والسلوك ، فيوجد

---

(١) البقرة الاية : ١٢٤

فى بعضهم أيضا من الشرك وغيره من أنواع الكفر ، ومن الغلو فى البدع فى الاسلام والاعراض عن كثير مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والاستخفاف بشريعة الاسلام والكذب والتلبيس واظهار المخاريق الباطلة واكل اموال الناس بالباطل ،والصد عن سبيل الله ما يوجد .

ولقد بينت صورة ما يظهرونه من المخاريق مثل ملابسة النار والحيات واظهار الدم ... الخ

وان عامة ذلك من حيل معروفة وأسباب مصنوعة .

وأراد غير مرة منهم قوم اظهار ذلك فلما رأوا معارضتى لهم رجعوا ودخلوا على أن استرهم ،فاجبتهم الى ذلك بشرط التوبة ،وهم من أهل الأهواء الذين يتعبدون فى كثير من الأمور باهوائهم ، لا بما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم :

﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ (١)

وفيهم شبه من النصارى الذين قال الله فيهم :

﴿ ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ (٢)

ولقد شكوا الى الأمير ، وأبرزوا ما ادعوه من الحال والمحال الذى يسلمه اليهم من اضلوا من الجهال ،وطلبوا منه الوقوف بجانبهم ،ولكنه عزم على الوقوف بجانب من كان الحق معه ،وطلب منى الحضور فاستخرت الله واستعنته واستنصرته واستهديته ، حتى ألقى فى قلبى أن ادخل النار عند الحاجة الى ذلك ، وأنها تكون بردا وسلاما على من اتبع ملة الخليل ،وأنها محرقة اشباه الصابئة أهل الخروج عن هذا السبيل ، وقد كان بقايا الصابئة اعداء ابراهيم بنواحى البطائح منضمين الى من يضاهيهم من نصارى الدهماء ،وبين الصابئة ومن ضل من العباد المنتسبين الى هذا الدين نسب يعرفه من عرف الحق المبين .

---

(١) القصص : ٥٠

(٢) المائدة : ٧٧

فلما أصبحنا ذهبت للميعاد ،وبلغني أنهم طافوا على عدد من أكابر الأمراء وها انا أصف ما كان :

قلت للأمير : نحن لا نستحل أن نأمر أحدا بأن يدخل نارا ،ولا يجوز طاعة من يأمر بدخول النار ، ومن ذلك الحديث الصحيح ،

وهؤلاء كذابون مبتدعون قد أفسدوا من أمر دين المسلمين ودنياهم ما الله به عليم .

وأنهم كانوا يرسلون من النساء من يستخبر عن أحوال بيوت الأمراء ثم يخبرونهم بها على سبيل المكاشفة .

وانهم أدخلوا رجلا في القبر يتكلم وأوهموا الأمير ان الموتى تكلمهم .

وطلبوا مني أن ادخل معهم النار أو أسلم لهم ما هم عليه فاستخرت الله سبحانه أنهم ان دخلوا النار أدخل أنا وهم ومن احترق منا ومنهم فعليه لعنة الله وكان مغلوبا ، وذلك بعد ان نغسل جسومنا بالخل والماء الحار .

فقال الأمير : ولم ذلك ؟

فقلت : لأنهم يطلون أجسامهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج وحجر الطلق وغير ذلك من الحيل المعروفة لهم ،وانا لا أطلي جلدي بشيء ، فاذا اغتسلنا بالخل والماء الحار بطلت الحيلة وظهر الحق .

فاستعظم الأمير هجومي على النار ،فقلت : نعم قد استخرت الله فوقع في قلبي أن أفعله ، ولا أرى هذا وأمثاله ابتداء ، فان خوارق العادات ، انما تكون لأمة محمد صلى الله عليه وسلم المتبعين له ظاهرا وباطنا لحجة أو حاجة .

وحضر شيوخهم الأكابر فجعلوا يطلبون من الأمير الاصلاح وأصر الأمير أن يكون الاصلاح بعد ظهور الحق .

وقدم البطائحة أحوالهم الشيطانية ،وأزبدوا وأرغوا وحضر شيخهم المشتكى ، وشيخ آخر يسمى خليفة سيده أحمد ،وتكلم منهم شيخ يقال له " حاتم "

بكلام مضمونه الصلح والعفو عن الماضي والتوبة وترك البدع .

فقال شيخ آخر : مخاطبا الأمير زاعما ان لهم أحوالا .

فقلت : ليس لأحد الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولا الخروج عن كتاب الله .

فرفع الشيخ صوته وقال : لنا الأقوال والأحوال .

فرفعت صوتي وقلت :

(أنا اخاطب كل أحمدى من مشرق الأرض الى مغربها أى شىء فعلوه في النار فأنا أصنع مثل ما تصنعون ومن احترق فهو مغلوب ،ولكن بعد تنفيذ الشرط غسل الجسم بالخل والماء الحار).

وضج الناس . فقلت له قم وشجعته على القيام فمد يده يظهر خلع قميصه فقلت : لا . حتى تغتسل بالماء الحار والخل فاظهر الوهم ،وأراد ان يموه الأمر ،فقلت له : بل قنديل يوقد وادخل اصبعى واصبعك فيه بعد الغسل ومن احترق أصبعه فعليه لعنة الله أوقلت فهو مغلوب فلما رأى ذلك تغير وذل واصفر وجهه .

فلما ظهر عجزهم وكذبهم وتلبيسهم للأمراء وعرفوا حقيقة المحال ، طلبوا التوبة عما مضى ، وسألنى الأمير عما يطلب منهم .

فقلت : متابعة الكتاب والسنة والمقصود أن يلتزموهما التزاما عاما ،ومن خرج عنهما ضربت عنقه ،ومن ذلك الصلوات الخمس في مواقيتها كما أمر الله ورسوله ،فان من هؤلاء من لا يصلى و ومنهم من يتكلم فى صلاته فيقول : شىء لله يا سيدى أحمد .

ولقد قلت لهم : ومع هذا فلو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين حقيقة ، ولو طرتم فى الهواء ومشيتم فوق الماء ولوفعلتم ما فعلتم فى ذلك ما يدل على صحة ما تدعون من مخالفة الشرع .

فان الدجال الأكبر يقول للسماء : أمطرى فتمطر وللأرض انبتى فتنبت ، وللخربة : أخرجى كنوزك فتخرج كنوزها وتتبعه ومع هذا فهو

دجال كذاب ملعون .

فقال الناس : ما مضمونه ؟

﴿ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ﴾ (١)

ثم ذكر شيخ الاسلام فى آخر كلامه :

(ان الرفاعية شبه الرافضة ، بيت الكذب . فان فيهم من الغلو والشرك والمروق عن الشريعة ما شاركوا به الرافضة وأنهم من اكذب الطوائف حتى قيل فيهم : لا تقولوا أكذب من اليهود ولكن قولوا اكذب من الأحمدية . (٢)

---

(١) الاعراف : ١١٨ــ١١٩

(٢) من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ـ مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص١٢١/١٤٦
تخريج وتعليق السيد محمد رشيد رضا ط لجنة التراث العربى .
وانظر مجموع الفتاوى الكبرى ج ١١ ص٤٤٥/٤٤٧ ط ولى العهد .

الباب الثالث

من أباطيل التصوف

ويحتوي على:

تمهيد وثلاثة فصول

التمهيد في: أصل كلمة «صوفي» و «تصوف»

الفصل الأول في: مقامات الأولياء وأحوالهم كما يراها الصوفية.

الفصل الثاني في: المكاشفات كما يراها الصوفية.

الفصل الثالث في: الاتحاد والحلول ووحدة الوجود في الفكر الصوفي.

الباب الثالث

من اباطيل التصوف

مقامات الأولياء والحلول كما يراها المتصوفة

تمهيد : أصل كلمة الصوفى والتصوف :

كثر الاختلاف حول كلمة " الصوفى " والتصوف وهل هما لفظان مشتقان من أصل عربى ، ولهما صلة بالاسلام ؟ أم هما دخيلان على العربية والاسلام ؟ وفى أى عصر انتشرا وعلام يدلان ؟

فجمهور الصوفية يذهبون الى القول بأن الصوفى منسوب الى "الصفاء" وأن (الصوفى) هو أحد خاصة أهل الله سبحانه الذين طهر الله قلوبهم من أكدار الدنيا . وقالوا : كان الأصل " صفوى " فاستثقل ذلك فقيل " صوفى " .

وسئل أبو الحسن القناد رحمه الله عن معنى الصوفى فقال مأخوذ من الصفاء ، وهو القيام لله عز وجل فى كل وقت بشرط الوفاء .

وسئل الشبلى رحمه الله ، لم سميت الصوفية بهذا الاسم فقال : لبقيا بقيت عليهم من نفوسهم ولولا ذلك لما لا قت بهم الاسماء ولا تعلقت بهم (١)

ويذهب آخرون : الى أنه نسبته الى ، الصف واحد الصفوف بمعنى أن الصوفى من حيث حياته الروحية فى الصف الأول لاتصاله بالله . أو الى الصفة ، اشارة الى أن اصل التصوف مأخوذ من أهل الصفة (٢)

ويرى السراج ان نسبتهم الى ظاهر اللبسة لأن لبسة الصوفى دأب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وشعار الأولياء والاصفياء . (٣)

---

(١) ابو نصر السراج اللمع ، ص ٤٦

(٢) انظر نفس المصدر ص ٤١

(٣) الصفة : مكان مظلل بمسجد النبى صلى الله عليه وسلم كان يأوى اليه فقراء المهاجرين

ويرى أن هذا الاسم مجمل عام ، يخبر عن جميع العلوم والاعمال والأخلاق الشريفة المحمودة ، ويبرر هذه التسمية بالحواريين أصحاب عيسى حيث نسبهم الله تعالى الى ظاهر اللبسة فقال عز من قائل ﴿ اذ قال الحواريون ﴾ (١) ، وكانوا قوما يلبسون البياض فنسبهم الله تعالى الى ذلك (٢) .

والواقع أن الحواريين لم ينسبهم الله سبحانه الى لباسهم وانما نسبهم الى صناعتهم لأنّ (الحوارى) هو الذى يبيض الثياب (٣)

وقيل (الصوفى) نسبة الى صوفة ، وهو الغوث بن مر ، قال ابن الجوزى : نشأ قوم تعلقوا بالزهد والتعبد ، فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا الى العبادة واتخذوا فى ذلك طريقة تفردوا بها ، وأخلاقا تخلقوا بها ورأوا أن أول من انفرد بخدمة الله تعالى ، رجل يقال له : صوفة ، واسمه الغوث بن مر ، فانتسبوا اليه لمشابهتهم اياه فى الانقطاع الى الله سبحانه ، فسموا بالصوفية ، واستدل لما ذهب اليه بقوله : (أنبأنا محمد بن ناصر عن أبى اسحق ابراهيم بن سعيد الخيال ، قال أبو عبد الغنى بن سعيد الحافظ ، قال : سألت وليد بن القاسم ، الى أى شىء ينسب الصوفى ؟ فقال : كان قوم فى الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا الى الله عز وجل ، وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية (٤)

وكل هذا النسب غير مؤيد بقياس لغوى باستثناء النسبة الى صوفة أو الصوف وبنسبتهم الى الصوف .

قال أبو نصر السراج فى كتابه اللمع وهو اقدم كتاب عرف التصوف (٥)

وفى النسبة الى الصوف فى نظر القشيرى وجه من وجوه الصحة ، من حيث اللغة ، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف فيقول : (ثم ان هذه النسبة غلبت على هذه الطائفة ، فيقال : رجل صوفى ، وللجماعة صوفية ، ومن يتوصل الى ذلك يقال له : متصوف ، وللجماعة المتصوفة ، وليس لهذا الاسم من حيث العربية قياس ،

---

(١) المائدة : ١١٢ (٢) انظر اللمع ص ٤١

(٣) لسان العرب حور وقصر (٤) تلبيس ابليس ص ١٦١

(٥) انظر اللمع ٢ ص ٤٠ وفى التصوف الاسلامى ص ٦٦

ولا اشتقاق والأظهر فيه أنه كاللقب ، فأما قول من قال : انه من الصوف ولهذا يقا يقال تصوف اذا لبس الصوف ، كما يقال : تقمص اذا لبس القميص وذلك وجه ، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف .

ومن قال : انهم منسوبون الى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالنسبة الى الصفة لا تجيء على نحو الصوفى ، ومن قال : انه مشتق من الصفاء ، فاشتقاق الصوفى من الصفاء بعيد فى مقتضى اللغة ،وقول من قال : انه مشتق من الصف فكأنهم فى الصف الأول بقلوبهم فالمعنى صحيح ،ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة الى الصف) (١) .

واذا كان هذا موقف الكتاب العرب الذين حاولوا ان يجعلوا للتصوف أصلا عربيا فقد انفرد من بينهم البيرونى وذهب الى أن هناك صلة بين الكلمة اليونانية (سوفيا) وكلمة الصوفى ،وكان لما ذهب اليه تأثيره على جوزيف فولد هامر بين الكتاب المحدثين الذين قالوا بنسبة الصوفى الى الصوف ،وأنه اللفظ الوحيد الذى تبرره اللغة العربية ولكن جوزيف هذا عارض ما ذهبوا اليه فى كتابه تاريخ البلاغة عند الفرس ،ورجح نسبة الصوفية الى الهنود القدماء المعروفين باسم الحكماء والعراة ،وأن الكلمتين (صوفى) و (صافى) مشتقان من نفس الأصل الذى اشتق منه الكلمتان اليونانيتان ، (سوفوس) و (سافيس) (٢) .

وسواء صح ما زعمه هامر أوصحت نسبته الى الصوف أوصوفه . ففى كلا الحالتين ، أجنبى عن الاسلام ، ولقد وضحت غربته ابان ظهوره ،فأول من وصفه بأنه من البدع ، ومن علامات الرياء ،ورمز للمسيحية :

سفيان الثورى المتوفى (١٦١هـ) ولم يكن سفيان الثورى وحده الذى يرى لبس الصوف ، الذى اتخذه بعض الزهاد شارة لهم من بدع المسيحية التى دخلت الاسلام بل كثير من التابعين ،رأى هذا الرأى ، ونذكر على سبيل المثال ، ماذكره الشيخ أبو اسحاق الاصفهانى باسناد صحيح عن جابر بن ايوب ، قال : دخل

---

(١) الرسالة القشيرية جـ ٢ ص ٥٥٠ ـ ٥٥١ وانظر التفسير والمفسرون جـ ٢ ص ٣٣٧
(٢) انظر فى التصوف الاسلامى ص ٦٦ / ٦٧ وانظر التصوف الثورة الروحية ص ٣٤

الصلت بن زائد على محمد بن سيرين ،وعليه جبة صوف ،وعمامة صوف فاشمأز منه وقال : أظن أن اقواما يلبسون الصوف ، ويقولون قد لبسه ، عيسى بن مريم ،وقد حدثني من لا أتهم (أن النبي صلى الله عليه وسلم ،قد لبس الكتان والصوف والقطن) وسنة نبينا احق أن تتبع) (١)

وأطلقوا عليه زى المسيحية ،روى أن حماد بن ابى سليمان قدم البصرة فجاء فرقد السنجى وعليه ثياب صوف فقال له حماد : (دع عنك نصرانيتك هذه) (٢) .

انتشار لفظ الصوفية :

ومما لا شك فيه ان هذا اللفظ انتشر بوضوح بين نهاية القرن الثاني الهجرى ومنتصف القرن الثالث ،وهى الفترة التى وقعت فيها خلافة المأمون والمعتصم ، والواثق والمتوكل أى بين سنة ١٩٨ ـ ٢٤٧ هـ وكان قبل هذه الفترة بقليل الاسم الشائع ، الزهاد والعباد ،لأنه لم يوجد تعريف للتصوف قبل معروف الكرخى المتوفى سنة ٢٠٠ هـ ". (٣)

واذا توصل الاستقراء الى أن اصح ما يقال عن هذا اللفظ أنه مأخوذ من الصوف ،فما المدلول الاصطلاحى الذى وضع له هذا اللفظ .

الحق أنه يتعذر الجزم بتعريف محدد لأن القوم مجمعون على أن تجاربهم الروحية أمور غير خاضعة للوصف والتعبير لأنها امور ذوقية وجدانية ، لا تفى اللغة كما زعموا بتوضيحها ،اوترجمتها ، ومع ذلك فقد حاول كثير منهم الى وضع تعريفات للتصوف ، من حيث هو ، ظاهرة روحية خاصة ، وحياة ذوقية ،يحياها الصوفى ، وقد تختلف هذه الحالة من صوفى الى آخر ، ومن اجل هذا صعب استخلاص معنى عام يمكن ان يعتبر صفة نوعية مميزة للتصوف ،ولقد بحثت اكثر

---

(١) ابن القيم زاد المعاد ج١ ص٧٤ بتحقيق محمد حامد الفقي مطبعة السنة .

(٢) تلبيس ابليس ص١٩٥ والعقد الفريد ج٣ ص ٢٨٥ ط القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ وذكر (ابن سلمة) بدل (ابن ابى سليمان) وانظر فى التصوف ص١٣ .

(٣) انظر التصوف الاسلامى وتاريخه ص١٣ والتصوف الثورة الروحية ص٤٠٣

من مائة تعريف للتصوف للوصول الى معنى يشترك فيه هذه التعريفات ، أو الغالب منها ، ولكنني لم اظفر بطائل ، ولم اكن أول من أجرى هذه المحاولة ، فأبو العلا عفيفى جمع فى كتابه (التصوف الثورة الروحية) خمسة وستين تعريفا للوصول الى المعنى الذى يقارب بينها ولكن هيهات .

وعندما لم يجد ما كان ينشده قال :

(وقد كنا نطمع بعد دراسة خمسة وستين تعريفا للتصوف أن نجد معنى عاما مشتركا ينتظمها جميعا ولكننا لم نظفر بهذا المعنى على التحديد ، ووصلنا الى معنى قريب منه يمكن ان يقال : ان الغالبية العظمى من التعريفات تتفق فيه ، وهو أن التصوف أساسه وجوهره (فقد ووجود) ، (فقد) لانية العبد و (وجود) له بالله ، أو فى الله ، اى فناء عن الذات المشخصة واوصافها وآثارها ، وبقاء الله فيها او أنه بعبارة اخرى " الجذبة فى الله) (١)

واجرى قبله نفس المحاولة المستشرق نيكلسون فى كتابه " فى التصوف الاسلامى وتاريخه " (٢)

هذا وان جمع الدكتور ابو العلا عفيفى ، التعريفات المذكورة فى التصوف فى قوله " انه فقد ووجود " وظن ان هذا التعريف اقرب تعريف يقارب بين تعريفات المتصوفة للتصوف ، الا انه لم يكن مفهوما الامر الذى يجعله مثل سائر تعريفات المتصوفة الداعية الى قطع العلائق الدنيوية ، علما بأن الاسلام دين سمح لا يقف حائلا بين المرء ورغباته وانما يقر الخيرة منها ويوجهها الوجهة السليمة .

ولقد سبق القول بأن لفظ التصوف دخيل على الاسلام وعلى اللغة بمعناه المعروف ، وتوضيحا لما ذكر نسوق بعض تعريفات المتصوفة انفسهم ، ونبدأ باقدم تعريف للتصوف لمعروف الكرخى المتوفى سنة ٢٠٠ هـ فقد عرف التصوف بأنه :

(الأخذ بالحقائق ، واليأس عما فى أيدى الخلائق) (٣)

---

(١) التصوف الثورة الروحية ص ٣٥

(٢) انظر فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص ٢٨ وما بعدها

(٣) الرسالة القشيرية جـ ٢ ص ٥٥٢ تحقيق عبد الحليم محمود وانظر فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص ٢٨

وعرفه الدارانى المتوفى سنة ٢١٥ هـ بقوله :

" أن تجرى على الصوفى اعمال لا يعلمها الا الحق وأن يكون دائما مع الحق على حال لا يعلمها الا هو) (١)

وعرفه سرى السقطى بأنه (اسم لثلاث معان :

١ ـ هو الذى لا يطفئ نور معرفته نور ورعه .

٢ ـ ولا يتكلم بباطن فى علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة .

٣ ـ ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله) (٢)

وقال الجنيد : (التصوف مبنى على ثلاث خصال :

١ ـ التمسك بالفقر والافتقار .

٢ ـ والتحقق بالبذل والايثار .

٣ ـ وترك التعرض والاختيار) (٣)

وقال ايضا (هو ان يميتك الحق ويحييك به) (٤)

وقال كذلك (ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع) (٥)

وقال الشبلى : (التصوف شرك لأنه صيانة القلب عن رؤية الغير ولا غير (٦)

وعرفه الشيخ ابو سعيد بن ابى الخير بقوله (*) :

(أن تتخلى عن كل ما فى دماغك ، وتجود بكل ما فى يدك ولا تجزع عن شئ أصابك) (٧)

---

(١) فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص ٢٨
(٢) الرسالة القشيرية جـ١ ص ٧٠ بتحقيق د /عبد الحليم محمود وآخر
(٣) الرسالة القشيرية جـ٢ ص ٢٥٢
(٤) الرسالة القشيرية جـ١ ص ١٤٨ وفى التصوف الاسلامى وتاريخه ص ٣٢ والتصوف الثورة الروحية ص ٤٥ .
(٥) فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص ٢٩
(٦) التصوف الثورة الروحية ص ٥١
(*) أبو سعيد بن ابى الخير القزوينى فى (آثار البلاد)فيقول : ان أباسعيد بن ابى الخير المتوفى سنة ١٠٤٩ م يذكر عنه انه مؤسس نظام الرهبنة فى التصوف الاسلامى ،واول واضع لقواعده وقوانينه . آثار البلاد للقزوينى ص ١٤١ ط وستنفيلد ،وانظر فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص ٥٧/٥٨
(٧) فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص ٤١

وأيا ما كانت هذه المعانى ، فانها بعيدة عن معنى لفظ التصوف فى اللغة وكذلك ما ورد فى تعريف الصوفى .

حيث عرفه بشر الحافى المتوفى (٢٢٧هـ) بقوله :

" الصوفى من صفا قلبه " (١)

وعرفه ذو النون المصرى — المتوفى (٢٤٥هـ) — الصوفية بقوله :

" هم قوم آثروا الله على كل شىء فآثرهم على كل شىء " (٢)

وعرف أبو تراب النخشبندى الصوفى بقوله :

" الصوفى لا يكدره شىء ويصفو به كل شىء " (٣)

وعرفه سهل بن عبد الله التسترى :

" بمن يرى دمه هدرا ، وملكه مباحا " (٤)

وقال الجنيد : (الصوفية ، هم اهل بيت واحد لا يدخل فيهم غيرهم) (٥)

وقال النورى المتوفى سنة ٢٩٥هـ : (الصوفية قوم صفت قلوبهم من كدورات البشرية ، وآفات النفوس ، وتحرروا من كل شهواتهم حتى صاروا فى الصف الاول ، والدرجة العليا ، فلما تركوا كل ما سوى الحق ، صاروا لا مالكين ولا مملوكين) (٦)

وقال أيضا : (الصوفى من سمع السماع وآثر الاسباب) (٧)

وسئل الحلاج المتوفى (٣٠٩هـ) — عن الصوفى فقال :

" وجدانى الذات لا يقبله احد ، ولا يقبل احدا) (٨)

وقال ابو على الروزبارى المتوفى (٣٢٢هـ) :

(الصوفى من لبس الصوف على الصفا ، واطعم نفسه طعام الجفا ، ونبذ الدنيا وراء القفا ، وسلك سبيل المصطفى) (٩)

---

(١) فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص٢٩ (٢) الرسالة القشيرية جـ٢ ص٥٥٥

(٣) نفس المصدر والصفحة (٤) نفس المصدر ص٥٥٢

(٥) نفس المصدر ص٥٥٣ وفى التصوف ٣٢ والتصوف الثورة الروحية ص٤٦

(٦) فى التصوف ص٣١ والتصوف ص٤٤

(٧) القشيرى جـ٢ص ٥٥١ (٨) نفس المصدر والصفحة

(٩) فى التصوف ص٣٦

والعبارة الاخيرة ليست من قوله وانما هى منسوبة لعبد الله بن خفيف المتوفى (٣٣١هـ) . فكل هذه المعانى لا يعطيهـا لفظ الصوفى لغـة ومما لا شـك فيه ان فترة الزهد التى سبقت التصـوف ودعا اليها الترف الذى تفشى فـى أوساط المسلمين بعد الفتوحات الكبرى ،حيث فاض المال ،وتغيرت الاوضاع الأمر الذى دفع كثيرا من العلماء الى سلوك نهج معتدل فى تلك الفترة وكان مـــن اعيانها الحسن البصرى ،الذى كثيرا ما يستشهد القشيرى فى رسالته بأقوالـــه ويعده المتصوفة ابا روحيا وقدوة لهم ،وهو الرجل الذى كان ينكر تظاهـــر الصوفية بلباسهم الخاص، فيحكى انه تكلم عن كساء الصوف الذى كان يرتديـــه الصوفية ، والذى ادعى عليه البعض أنه لبسه ،بعبارة قاسية فقد رأى على مالك ابن دينار كساء صوف فقال له " يعجبك هذا الطيلسان ؟ قال : نعم ، قال : انه كان على شاة قبلك (١)

مما لا شك فيه ان هذه الفترة كانت اسلامية صرفة لم يدخلها اى مؤثر خارجـى عن الاسلام ،وكان العلماء فيها حريصين على التمسك بالاســلام بعيدين عن مظاهر الرياء ، فالقشيرى نفسه يروى عن الحسن البصرى قولـــه : " مثقال من الورع السالم خير من الف مثقال من الصوم والصلاة " (٢)

ويروى صاحب الكامل له : (حادثوا هذه القلوب فانها سريعة الدثور ، واقدعوا هذه الأنفس ، فانها طلعة وانكم الا تـقدعوها تنزل بكم الى شـر غاية) (٣)

ويقول نيكلسون فى كتابه التصوف الاسلامى وتاريخه : (ولكنا مع اعترافنـا ان المسيحية كان لها أثر فى تشكيل التصوف فى صورته الاولى ،لا نرى ان فى اقوال امثال داود الطائى (١٦٥هـ) والفضل بن عياض (١٨٧هـ) وشقيق البلخى

---

(١) انظر الاستاذ آدم متز ،الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ٢ ص٤٨ / ٤٩ ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريدة مكتبة الخانجى القاهرة . نقلا عن لب اللباب (الاداب) فى رد جوابات ذوى الالباب مخطوط ببرلين رقم ٨٢١٧ ص١٩٥

(٢) الرسالة جـ١ ص ٣١٩

(٣) المبرد ، الكامل جـ١ ص ١٠٠ ط مصر ١٣٢٣ .

(١٩٤هـ) ما يدل على انهم تأثروا بالمسيحية أو بأى مصدر اجنبى الا قليلا . (١)

وحتى القليل الذى ذكره نيكلسون غير مسلم به (٢) ،فلم يظهر فى كلام اصحاب الزهد السابقين ما يدل على الأخذ به ، لأن التصوف لم يظهر بصورته الغريبة الجديدة على الاسلام الا فى القرن الثالث ،فكيف يكون هناك تأثر قليل بالمسيحية وكلامه الاتى ينقض ما قاله وهو قوله : (اما القرن الثالث ، فقد ظهر التصوف بصورة جديدة تختلف تمام الاختلاف عن سابقتها ،وهى صورة لا يمكن تفسيرها بانها نتيجة طبيعية لتطور عوامل روحية من صميم الاسلام نفسه ،و مما له دلالته أننا نجد اول تعريف للتصوف فى اقوال معروف الكرخى الصوفى (٢٠٠هـ) وهو من اصل مسيحى او مندائى " صابئى " فارسى كما يدل على ذلك اسم ابيه فيروز أو فيروزان ،ويقال ان معروفا كان مولى للامام على بن موسى الرضا ، وأنه اعتنق الاسلام على يديه) (٣)

نعم اصل الشخص ،وما نشأ فيه من معتقدات ،وان كان له أثر فى اتجاهه الفكرى ـ كما ورد فى الحديث ،كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه (٤) . ولا سيما اذا كان الاسلام لم يتمكن منه وكان قد دخل فيه ولم يمض عليه زمن كبير يصل فيه الى حقيقة ما جاء به الاسلام و دعا اليه .

الا ان الذى يهمنا هو كلام معروف وسلوكه حتى يعرف مدى انحرافه ان كان ثمة انحراف فالامام البخارى ، والامام ابو حنيفة وأمثالهم مع كونهم من أصل فارسى كانوا على عقيدة صافية لا يشوبها انحراف ،ولم يكن الاسلام دين قبلية ، بل دين الانسانية جمعاء وليس هذا انكارا لانحراف معروف الكرخى فقد ذكرت

---

(١) انظر فى التصوف الاسلامى و تاريخه ص٣ طبعة لجنة التاليف والترجمة القاهرة ١٣٦٦/١٩٤٧ نقله الى العربية د/ ابو العلا عفيفى

(٢) الا ما كان من اعتراف ابن ادهم انه تلقى المعرفة من راهب انظر البحث ص

(٣) المصدر السابق ص٤

(٤) البخارى كتاب الجنائز باب ما قيل فى اولاد المشركين .

فى شأنه اقوال كثيرة تؤدى الى ان عقيدته مشوبة بشىء من الانحراف حيث اسندت اليه أقوال تؤكد هذا الانحراف منها ،قوله لتلميذه سرى السقطى :

" اذا كانت لك الى الله حاجة فاقسم عليه بى "(١)

ولقد كان لمثل قوله هذا أثره فى نفوس الكثير من رواد الصوفية ،حتى قال امامهم القشيرى عند ذكر معروف هذا (يستشفى بقبره ،يقول البغداديون قبر معروف ترياق مجرب).

فهذه الفترة التى شهدت كثيرا من الزهاد — وان لم يحدوا كثيرا عن الاسلام — الا انها كانت توطئــة لظهور التصوف الذى اصبح له صفات معينة ومصطلحات لم يشهد مثلها فى الاســلام .

---

(١) فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص٥

الفصل الأول

مقامات الأولياء وأحوالهم كما يراها الصوفيـــة

لقد ذكرنا ان التصوف اصبح نظاما دقيقا ذا قواعد ونظم ، يسير عليها السالك الذى لا بد له من شيخ حاذق خبير بخبايا النفوس (١) و نزيد هنا ان جميع الصوفية اتفقوا على أن الحياة الروحية رحلة وذهاب الى الله تعالى لها مراحـــل عدة وانهم اختلفوا فى صفات هذه المراحل وعددها ، فمنهم من جعلها الفا و منهم من جعلها مائة ، و منهم ممن زاد و منهم من نقص ، و كل وصفها بحسب سيره وسلوكه .

و لما كان الطريق الصوفى اشبه بطريق المسافر وان سالكيه بمثابة السفر ، اطلقوا عليه اسم السير او السلوك .

كما سموا سالكه بعدة اسماء ، فهو اما مبتدىء او سالك أو مريد .

و هذا السالك يمر بمراحل الطريق المختلفة كالمسافر و لقد اهتم الصوفية بهذه المراحل ، فمنهم من افردها بالتاليف كابى اسماعيل الهروى ، صاحب " منازل السائرين " و شرحه المسمى ب " مدارج السالكين " للامام ابن قيم الجوزيـــة والنفرى صاحب المقامات ... و منهم من خصص لها قدرا من موء لفاتهـــم كابى نصر السراج صاحب كتاب اللمع والقشيرى صاحب كتاب الرسالة القشيرية والكمشخانوى صاحب جامع الاصول فى كرامات الأولياء .

و هذه المنازل والمدارج تسمى المقامات والاحوال والمراتب التى يجـــب على السالك ان يجتازها تدريجيا (٢) . و هى تختلف من صوفى الى آخر فى الكم والكيف . فالكمشخانوى يذكرها اربع مراحل ، تسلم كل واحدة الى الاخرى ، و لا يجـــــوز للسالـــــك أن يدخـــــل فى واحـــدة حـــتى يقطـــــع

---

(١) انظر طريق الولاية عند الصوفية ص ٩٦ من هذا البحث

(٢) انظر د / قاسم غنى تاريخ التصوف الاسلامى ص ٢٨٧ / ٢٨٨ .

سابقتها يقول فى ذلك : (١)

(مراتب الطريق اربع ، لا يضيع السالك قدمه فى ثانى مرتبة حتى يحكم الاولى ولا يدخل فى واحدة حتى يحمل ما قبلها وهى :

١ — مرتبة التوبة

٢ — مرتبة الاستقامة

٣ — مرتبة التهذيب

٤ — مرتبة التقرب) (٢)

أما ابو نصر السراج (٤) وهو الرائد فى تدوين الفكر الصوفى فيحددها بسبعة مقامات وعشر أحوال :

فالمقامات هى : التوبة ـ الورع ـ الزهد ـ الفقر ـ الصبر ـ التوكل ـ الرضا ـ والاحوال العشر هى : المراقبة ـ القرب ـ المحبة ـ الخوف ـ الرجاء/ ـ الشوق ـ الانس ـ الطمأنينة ـ المشاهدة ـ اليقين (٤)

ولقد فرقوا بين المقامات والأحوال .

المقام فى اللغة :

والمقامات جمع مقام وهو موضع القيام ، وهو اما ان يراد به امر حسى كما قال الله تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ﴾ (٥)

---

(١) هو احمد بن مصطفى بن عبد الرحمن الكمشخانوى ، ضياء الدين عالم بالحديث تركى الأصل ولد فى كمشخانة بولاية " طريزون " بتركيا سنة ١٢٢٧ هـ ـ ١٨١٢ م وتوفى فى الاستانة سنة ١٣١١ هـ ـ ١٨٩٣ م له مؤلفات فى التصوف منها جامع الاصول ط . انظر خير الدين الزركلى الاعلام ، جـ١ ص ٢٤٢ ط ثانية وانظر ايضاح المكنون جـ١ ص٥٤٦ والاعلام الشرقية ٢/ ٧٨ .

(٢) الكمشخانوى جامع الاصول فى الاولياء ص٢١

(٣) ابو نصر عبد الله بن على بن محمد بن يحى السراج الطوسى الصوفى ، الملقب بطاووس الفقراء مؤلف كتاب اللمع فى التصوف وهو من تلاميذ جعفر الخلدى ، وابى بكر بن محمد بن داود الرقى واحمد بن محمد السائح توفى فى شهر رجب سنة ٣٧٨ هـ (تاريخ التصوف الاسلامى ص٢٨٩ / واللمع / ١٢)

(٤) اللمع ص٦٥ (٥) البقرة : ١٢٥

قال المفسرون :

(والمقام اسم مكان وهو الحجر الذى عليه اثر قدمه عليه الصلاة والسلام ، والموضع الذى كان عليه حين دعا الناس الى الحج ، او حين رفع قواعد البيت ، وهو موضعه اليوم) (١)

واما ان يراد به امر معنوى كقوله تعالى : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ (٢)

وهو مقام الشفاعة فى فصل القضاء . (٣)

المقام فى عرف الصوفية :

قال الشيخ ابو نصر فى تعريف المقام :

فان قيل : ما معنى المقامات ؟ يقال :

معناه مقام العبد بين يدى الله عز وجل فيما يقام فيه من العبادات ، والمجاهدات ، والرياضات ، والانقطاع الى الله عز وجل ، وقال الله تعالى : ﴿ ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ وما منا الا له مقام معلوم (٥) ﴾ (٦)

والمقام يتوصل اليه بنوع تصرف ، ويتحقق به العبد بضرب تطلب ، ومقاساة تكلف فمقام كل احد موضع اقامته عند ذلك ، وهو مشتغل بالرياضة له وشرطه ألا يرقى من مقام الى مقام ، ما لم يستوف ذلك المقام (٧)

والمقامات عند الصوفية انواع ، فسروا كل نوع بتفسير قد يبعد عن المفهوم الاسلامى شأنهم فيها ، شأنهم فى كل مصطلح من مصطلحاتهم ، فكل يفسر حسب ما يرى ، واليك هذه الانواع واقوالهم فيها :

---

(١) الامام ابو السعود محمد بن محمد بن محمد العمادى ، تفسير ابى السعود جـ١ ، ص١٥٧ دار احياء الكتب لبنان بيروت وانظر الزمخشرى الكشاف جـ١ ص٣١٠

(٢) تهذيب اللغة جـ٩ ص ٣٥٧ بتحقيق عبد السلام هارون ط الدار المصرية للتاليف والترجمة وانظر الياسنلوكى ، محيط المحيط ص ١٧٧٨ ط بيروت ١٢٨٦هـ
الاسراء : ٧٩

(٣) تفسير الجلالين ص ٢٢٥ ط مصر سنة ١٣٧٠هـ (٤) سورة ابراهيم : ١٤

(٥) الصافات : ١٦٤ (٦) اللمع ص ٦٥

(٧) انظر الرسالة القشيرية جـ١ ص٢٠٤ وانظر التعريفات ص١١٤

١ — مقام التوبة :

فسر الجنيد التوبة عندما سئل عنها بقوله :

" هى نسيان ذنبك " (١)

بينما سئل عنها سهل بن عبد الله التسترى فقال عكس مقالة الجنيد وهو :

" الا تنسى ذنبك " (٢)

وقال رويم ، ممناها : " أن تتوب من التوبة " (٣)

اما صاحب كتاب تاريخ التصوف فى الاسلام فيقول فيها : " التوبة اول مقامات السير للطالب ، وهى عبارة عن قلب حال الطالب ، وتغيره كما انها بداية لحالة جديدة) (٤)

نعم ذهب بعض الصوفية فى تعريفها مذهب عامة المسلمين .

٢ — مقام الورع :

الورع هو الخروج من الشبهات ظاهرا ، والعمل فى محاسبة النفس فى طرفة عين . (٦)

وقال ابو سعيد الخراز :

الورع : " هو ان تتبرأ من مظالم الخلق من مثاقيل الذر حتى لا يكون لأحدهم قبلك مظلمة ، ولا دعوى ولا طلبة (٧) وعرفه الشبلى : بعدم تشتيت القلب . (٨)

٣ — مقام الزهد :

سبقت اقوالهم فيه . (٩)

---

(١) و (٢) و (٣) اللمع ص٦٨ وانظر التمرينات ص١١١

(٤) تاريخ التصوف فى الاسلام ص٣٠٠ (٥) نفس المصدر ص ٣٠٥

(٦) نفس المصدر ص ٣١٧ (٧) اللمع ص ٧٠

(٨) المصدر نفسه ص٧١ (٩) انظر البحث ص

٤ — مقام الفقر :

قال الشبلى : أدنى علامات الفقر : أن لو كانت الدنيا باسرها لأحـد فانفقها فى يوم ثم خطر بباله ان لو أمسك منها قوت يوم فما صدق فى فقره) • (١)

وقال مظفر القرميسى (الفقير هو الذى ليس له الى الله حاجة) (٢)

فالفقر عند الصوفية هو الحرمان من كل متاع الدنيا ، وترك كل ذلك للوصول الـى الرضوان ، والفرق بين الفقر والزهد الرغـبة فالفقير قد يكون راغبا بعكس الزاهد فلا رغبة له (٣)

٥ — مقام الصبر :

سئل الجنيد عن الصبر فقال : هو تجرع المرارة من غير تعبيس • وغاية الصبر ان يصبر على جميع ما يصيبه فى حياته •

قيل فى ذلك : صابر الصبر فاستغاث به الصبر *** فصاح المحب بالصبر صبرا (٤)

٦ — التوكـــل :

أن يكون الشخص كالميت بين يدى الغاسل وهذه اعلى مراتب التوكل الصوفى •

روى ابو يزيد البسطامى : (أن شيخا كان يصلى خلف امام فقال الامام : أيها الشيخ انت ليست لك مهنة ولا تسأل الناس ، فمن اين تاكل ؟ قال الشيخ اصبر حتى أعيد صلاتى ، فقال : لم ؟ قال : لا يكون جديرا بالصلاة اتيانهـا خلف رجل لا يعرف الرزاق) (٥)

ولقد فات على هذا الصوفى ان الرزاق جعل للرزق أسبابا ووجه الناس الى الأخذ بها قال تعالى :

﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ﴾ (٦)

وجاء فى الصحيح عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : (لو أنكم كنتم تتوكلـون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) (٧)

---

(١) الرسالة القشيرية جـ٢ ص ٥٤٢ (٢) المصدر السابق ص ٥٤٥

(٣) المصدر السابق جـ١ ص٤٥٤ / ٤٥٩

(٥) تاريخ التصوف فى الاسلام ص ٤١٨ (٦) الملك : ١٥

(٧) الترمذى مجلد ٤ حديث ٢٤٤٧ وقال حسن صحيح •

فالعمل فى الاسلام لا ينافى التوكل وانما هو عزة للمسلم ولقد زجر عمر ابن الخطاب رضى الله عنه المتقطع للعبادة الذى ينفق عليه أخوه وقال قولته المشهورة ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة والترغيب فى الكسب الشريف ورد فى كثير من الاحاديث وما دعا اليه الصوفية هو التواكل وليس التوكل بالمفهوم الاسلامى الصحيح .

٧ - الرضا :

عرفه الجنيد بانه : (رفع الاختيار)

وعرفه القناد بانه (سكون القلب بمر القضاء)

وقال ذو النون (سرور القلب بمر القضاء) (١)

فالرضا اخر المقامات التى هى عند الصوفية امور اكتسابية تحصل بالمجاهدة والاجتهاد

الحال :

الحال فى اللغة ما عليه الانسان من خير او شر (٢)

وأما الحال فى العرف الصوفى :

فهو أمر نفسى وانفعال باطنى وامر ذهنى فى السالك قال عنه السراج :

(وأما معنى الاحوال فهو ما يحل بالقلوب اوتحل به القلوب من صفاء الاذكار ه وقد حكى عن الجنيد رحمه الله انه قال : الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم وقد قيل ايضا : ان الحال هى الذكر الخفى ... وليس الحال من طريق المجاهدات والعبادات والرياضات كالمقامات التى ذكرناها) (٣)

ويقول القشيرى :

(والحال عند القوم : معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم ، من طرب او حزن او بسط أو قبض او شوق او ازعاج او هيبة او احتياج فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب ، والاحوال تأتى من عين الجود والمقامات تحصل

---

(١) اللمع ص٨٠

(٢) د / محمد محى الدين عبد الحميد ، منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل جا ص٦٢ الطبعة الرابعة سنة ١٣٨٤

(٣) اللمع ص٦٦

ببذل المجهود ،وصاحب المقام ممكن فيه وصاحب الحال مترق عن حاله) (١)

الفرق بين المقام والحال :

فمما تقدم يظهر ان " المقامات تحصل ببذل الجهد والتكليف وعامل الاكتساب فيها ظاهر ،وعندما تتحقق تثبت بخلاف الاحوال فانها من مقولة الاحساسات والانفعالات الروحية ومن الحالات والكيفيات النفسية الخاصة مما ليس باختيار الانسان ، بل هى من جملة المواهب والافضال النازل على قلب السالك من لدن الله من غير ان يكون للسالك فيها أدنى تأثير فى نزوله على قلبه او نحوه عن خاطره (٢)

فقد سمى المقام مقاما لثبوته واستقراره وسمى الحال حالا لتحوله وتغيره ، فما للعبد فيه جهد يدخل فى باب المقامات ،وما يفاض عليه من لدن الله تعالى فينقله درجة فى رحلة السفر اليه سبحانه فهو من باب الأحوال . (٣)

والحاصل ان المقامات ثابتة دائمة ،تأتى ببذل المجهود بخلاف الاحوال فانها غير دائمة وهى منح .

والولاية لا تكتمل فى نظر الصوفية حتى يعبر السالك جميع هذه المقامات مكملا نفسه لكل مقام قبل ان يبرحه الى غيره متمرسا بالحال الذى تفضل الله به فاسبغه عليه ، وبعد اجتياز هذه المقامات مكتنفة بالاحوال يكون المزيد وقد وصل مبتغاه وهو ما يسميه الصوفية " المعرفة " و " الحقيقة " حيث يصير الطالب والمطلوب واحدا ،ويتحقق ان العلم والعالم والمعلوم شيء واحد . (٤)

---

(١) الرسالة القشيرية جـ١ ص ٢٠٦ وانظر التعريفات للجرجانى ص٤٤ ط تونسية وانظر د / زكى مبارك ،التصوف الاسلامى جـ٢ ص١٠٦ / ١٠٧ ط دار الجيل بيروت لبنان

(٢) انظر تاريخ التصوف فى الاسلام ص٢٩٣

(٣) نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها هامش ص ١٣٦

(٤) انظر الصوفية فى الاسلام ص٣٦

الاضطراب فى المقامات والاحوال وعدم التميز بينها :

وكما اختلف كلامهم فى تفسير المقامات نجدهم مضطرين فى التمييز بين المقامات والاحوال .

فالقشيرى يقول :

" صاحب المقام ممكن فى مقامه ،وصاحب الحال مترق عن حاله) (١)

فقد يفهم من عبارته انه لا يترقى من مقام الى مقام بخلاف صاحب الحال بينما يقول بالترقى فى موضع اخر ويقول "وشرطه الا يرتقى من مقام الى آخر ما لم يستوف احكام ذلك المقام) (٢)

فطالما كان السالك مترقيا فى هذه المراتب فلا دوام ،لأنه مترق عن مقامه كما هو مترق عن حاله وان اختلفت مدة الترقى طولا وقصرا .

ثم نجد بعض الصوفية يقولون بثبات الاحوال فهى عندهم كالمقامات ،

قال القشيرى : (وقد اشار قوم الى بقاء الاحوال) (٣) فأبو عثمان الحيرى يقول : (منذ اربعين سنة ما اقامنى الله فى حال فكرهته) واشار الى دوام الرضا ، والرضا من جملة الاحوال (٤) .

ثم يظهر الاختلاف بين مشائخ القوم فى عد بعض الاحوال مقامات كما فى " الرضا " حيث يعده السراج مقاما ،ويجعله القشيرى حالا (٥) كما أن المراقبة تبدو حالا ثم تستقر مقاما .

واختلف أبو طالب المكى مع السراج فى : (الخوف : هل هو حال أو مقام فقال أبو طالب (الخوف) مقام وقال السراج حال (٦) . ومن سياق ماتقدم يظهر الاضطراب فى تحديد مفهوم ثابت يتميز به الحال عن المقام ،وزيادة على ذلك ، فان بعض الصوفية بحسب هذه المزاعم والترقى فى الدرجات ،ينتهون بالمريد السالك

---

(١) الرسالة القشيرية جـ١ ص ٢٠٦ (٢) نفس المصدر جـ١ ص١٠٤

(٣) الرسالة القشيرية جـ١ ص ٢٠٧ (٤) نفس المصدر والصفحة

(٥) اللمع ص٦٥

(٦) انظر ابو طالب المكى ، قوت القلوب جـ١ ص ٥٢٥ طـ دار صادر بيروت بدون تاريخ

الى خلع العبادة ، اذ ما يزال ينتقل من مقام الى مقام حتى تحصل له المشاهدة واليقين فيعرف الله تعالى و من يعرف الله سبحانه تسقط عنه الشرائع. (١)

وهذه المشاهدة — التى تفضى الى المعرفة كما سبق — لا تحصل الا بالمجاهدة ومواصلة الذكر (٢) كما سبقت الاشارة الى ذلك (٣)

والصوفية لهم رموز غير مفهومة فى الغالب الاعم وهم معترفون بذلك ، قال القشيرى :

(وهذه الطائفة يستعملون الفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم بعضهم مع بعض والستر على من يأتيهم فى طريقهم ، لتكون معانى الفاظهم مستبهمة على الأجانب ، غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع فى غير اهلها اذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف ، او مجلوبة بضرب تصرف ، بل هى معان أودعها الله فى قلوب قوم واستخلص بحقائقها اسرار قوم) (٤)

هذا ومما لا شك فيه ان المتصوفة استفادوا من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء ما كان له الاثر الاكبر فى هذا التطور الصوفى ، غير انهم اخذوا من الفلسفة اليونانية بحظ وافر حتى صار التصوف اقرب الى الفلسفة منه الى الاسلام (٥) ويجدر بنا ان نبين بايجاز اثر الفكر اليونانى وغيره من الافكار فى التصوف .

أثر الفكر اليونانى فى التصوف :

اختلف الباحثون فى الفكر الاجنبى الذى كان له اثره فى المسلمين .

فالدكتور عبد القادر محمود يرى ان الثقافة اليونانية كانت هى المسيطرة على العقول فى الشرق منذ عهد الاسكندر الاكبر بالاضافة الى ثقافات الشرق نفسه ، ثم اقبل المسلمون على حضارات غيرهم من الأمم القديمة واستعانوا بنساطرة الحيرة ويعاقبة غسان ، والسريان فى الشام . وغيرهم من اتباع الديانات ،

---

(١) انظر الفصل جـ٤ ص١٨٨ (٢) الرسالة القشيرية جـ٢ ص٤٦٥

(٣) انظر ص من البحث (٤) ابن خلدون، شفاء السائل ص ٦٢

(٥) انظر التفسير والمفسرون جـ٢ ص ٣٣٧

كالزردايشتيه ،واليهودية والنصرانية ولكن الأثر الغالب كان للافلوطينيـة الحديثة ولو ان المسلمين حسبوه للارسطوطاليسية (١)

ويؤيد هذا قول الدكتور قاسم غـنى الاتى :

" والخلاصة ان الفلسفة التى تلقاها العرب ، انما هى نفس الفلسفـة التى دونها " فرفريوس " و " بروكلوس " وان كتاب " اثولوجيا " (*) المترجم على يد ناعمة الحمصى المطبوع على هامش القبسات فى طهران ،والذى نسب خطأ الى ارسطو هو احد كتب الافلوطينية المحدثة المعروفة التى هى من تأليف افلوطين أو مختارة من اثاره ،وقد انتشرت ترجمته العربية فى القـرن الثالث الهجرى) (٢)

متى تم التأثر بالثقافات الاجنبية :

يرى " نيكلسون " أن هذا التأثر تم فى القرن السادس الهجرى ،ويختلف معه " ماسنيون " فيرى انه كان فى القرن الرابع والصحيح ان هذا التأثر كـان فى القرن الثالث كما اشار النص المتقدم الى ذلك ، وقد ظهر التصوف فـى صورته الجديدة التى تختلف تمام الاختلاف عن النهج الاسلامى بمفهومـه الصحيح و هذه الظاهرة لا يمكن تفسيرها بانها تمت نتيجة لا عمال الفكر فيما جاء به الاسلام ،ومما له دلالته على ذلك اننا نجد ان اول تعريف للتصوف جرى على لسان معروف الكرخى (٣) كما سبقت الاشارة الى ذلك (٤) . ولقد اشـار نيكلسون نفسه الى ذلك بعد ان درس تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار و غيرها من المراجع ، وهو ان التصوف الاشراقى المقابل لمجرد الزهد والورع قد ظهر ووصل درجة عالية ،فى نصف القرن الذى وقعت فيه خلافة المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل (٥) .

---

(١) انظر د /عبد القادر محمود الفلسفة الصوفية فى الاسلام ص٣١

(*) " اثولوجيا " تعنى الربوبية المصدر السابق

(٢) د / قاسم غـنى ،تاريخ التصوف الاسلامى ص١١٩ م النهضة بدون تاريخ

(٣) نفس المصدر والصفحة وانظر الفلسفة الصوفية ص٣١

(٤) انظر التصوف الاسلامى وتاريخه ص١٣ وانظر البحث ص

(٥) انظر نفس المصدر ص ١٣ ، ١٤

أما العلامة ابن خلدون :

فانه لا يرى تأثر المسلمين بالفكر الفارسي ويؤكد أن الفكر اليوناني كان له اثره الكبير فيهم وان المتصوفة تأثروا به فيقول :

" لما فتحت فارس ، ووجدت فيها خزائن الكتب ، كتب سعد الى عمر رضى الله عنهما ، ليستأذنه فى نقلها للمسلمين ، فكتب اليه ان اطرحوها فى الماء فان يكن فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه ، وان يكن ضلالا فقد كفيناه فطرحوها فى الماء أو النار ، وذهبت علوم الفرس فلم يصل لنا منها شيء ،

اما الروم فكانت دولتهم اليونان أولا ، وكان لهذه العلوم مجال رحب وحملها مشاهيرهم وأساطين حكمتهم ، واختص المشاؤون منهم اصحاب الرواق بطريقة حسنة فى التعليم حيث كانوا يتخذون رواقا يظلهم من الشمس ، ويقيهم البرد ، يقرؤون فيه واتصل سند تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم ، فتلميذه بقراط ثم الى تلميذه افلاطون ثم الى تلميذه ارسطو ثم الى تلميذه الاسكندر الافروديسى وغيرهم .

وكان أرسطو معلما للاسكندر ملكهم الذى غلب الفرس على ملكهم وانتزعه منهم وكان ارسخهم — يعنى ارسطو — فى هذا المجال حتى لقب بالمعلم الأول . فصار له فى العالم ذكره ولما انقرض حكم اليونان ، وصار الأمر للقياصرة ، وأخذوا بدين النصرانية هجروا تلك العلوم ، وبقيت فى صحفها ودواوينها محفوظة فى خزائنهم . ثم جاء الاسلام ، وكان لأهله الظهور الذى لا كفاء له وقهروا الروم وكانوا غافلين عن الصنائع حتى تبجح لهم السلطان ، وأخذوا من الحضارة بالحظ الذى لم يكن لغيرهم من الأمم ، وتفننوا فى الصنائع والعلوم وتشوقوا للاطلاع على علوم اليونان بما سمعوا من القسس والاساقفة المعاهدين فبعث ابو جعفر المنصور الى ملك الروم ، ان يبعث اليه بكتب التعاليم مترجمة فبعث اليه بكتاب أوقليدس ، وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون فاعجبوا بها وطلبوا المزيد . وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له فى العلم رغبة بما كان ينتحله (١) فابتعث لهذه

---

(١) لعله يريد بانتحال المأمون اتباعه لمذهب الاعتزال ونصرته له والله اعلم .

العلوم حرصا ، وأوفد الرسل على ملوك الروم لانتساخ علوم اليونان بالخط العربى فبعث المترجمين لذلك فأوعى واستوعب ، فعكف عليها النظار من اهل الاسلام وحذقوا فنونها وانتهت الى الغاية انظارهم فيها من آراء المعلم الأول ، فدونوا فى ذلك الدواوين واربط على من تقدمهم فى هذه العلوم ، وكـــان من اكابرهم فى الملة :

أبو نصر الفارابــى ، وابو على بن سينا بالمشرق والقاضى أبو الوليــد ابن رشــد وابو بكر بن الصائغ بالأندلس الى آخرين بلغــوا الغاية ودخل الملة من هذه العلوم واهلها داخلة ، واستهوت الكثير من الناس بما جنحوا اليها وقلدوا آراءها والذنب فى ذلك لمن ارتكبه ولو شاء الله ما فعلوه (١) ، ثم ان هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين فى الكشف فيما وراء الحس توغلوا فى ذلك فـــذهب الكثير منهم الى الحلول كما أشرنا اليه . (٢)

ملأوا الصحف مثل الهروى فى كتاب المقامات وغيره ، وتبعهم ابن العربى وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الاسرائيلى فـــــى قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للاسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول والالهيــة الأئمــة ، مذهبا لهم يعرف لأولهم فاشرب كل واحد من الفريقين مذهب الاخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم " (٣)

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ص٤٨٠ / ٤٨١ ط مصطفى محمد

(٢) وهو قوله : ثم ان هذه المجاهدة والخلوة والذكر ، يتبعها كشف حجاب الاطلاع على العوالم من امر الله ، ليس لصاحب الحس ادراك شىء منها ، والروح من تلك العوالم .
وسبب هذا الكشف ان الروح اذا رجع من الحس الظاهر الى الباطن ، ضعفت احوال الحس وقويت احوال الروح وغلب سلطانه وتجدد نشوءه واعان على ذلك الذكر فانه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال فى نمو وتزيد الى ان يصير شهودا بعد ان كان علما ، ويكشف حجاب الحس ويتم فتتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الالهى وتقرب ذاتيه فى تحقيق حقيقتها من الافق الاعلى افق الملائكة ا ه المقدمة ص٤٦٩

(٣) المقدمة ص٤٧٣

اثر الافلوطينية على الصوفية :

يقول الدكتور قاسم غنى موضحا هذا الأثر فى كتابه تأريخ التصوف الاسلامى :

(افلوطين كان يعلم من حوله أن الوجود المطلق _ أى الله _ بعيد عن ادراك البشر بصورة قاطعة ، وهذه العقيدة هى التى صارت سببا لأن يكون اتباع الفلسفة الحديثة ومن يسلك مسلكهم من بين فلاسفة الكنيسة يقولون بوجود وسطاء بينهم وبين الله ؛ ورسخت هذه العقيدة فى الارواح والملائكة والاولياء والقديسين رسوخا تاما لأن الاعتقاد بهذه الوسائط التى كانت المصاعد النورانية بين السماء والأرض متوجد تعديلا فى حالة اليأس الكاملة التى كانت تدعوا اليها الافلاطونية الحديثة . والصوفية اصبحوا مثلهم يتوسلون باشخاص يدعونهم (القطب والشيخ _ والمرشد _ والولى) ويعتقدون ان الانسان لو ترك وشأنه ضل الطريق ، وازداد الغلو فى مقام الولى والمرشد بمعنى أنهم اعتقدوا انه متحد بالله وأن اعماله هى أعمال الله وكل ما يصدر عنه يعتبر صوابا بدون لم ولماذا ؟) (١)

وفى كتاب الفلسفة الصوفية فى الاسلام ان نظرية الفيض الافلوطينية هى التى شكلت مذاهب الصوفية من فيض واشراق ومعرفة وجذب وحلول واتحاد ووحدة شهود ووحدة وجود وما الى ذلك . (٢)

والذى ينبغى الانتباه اليه ان هذه الفترة التى بلغ فيها اهتمام المسلمين بترجمة التراث الاجنبى الى العربية مداة بغية الوقوف عليه فى صورته المدونة بعد أن تعرفوا عليه شفاها من خلال الاختلاط الحضارى الذى تلا عصر الفتوحات الكبرى ، وليس من شك انه كان للمعارف الاجنبية أثرها العميق والفعال _ سلبا وايجابا _ فى جوانب الفكر الاسلامى المتعددة سواء فى صورة التأثر والتلبس بها والدعوة اليها بنشرها واذاعتها ، والتلفيق بينها وبين التصور الاسلامى الصحيح ،

---

(١) د / قاسم غنى ، تأريخ التصوف فى الاسلام هامش ص٢١٨ ترجمة صادق نشأة مكتبة النهضة المصرية بدون تاريخ .

(٢) انظر الفلسفة الصوفية فى الاسلام ص٣١

أم في صورة الرد عليها ونقضها وبيان تهافتها ومخالفتها لأسس العقيدة الاسلامية • (١)

فترجمة التراث الاجنبي الى لغة القرآن لم يقف اثرها كما هو واضح مما تقدم عند تاثر المسلمين بعقائد اليونان الميتافيزيقية فحسب ،بل تأثر به المسلمون في نواح شتى •

يقول الدكتور النشار : (وكما حاول فلاسفة الاسلام ان يدخلوا عقائد اليونان الميتافيزيقية الى عقول المسلمين نرى بعض صوفية الاسلام يلجأون في التصوف الى بحث ميتافيزيقي ،تأثر بكل ما حوله من فلسفات ••• أخذوا من الفيدا (٢) الهندى ،واخذوا من الاشراقية الفارسية ،واستمدوا من الفيض الافلوطيني وتأثروا بافلاطون وأرسطو ، ثم وجدوا مصدرا هاما في المجموعات الهرمسية (٣) انتهوا الى عقائد مختلفة اهمها عقيدة الحلول وعقيدة وحدة الوجود) (٤)

---

(١) د / عرفان عبد الحميد ،نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ص ٦٤•

(٢) الفيدا معناها في اللغة السنسكريتيه القديمة المعرفة والعلم وتطلق على مجموعة اسفار قديمة يعتقدون انها موحى بها من الاله براهما نفسه وانه قد جمعها حكيم من حكمائهم اشتهر باسم (فيدا) فياسا اى جامع الفيدا • وهي أربع مجموعات من الاسفار • انظر د/ على عبد الواحد في الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام ص ١٥٢ دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة بدون

(٣) الهرمسية : نسبة الى هرمس وهو حكيم مصرى تعلم الحكمة في مصر القديمة او احد كبار الفلاسفة البابليين على اقوال ،وقد نسبت اليه فلسفة قديمة قامت في مصر ،وفي بلاد الشرق في القرن الثاني الميلادى يعتمد في المعرفة على الذوق والرياضة واضعاف الجسد ،ليقوى جانب الروح والنفس وتتصل الاخيرة بالاله وتتحد به (اخبار العلماء ص ٢ — ٦)

(٤) الدكتور على سامى النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ١ ص ٥٣

ويتضح من كل هذه الشواهد المتقدمة ان الاثر الغالب على التصوف فى جميع صوره كان للفلسفة اليونانية وقد صرح بهذا كثير من الذين بحثوا فى هذا المجال يقول الدكتور محمد على ابوريان : (واذا كنا قد انتهينا الى التاكد بأن المدرسة الاشراقية ليست فى حقيقة امرها سوى صورة اسلامية لمذهب افلاطون ،وان هذا المذهب الاخير هو الذى سيطر على الفكر الاسلامى بدرجة تفوق سيطرة مذهب ارسطو الحقيقى عليه ... فان كنا قد انتهينا الى هذا الرأى ،فانه يجب والحالة هذه ان نعيد صياغة تأريخ الفلسفة الاسلامية على هذا النحو ،وأن نتتبع جذور الافلاطونية الاسلامية عند مدارس التفكير الدينى المبكر ، ... وقبل أن نمضى فى تحليل مضمون هذه المراحل يجب علينا أن نشير الى انه اذا كان الجانب الفلسفى للاشراقية قد التقى بتيار مشائى اسلامى فى نهاية الأمر ، فان الجانب الصوفى النظرى ،وبالتالى السلوك الصوفى العملى عند الاشراقيين ظل اشراقيا بحتا ،حتى فى صورته المتسللة الى الطرق الصوفية المعاصرة ، ولا سيما فى تعاليم اتباع المدرسة الشاذلية بصفة خاصة ،كما نجدها عند ابن عطاء الله السكندرى مثلا وعند سائر الطرق الصوفية المتأثرة بتصوف انعزالى بصفة عامة. (١)

العلاقة بين الصوفية والشيعة :

يضم التصوف خليطا من المذاهب الفلسفية التلفيقية التى تعد البضاعة المفضلة للجمعيات السرية الهدامة قديما وحديثا ،وهى فى المقام الأول جمعيات سياسية لها اهداف خاصة اهمها القضاء على الوحدة الاسلامية . (٢)

---

(١) دكتور محمد على ابوريان ، اصول الفلسفة الاشراقية ص ٣٦٣ / ٣٦٥.

(٢) انظر د / محمود قاسم دراسات فى الفلسفة الاسلامية ص٤٦ ٢

ومن المعلوم أن التشيع أول الافكار الهدامة ظهورا فى الساحة الاسلامية فقد ظهر على أيدى اليهود الحاقدين ، الذين عجزوا عن مقاومة الاسلام بالقوة ، ففكروا فى وسيلة اخرى للقضاء عليه ، فاتخذوا من الدعوة لآل البيت وسيلة لتمكين مخططهم الآثم من قلوب المسلمين (١) ، واستعانوا فى تنفيذ هذا المخطط بفلول الأمم المهزومة فى وجه الاسلام وخاصة الفرس الذين فشلوا فى مقاومة الاسلام بالسلاح ، وتولى كبير هذا العمل عبدالله بن سبأ اليهودى ، وأدى مهمته بنجاح حيث استطاع ان يوقد نار الفتنة بين المسلمين ، تلك الفتنة التي ذهب ضحيتها كثير من المسلمين ، وعلى رأسهم ثلاثة من الخلفاء الراشدين ، لان استشهاد الخليفة الثانى وان كان سابقا لحركة ابن سبأ الا أنه وليد حقد مجوسى . ثم اتخذ التشيع من الفرس والعراق مقرا له ينفث سمومه ويجمع فلول الحاقدين .

وعندما حل عصر العباسيين ، وعملوا على القضاء على التشيع (٢) ، اتخذ أعداء الاسلام منهجا آخر ، وهو التصوف متخذين من الزهد (٣) الذى نشأ كرد فعل لترف العباسيين ستارا ، فنحت الصوفية وترعرعت ، ورضعت لبان التشيع واستهوت الكثير من المسلمين ، لما يبدو على اصحابها من سيما الزهد والورع فدخل الناس فيها افواجا ، وقامت بنفس الدور الذى قام به التشيع فى تفكيك وحدة المسلمين ، وضعفهم حتى تواثبت عليهم الأمم كما تتواثب الأكلة على القصعة .

ومهما يكن من أمر فيجب التفريق بين الذين خططوا عن سوء قصد وبين الذين أخذوا بحسن نية وهم السواد الأعظم من المسلمين .

ولقد أدرك الكثير من العلماء هذه الحقيقة فابن خلكان ينقل عن امام الحرمين ، حكمه وذمه للحلاج واخرين ويقول : (انه اتفق هو — يعنى الحلاج — والجنابى وابن المقنع على افساد عقائد الناس ، فكان الجنابى فى هجر والبحرين وابن المقنع ببلاد الترك ودخل الحلاج العراق) (٤)

---

(١) انظر ص من البحث

(٢) انظر د / كامل مصطفى الشيبى ، الفكر الشيعى والنزعات الصوفية ص ١٥ / ٥٢

(٣) المصدر السابق ص ٧٢ / ٧٢ ط مكتبة النهضة بغداد بدون تاريخ

(٤) انظر البداية والنهاية جـ ١١ ص ٣٤٣ والفرق بين الفرق ص ٦١ / ٦٢ / ٦٢

ولقد عمل الحلاج وأبو طاهر سليمان بن ابى سعيد بن الحسين بن بهرام القرمطى ،عملا باتفاق على قلب نظام الدولة وتواصوا بالدأب عن مواصلة السعى لذلك ،وذهب القرمطى الى اكناف الاحساء لذلك قال ـ الجوينى ـ وارتاد الحلاج قطر بغداد ،فحكم عليه صاحبها بالهلكة ،والقصور عن ادراك الأمنية (١)

ويورد ابن العماد فى الشذرات هذه الصلة ،فيذكر أن الحلاج عندما ادخل بغداد سنة ٣٠١ هـ مشهورا على جمل طق مصلوبا ،ونودى عليه هذا أحد القرامطة فاعرفوه . (٢)

فالحلاج بما يشربه من افكار ومعتقدات ،كان يمثل حلقة من سلسلة متتابعة من حركات الغلو والهدم والزندقة باشرتها ابتداء فرقة غلاة الرافضة .. تلك الفرق التى حاولت تشويه معالم العقيدة الاسلامية بما لفقته من آراء ومذاهب ومعتقدات ،من الثقافات الاجنبية التى وجدها المسلمون فى الأراضى التى فتحوها (٣) ولهذا يقول الدكتور الشيبى :

(وليس من البعيد أن نجد من الأدلة والبراهين أن الحلاج نفسه كان داعيا اسماعيليا ،أو قرمطيا وشيعيا على كل حال ، استخدم طاقته الصوفية ونفوذه الروحى للتأثير فى الناس ودعوتهم الى نصرة الفاطميين أو القرامطة) (٤)

فأفكار الشيعة عن الولاية تسربت الى أوساط الصوفية لأن التصوف والتشيع نبتا فى بيئة واحدة ،هى البيئة العراقية والفارسية (٥) واتخذ التشيع من التصوف ستارا توارى خلفه بوصفه حركة يثق بها الناس حتى أطلق الاسماعيلية على أنفسهم لقب الصوفية فى فاتحة رسائلهم ،وسموا جماعتهم الثقافية " اخوان الصفا " مع العلم بأن بعض الصوفية يدعون نسبتهم الى الصفا ،وكما

---

(١) د / محمد محى الدين عبد الحميد هامش مقالات الاسلاميين جـ١ ص٨١ م النهضة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م

(٢) ابن العماد ،شذرات الذهب جـ٢ ص ٢٥٣ . وانظر شرح العقيدة الاصفهانية ص٧٤ ط كردستان العلمية سنة ١٣٢٩ هـ

(٣) انظر نشأة الصوفية وتطورها ص ١٩٢ ط بيروت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م

(٤) الفكر الشيعى والنزعات الصوفية ص ٧٢

(٥) انظر التصوف الثورة الروحية ص ٢٩٢ وانظر د / عبد الفتاح بركة نظرية الولاية عند الحكيم الترمذى جـ٢ ص ٣٠

اقترب الاسماعيلية الى الصوفية عن طريق الاسم جعلوا المجاهدة الصوفية هى الطريق الوحيد الى الترقى للوصول الى مقام الحجة عندهم . ويعتبر هذا المقام كمقام الفناء عند الصوفية فهو قمة ما يستطيع المريد الاسماعيلى ان يصل اليه .

هذا ولقد ظهر الحاكم بأمر الله الفاطمى بمظهر صوفى كامل حتى أعاد دعوة الحلاج وأحياها بعد قرن كامل من الزمن (١) ويعتبر هؤلاء الحكام الباطنيون هم الذين مكنوا للنفوذ الصوفى فى العالم الاسلامى لتفريق وحدة المسلمين والقضاء على الاسلام . (٢)

ولعله بات واضحا اثر التشيع فى التصوف الاسلامى من النصوص التى سقناها للتقرير هذه الحقيقة ، بل اكثر من ذلك نجد الجنيد البغدادى ، شيخ الطائفة نفسه يقرر هذه الصلة بين الشيعة والمتصوفة فيقول :

(ان شيخنا فى الأصول والفروع ، وتحمل البلاء على المرتضى ، لأنه فى مباشرته الحرب ، قد نطق بأشياء وحكايات لم تكن لأحد طاقة على سماعها ، لقد وهبه الله تعالى جما من العلم والحكمة والكرامة) (٣)

ثم ان الافكار الفارسية ولا سيما ما يتصل بعقائد الشيعة فى الأئمة المعصومين الذين يعدونهم خلفاء الله فى الأرض كان لها أيضا نصيب كبير فى تشكيل تلك البحوث النظرية فى التصوف مع ما تسرب اليها تدريجيا من العناصر الثقافية المستمدة من مصادر اخرى) (٤)

ولم يقف الأمر عند حد التأثير فحسب ، بل ان التصوف مدين للشيعة باستعمال لفظ الولاية بالمفهوم الصوفى ، لأن اول من اطلق هذا اللفظ هم الشيعة ، حيث اطلقوه على أمير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، (فالفضل بن العباس بن ابى لهب يقول رادا على الوليد بن عقبة بن أبى معيط :

---

(١) الفكر الشيعى والنزعات الصوفية ج ٢ ص ٧٢/٧٣
(٢) انظر الفيصل فى الملل والاهواء والنحل ج٤ ص ٢٢٦/٢٢٧
(٣) د / كامل الشيبى ، الصلة بين التصوف والتشيع ص٣٤٣ نقلا عن تذكرة الاولياء ٢/ ٩
(٤) فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص ١٣٠

فكان ولى الله بعد محمـــــد — على وفى كل المواطن صاحبـه
على ولى الله أظهر ديــــن — وأنت مع الأشقين فيمن تحاربـه (١)

ثم يشير الى فكرة الوصاية التى تدعيها الشيعة للامام على بن ابى طالب وبنيه ، لأنهم يعتبرونهم من طينة مقدسة ،فيقولون : انهم من مكنونة تحت العرش ، أسكن الله فيها النور ، فكانوا بشرا نورانيين ،أو هم بشر الهيين ،لأن النور الذى هو الله ، حل فى عبد المطلب ،ثم صار فى أبى طالب ،ثم صار فى محمد ،ثم صار فى على بن ابى طالب رضى الله عنه فهم الهة كلهم) (٢)

ويرى العلامة ابن خلدون ان الصوفية قد تأثروا بالشيعة وتوغلوا فى التدين بمذاهبهم حتى جعلوا مستند طريقهم فى لبس الخرقة ، ان عليا بـــن أبى طالب ألبسها الحسن البصرى ، واخذ عليه العهد بالتزام الطريقة واتصل عنهم ذلك بالجنيد من شيوخهم (٣) .

ولا نكاد نرى من يكتب فى التصوف ولا يؤكد هذه الصلة موضحا الأثـر الشيعى فى التصوف فأحمد أمين يقول :

(وهكذا كون الصوفية مملكة باطنية وراء المملكة الظاهرية واتخــــذوا منها فكرة المهدى وغيروا الفاظها) (٤)

موقف الصوفية من الامام على كرم الله وجهه :

ترى الجمهرة الغالبة من الصوفية أن على بن أبى طالب هو زعيمهم ، وأنه أول المتصوفة فى الاسلام ،وينسبون اليه علم الباطن ، ويخصونه بأنه تلقـــى أسرار التأويل عن النبى صلى الله عليه وسلم فكانهم يقابلون بين التنزيل فى القرآن وبين التأويل مقابلتهم بين الظاهر والباطن .

---

(١) انظر دراسات فى الفلسفة الاسلامية ص١٢٨ / ١٢٩ وانظر الصلة ص٣٤٧
(٢) نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام جـ٢ ص١٩ وانظر دراسات فى الفلسفة الاسلامية ص ١٢٩ .
(٣) المقدمة ص٣٢٣
(٤) احمد امين ضحى الاسلام جـ٣ ص ٢٤٥ ط السابعة م النهضة المصرية

فكثير من الصوفية فى البلاد الاسلامية يكادون يجمعون على أنهم يقتبسون طريقتهم عن الامام على رضى الله عنه ،وقد صح بذلك الشبلى ،والجنيد وسرى السقطى وأبو يزيد البسطامى ،وأبو محفوظ الكرخى ،كما ينسبون اليه خرقة التصوف التى تعد شعارا لهم على رغم انهم اخذوا مضمون تصوفهم من مصادر اخرى فيما يبدو.

كذلك نراهم يحددون احوال التصوف وطبقات الصوفية طبقاً لما يقررونه من انهم اخذوا ذلك كله عن الامام على ، بل يصرحون أنهم اخذوا عنه الحكمة وأن العرب قبله لا يعرفون شيئا عنها ،وعن الامور الالهية ويستشهد الدكتور محمودقاسم على ما تقدم بكلام ابى الحديد فيقول :

(اما الحكمة والبحث فى الأمور الالهية فلم تكن لاحد من العرب ، ولا نقل فى كلام اكابرهم واصاغرهم شىء من ذلك اصلا ، وهذا فن كانت اليونانية واوائل الحكماء واساطين الحكمة ينفردون به ، وأول من خاض فيه من العرب على بن أبى طالب .

ولهذا نجد المباحث الدقيقة فى التوحيد والعدل مبثوثة فى فرش كلامه وخطبه ،ولا نجد فى كلام احد من الصحابة والتابعين واحدة من ذلك ، ولا يتصورونه ولو تصوروه ،لم يفهموه وأنى للعرب ذلك) (١)

والشيعة يقولون ان مكانة على تجلت فى حادثة المعراج عندما سأل النبى صلى الله عليه وسلم النبيين عن سبب رفعتهم فقالوا : (... بأننا رفعنا بفضل نبوتك وامامة على بن ابى طالب والأئمة من صلبك ، فجاء النداء أن انظر الى يمين العرش ،فنظرت فاذا اشباح على وبنيه وحفدته وهم يصلون فى بحر من النور ،فقال الله : هؤلاء حججى وأوصيائى وأوليائى وينتقم آخرهم من أعدائى) (٢)

---

(١) انظر دراسات فى الفلسفة الاسلامية ص٢٤٤ /٢٤٥ ونهج البلاغة لابن ابى الحديد مجلد ٢ جـ٦ ص١٢١

(٢) نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام جـ٢ ص٤٣ /٤٤

فللصوفية ينسبون العلم اللدنى الى الامام على بن ابى طالب وكذلك الشيعة (١) اذ نجد الهاشمية اتباع ابى هاشم بن محمد بن الحنفية ،قالوا بانتقال الامامة من ابن الحنفية بعد وفاته الى ابنه ابى هاشم (فانه افضى اليه باسرار العلوم واطلعه على مناهج تطبيق الآفاق على النفس وتقدير التنزيل على التأويل . وتصور الظاهر على الباطن قالوا ان لكل ظاهر باطنا ،ولكل مثال فى هذا العالم حقيقة فى ذلك العالم) (٢)

ففكرة الحقيقة والمثال مشتركة بين الشيعة والصوفية واساسها نظرية عالم المثل عند افلاطون .

يقول ابن تيمية :

(وهؤلاء يدعون هذه المراتب فيهم مضاهاة للرافضة من بعض الوجوه ، بل هذا الترتيب والاعداد يشبه من بعض وجوه تشبيه الاسماعيلية ،والنصيرية ونحوهم ... وغير ذلك من الترتيب الذى ما انزل الله به من سلطان) (٣)

ومع هذا نجد شبها بين التصوف والتشيع فى ناحية اخرى فكما قال الشيعة بعصمة الأئمة وقال الصوفية بحفظ الأولياء ، والامامة ميراث نبوى عند الشيعة وهى كذلك أيضا عند الصوفية .

مما تقدم تتبين صلة التصوف بالفكر الشيعى للرافضة الأمر الذى أدى الى فساد عقائد كثير من المسلمين .

الفرق بين الاسلام والتصوف :

ظن كثير من المسلمين أن التصوف هو الاسلام ،حتى وصفوا به الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقد جاء فى كتاب دراسات فى العقيدة الاسلامية والاخلاق الذى ألفته لجنة من قسم العقيدة والفلسفة بكلية اصول الدين — جامعة الأزهر ،

---

(١) نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ج٢ ص ٤٣/٤٤

(٢) الملل والنحل ج١ ص ١٥٠

(٣) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج١١ ص٤٣٩ طبعة اولى سنة ١٣٨١هـ

فى ردهم على أحد المستشرقين حينما ذكر ان التصوف متأثر بمصدرين :

أحدهما : مسيحى ،

والاخر : بوذى .

وبدا هذا التأثر فى نظر المستشرق بصوره اكثر جلاء فى تصوف المحاسبى والبسطامى ، جاء فيه قولهم :

(... أن النبى صلى الله عليه وسلم ـ وهو الرسول المعصوم ، والذى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ـ كان أول صوفى فى الاسلام ، وفضلا عن ذلك فانه صلى الله عليه وسلم يصف احد اصحابه المتصوفين فيقول : (نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه) وان ابا حنيفة النعمان ، وهو اول أئمة المسلمين الاربعة وأحد اعلام المتصوفين التابعين يقول : (اللهم لا أعبدك طمعا فى جنتك ولا خوفا من نارك ، وانما حبا لذاتك) ولا ريب أن امثال هذين الصحابى والتابعى الجليلين من صوفية المسلمين كثيرون) (١)

وابو نعيم يذكر التصوف سمة لخير اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيقول فى ابى بكر رضى الله عنه (كان رضى الله عنه يتوصل بعز الوفا الى أسنى مواقف الصفا ، وقد قيل ان التصوف تفرد العبد بالصمد الفرد) (٢)

ويصف به عمر رضى الله عنه فى اكثر من موضع فيقول :

(كان رضى الله عنه مخصصا بالسكينة فى الانطاق ، ومحرزا من القطيعة والفراق ، ومشهورا فى الاحكام بالاصابة والوفاق وقد قيل ان التصوف الموافقة للحق والمفارقة للخلق) (٣) .

والمرحوم الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله فى مقدمته لكتاب اللمع يرى التصوف المنهاج الذى صلح به أول هذه الأمة اذ يقول :

(لا يصلح أمر هذه الأمة الا بما صلح به أولها) .

---

(١) لجنة من قسم العقيدة والفلسفة بكلية اصول الدين جامعة الازهر ، دراسات فى العقيدة الاسلامية والأخلاق ص ٢٣٠ / ٢٤١ الطبعة الاولى ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م مكتبة الازهر .

(٢) الحلية مجلد ١ ص ٢٩ (٣) نفس المصدر ص ٤١ / ٤٢

وبعد هذه الحقيقة : مباشرة دون فصل يقول : (ولهذا وضعنا المنهج العلمى لنشر الأصول الصوفية القديمة تلك الأصول التى اضاءت افق الحياة الاسلامية فى أزهى عصورها وصنعت الاخلاق الاسلامية فى أنبل عهودها ،وصاغت لامتنا فى وثبتها الأولى فلسفتها الروحية ، واخلاقها المثالية ،وخطوطها العريضة فى المعرفة والتربية ،ومناهجها فى السلوك والمجاهدة ومعارجها فى الحب والمناجاة وما الى ذلك) (١)

والاستاذ سعيد حوى :

وهو الداعية الاسلامى ذائع الصيت يخطّئ من يذم التصوف مطلقا ويرى ان على المسلم أن يرجع الى كتب التصوف حتى يعرف كيف يكون خاشعا فى صلاته وحتى يكون مخلصا فى عمله . فيقول :

" فالصلاة من حيث كون انكارها كفرا يبحث عن هذا فى كتب العقائد . والصلاة من حيث كونها أعمالا وأقوالا يبحث عنها فى كتب الفقه . وأما كيفية تحصيل الخشوع فيبحث عنها فى كتب التصوف " (٢)

ثم يقول :

(والاخلاص الذى شرط قبوله عند الله وبقية الاعمال يبحث عنها عادة فى كتب التصوف) (٣)

فنتيجة لهذه النصوص المتقدمة يتضح لنا أن من الناس من يرى التصوف كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه .

فان فرض أنه كان يقصد بالتصوف المفهوم الصحيح للاسلام ،وتطابق اللفظان — التصوف والاسلام — على مدلول واحد يعنى بالاسلام التصوف والعكس ، لو فرضنا هذا وانحصر الخلاف فى اللفظ فقط ، وجب علينا أن نؤثر

---

(١) اللمع ص ٣ المقدمة

(٢) سعيد حوى ،جولات فى الفقهين الكبير والاكبر ص ١٤٥

(٣) نفس المصدر والصفحة

ما اختاره الله و رسوله على اختيار البشر فالله سبحانه رضى لنا الاسلام دينا وسمانا المسلمين فقال تعالى :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ ملة أبيكم ابراهيم هو سمٰكم المسلمين من قبل ﴾ (٢)

فالاسلام سوى التعاليم التى جاء بها دينا هو الاسلام وحدثنا الاسلام عن امراض القلوب وما تصح به وعن التخلق بالأخلاق الحميدة والتزكية والتربية ، وعن الاخلاص والزهد و جملة الدين الخالص فمن لم يتخلق بالقرآن و يتزك ويهذب به نفسه ،فلا تخلق ولا تزكى ولا تطهر ،وما لم يكن دينا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فليس بدين بعدهم ،بل هو بدع ينبغى محاربتها .

فالاسلام هو الاسلام ،وينبغى ان نضع الأمور فى نصابها ونسمى الأشياء بأسمائها الواردة فالاسلام لم يسم التعاليم التى جاء بها صوفية ، فمن الخطأ أن يكون الرجل مسلما فيقال عنه انه كان صوفيا ذلك انه اسم لم يعرفه الصحابة رضوان الله عليهم ، ولقد سبق ان قلنا ان هذا اللفظ دخيل على دين ولغة هذه الأمة وأوردنا الشواهد على ذلك(٣)

والواجب يحتم علينا أن لا نستغل موافقة الصوفية لبعض ما جاء به الاسلام فى تبريرها والدفاع عنها لأن الحق لا يعرف التجزؤ وليس هناك أخذ لبعضه وترك لبعضه وانما الدين وحدة متكاملة :

﴿ افتؤمنون ببعض الكتٰب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيٰوة الدنيا و يوم القيٰمة يردون الى أشد العذاب ﴾ (٤)

والأستاذ سعيد حوى : يعتبر استاذ جيل ،ورجل دعوة و مكانته تحتم عليه أن يكون اكثر الناس ترويا وانصافا للحقيقة لأنه لا يكتب متجرا بما يكتب ولا أحسبه الا مخلصا ولا نزكى على الله أحدا ، وهو كما لا يحب أن تظلم الصوفية ، و يريد لمن يهاجمهم أن يكون على علم بما كتبوا كان ينبغى عليه أن يكون اول من يطبق ما يدعو اليه .

---

(١) المائدة : ٣ (٢) الحج : ٧٨ (٣) انظر ص ٤٣ من البحث (٤) البقرة : ٨٥

لقد قال الاستاذ :

(والذى يهاجم كبار الصوفية من خلال رؤيته لكتبهم فى التصوف ، وعدم رؤيته بعض الابحاث فيها يكون ظالما ... لقد هاجم اناس الغزالى من ناحيتين :

أولا : لأنه لم يضمن كتابه احياء علوم الدين بحثا عن الجهاد .

ثانيا : لأنه عاصر الحروب الصليبية ولم يقاتل .

وكلا الهجومين ظالم) (١)

ثم علل ذلك بأن الجهاد موضعه كتب الفقه وذكر فيها . ومن المعروف أن الغزالى توفى (٥٠٥هـ) بينما توجهت الحروب الصليبية من أوربا حوالى (٤٨٧هـ) فما قاله الاستاذ سعيد غير مسلم لما يأتى :

أولا : ان الحروب الصليبية لم تنشأ بغتة وانما دعا اليها البابوات الحاقدون ، وألبوا ملوك الغرب حتى قادوها بأنفسهم وأول من دعا اليها هو البابا سلفستر الثانى سنة ١٠٠٢م ، وما زالت الدعوات تتكرر حتى وجدت أذنا صاغية وبالفعل سقط بيت المقدس سنة ١٠٩٩م الموافق ٣ من رمضان سنة ٤٩٣ هـ وراح ضحية هذا البغى الآثم اكثر من سبعين الف مسلم ، حتى سبحت خيول الأعداء الى صدرها فى انهار دماء المسلمين . (٢)

فالحروب الصليبية سبقها تمهيد يربوا على عمر الغزالى منذ ولد الى أن مات ، وعلى فرض أنها وقعت بغتة فالمدة التى حددها الاستاذ سعيد بين توجهها وموته ثمانية عشر عاما فهى كافية للاشتراك فى الجهاد ولو بالقلم . وكل ذلك لم يكن .

---

(١) حولات ص١٤٥

(٢) انظر لوثروب ستودارد ، حاضر العالم الاسلامى ج٣ ص ٢١٥ نقله الى العربية عجاج نويهض وعلق عليه الامير شكيب ارسلان الطبعة الثالثة ١٣٩١هـ/١٩٧١م وانظر د/ على محمد جريشة ، الغزو الفكرى ص ١٦

ثانيا :— يعلل الاستاذ عدم ذكر الجهاد فى كتاب الاحياء انه ليس موضعه قائلا :

(اذ ان الجهادة عادة انما يكتب فى كتب الفقه كثيرا وكتبه فى الفقه ملأى بابحاث الجهاد) (١)

ولكن الاحياء ملئ بابحاث فى الفقه واسمه يدل على انه موضوع لاحياء معالم الدين وعلومه ، فكأن الجهاد لم يكن من معالمه ولا علمه من علومه .

ثالثا :— ان العلماء لم يهاجموا الغزالى كما قال الاستاذ لأنه لم يشترك فى الحروب ولم يكتب عن الجهاد وانما هاجموه لأنه فتح بابا واسعا للأفكار الدخيلة التى زعزعت عقائد المسلمين ، فقد ذهب الى أن تصفية القلب بالرياضة ، وتزكيته بالاخلاق الحميدة ، تؤدى الى أن يعلم حقائق الغيب فتابع فى ذلك الاسماعيلية واخوان الصفا ، وقال نقاده ان كلامه يقدح فى النبوة وفى الايمان بالأنبياء وقد حكى عنه القول بمذاهب الباطنية وفى كتبه ما يؤيد ذلك .

جاء فى الرسالة اللدنية :

١ — (الطريق الثانى) :

" وهو التعليم الربانى على وجهين :

الأول : القاء الوحى وهو ان النفس اذا كملت ذاتها يزول عنها دنس الطبيعة ودرن الحرص والأمل ، وينفصل نظرها عن شهوات الدنيا وينقطع نسبها عن الأمانى الفانية ، وتقبل بوجهها على بارئها ومنشئها وتتمسك بجود مبدعها وتعتمد على افادته وفيض نوره ، والله تعالى بحسن عنايته يقبل على تلك النفس اقبالا كليا وينظر اليها نظرا الهيا ويتخذ منها لوحا ، ومن النفس الكلى قلما ، وينقش فيها علومه ، ويصير العقل الكلى ، كالمعلم والنفس القدسية كالمتعلم ، فيحصل جميع العلوم لتلك النفس وينتقش فيها جميع الصور من غير تعلم وتفكر ، ومصداق ذلك قوله تعالى لنبيه :

(١) جولات فى الفقهين الكبير والاكبر ، ص ١٤٥

﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ (١)

ويقول :

(... ان القلب مثل المرآة واللوح المحفوظ مثل المرآة أيضا لأن فيه صور كل موجود واذا قابلت ما في المرآة بمرآة اخرى حلت صور ما في احداهما في الأخرى وكذلك تظهر صور ما في اللوح المحفوظ في القلب ، اذا كان فارغا من شهوات الدنيا) (٢)

ويقول :

(ولا تظنن ان هذه الطاقة تنفتح بالنوم والموت فقط ، بل تفتح باليقظة لمن أخلص الجهاد والرياضة ... وقال دائما : الله الله الله بقلبه ولسانه ... انفتحت تلك الطاقة وابصر في اليقظة الذي يبصره في النوم ، فتظهر له أرواح الملئكة والانبياء والصور الحسنة الجميلة الجليلة وانكشف له ملكوت السموات والأرض ورأى ما لا يمكن شرحه ولا وصفه ... لأن علوم الأنبياء كلها من هذا الطريق ، لا من طريق الحواس ... وتطهير القلب من كل شيء والابتهال اليه سبحانه وتعالى ، وهو طريق الصوفية ، وأما طريق التعليم فهو طريق العلماء ، وهذه الدرجة الكبيرة مختصرة من طريق النبوة ، وكذلك علم الأولياء لأنه وقع في قلوبهم بلا واسطة من حضرة الحق كما قال سبحانه : ﴿ آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ﴾ (٣) ... ولا تحسب أن هذا خاص بالأنبياء والأولياء ، لأن ابن آدم في اصل الخلقة مدفوع لهذا كالحديد ... والانبياء والأولياء هم بنو آدم) (٤)

---

(١) الغزالي محمد بن محمد بن محمد ، الرسالة اللدنية ص١١٤/١١٥ مجموعة القصور العوالي — وسورة النساء الاية : ١١٣

(٢) الغزالي كيمياء السعادة ص٨٧ مطبوع مع المقدمة وانظر مشكاة الانوار ص١٨٦ مجموعة القصور .

(٣) الكهف : ٦٥

(٤) كيمياء السعادة ص٨٨/ ٩٢ .

الغزالى ووحدة الوجود :

وكيف لا يكون الغزالى موضع نقد من العلماء وفى كلامه ما قد يفهم منه أنه يذهب الى القول بوحدة الوجود يقول تحت عنوان (حقيقة الحقائق) :

(ومن هذا ترقى العارفون من حضيض المجاز الى ذروة الحقيقة واستكملوا معراجهم ، فرأوا بالمشاهدة العيانية أن ليس فى الوجود الا الله ... اذ ليس فى الوجود معه غير حتى يكون هو اكبر منه ، بل ليس لغيره رتبة المعية بل رتبة التبعية ، بل ليس لغيره وجود الا من هذا الوجه الذى يليه) (١)

ثم يقول :

(فاذن لا اله الا الله توحيد العوام ، ولا هو الا هو توحيد الخواص لأن ذلك أعم ، وهذا اخص وأشمل وأحق وأدق ، وأدخل لصاحبه فى الفردانية المحضة ، والوحدانية الصرفة) (٢)

ثم يواصل كلامه حين يتكلم عن مراتب التوحيد فيقول :

(التوحيد أربع مراتب ... الى ان يقول :

... والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر فى شهوده غير الواحد . فلا يرى الكل من حيث انه كثير ، بل من حيث انه واحد ، وهذه الغاية القصوى فى التوحيد .. فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة فكيف يكون الكثير واحدا ؟ فاعلم أن هذه غاية المكاشفات وأسرار هذا العلم ، لا يجوز أن تسطر فى كتاب ، فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر ... وهذا كما ان الانسان كثير اذا التفت الى روحه وجسده واعضائه والفرق بينهما انه فى حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس له تفريق ، وكان فى عين الجمع ، والملتفت الى الكثرة فى تفرقه .

فكذلك كل ما فى الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ، ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد ، وباعتبار اخر سواه

---

(١) مشكاة الانوار ص١٩٦

(٢) المصدر السابق ص٢٠٠

كثير ، وبعضها اشد كثرة من بعض ، ومثاله الانسان ، وان كان لا يطابق الغرض ، ولكن ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا ، ويستبين بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه) (١)

آراء العلماء في الغزالي :

يذكر ابن تيمية ان الغزالي كان واسطة في نقل مذهب الفلاسفة الى من بعده من متفلسفة الصوفية ، أمثال ابن عربي ، وابن سبعين ، والسهروردي المقتول ، وهم الذين ادعى احدهم ، أنه افضل من موسى ابن عمران ، وان التكلم الذى حصل له اعظم من التكلم الذى حصل لموسى عليه السلام) (٢)

وأبو بكر بن العربي الفقيه المالكي يقول في شأن الغزالي انه امرضه كتاب الشفاء للفيلسوف ابن سينا وانشر في ذلك قوله :

وكم قلت يا قوم انتم على ... شفا جرف من كتاب الشفا

فلما استهانوا بتنبيهنا ... رجعنا الى الله حتى كفى

برئنا الى الله من معشر ... بهم مرض من كتاب الشفا

فماتوا على دين رسطالس ... وعشنا على سنة المصطفى (٣)

ولقد تتبع ابن العربي ما علق بالغزالي من اثار الفكر الفلسفي حتى نجد شيخ الاسلام ابن تيمية يستشهد في نقده الغزالي باراء ابن العربي فيقول :

" ولهذا رد عليه علماء عصره حتى أخص اصحابه أبو بكر بن العربي فانه قال : شيخنا أبو حامد دخل بطن الفلاسفة ثم اراد ان يخرج منها فما قدر) (٤)

ونقل ابن تيمية قدرا كبيرا من كتاب " مشكاة الأنوار " للغزالي في كتابه " بغية المرتاد " (٥) المشهور بالسبعينية ثم علق قائلا :

---

(١) الغزالي ، احياء علوم الدين ج٤ ص٢٤٦/٢٤٧

(٢) د/ محمد رشاد سالم مقارنة بين الغزالي وابن تيمية ص٦٦/٦٧

(٣) انظر د/ عمار طالبي اراء ابن العربي الكلامية ج٢ ص١١٤ و ١١٥

(٤) ابن تيمية موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ص٢/٣ على هامش منهاج السنة ج١ المطبعة الكبرى ط اولى سنة ١٣٢١هـ

(٥) انظر بغية المرتاد ص١٤/١٨

(ان مثل هذا الكلام يشتمل على امور باطلة من جهة النقل ، وهي نفسها مخالفة للشرع والعقل ... مما ليس من قول المسلمين ، واليهود ، والنصارى ، بل من اقوال الملاحدة من الصابئين والفلاسفة والقرامطة) (١)

ويقول أيضا :

(كان أبو حامد مع ما يوجد في كلامه من الرد على الفلاسفة وتكفيره لهم ، وتعظيم النبوة وغير ذلك ، ومع ما يوجد فيه من اشياء صحيحة حسنة بل عظيمة القدر نافعة ، يوجد في كلامه مادة فلسفية ، وأمور اضيفت اليه توافق أصول الفلاسفة الفاسدة المخالفة للنبوة ، بل المخالفة لصريح العقل حتى تكلم فيه جماعة من علماء خراسان ، والعراق والمغرب ، كرفيقه أبي اسحق الميرغيناني ، وأبي الوفاء ابن عقيل ، والقشيري والطرطوشي ، وابن رشد والمازري ، وجماعات من الأولين حتى ذكر ذلك الشيخ ابو عمرو بن الصلاح وابو زكريا النواوي) (٢) ثم ينقل ابن تيمية رأي المازري الفقيه الاصولي فيقول : قال المازري :

" ... ان الغزالي كان قد خاض في علوم وصنف فيها واشتهر بالامامة في اقليمه ، حتى تضاءل له المتنازعون واستبحر في الفقه وفي أصول الفقه وهو بالفقه أعرف . أما أصول الدين ، فليس بالمستبحر فيها شغله عن ذلك قراءته علوم الفلسفة ، وأكسبته قراءة الفلسفة جراءة على المعاني ، وتسهيلا للهجوم على الحقائق ، لأن الفلاسفة تمر مع خواطرها وليس لها شرع يزعها ، ولا تخاف مخالفة أئمة تتبعها ، فلذلك خامره ضرب من الادلال على المعاني ، فاسترسل فيها استرسال من لا يبالي بغيره وقد عرفني بعض أصحابه أنه كان له عكوف على قراءة رسائل اخوان الصفا وهذه الرسائل احدى وخمسين رسالة كل رسالة مستقلة بنفسها وقد ظن في مؤلفها ظنون . وفي الجملة هو ـ يعني واضع الرسائل ـ رجل فيلسوف قد خاض في علوم الشرع فمزج ما بين العلمين ، وحسن الفلسفة في قلوب اهل الشرع ، بآيات وأحاديث يذكرها عندها .

---

(١) المصدر السابق ص١٨ / ١٩ وانظر الاصفهانية ص١٤/٥ مطبوع مع السبعينية

(٢) الاصفهانية ص١١٥

ثم انه كان فى هذا الزمان المتأخر فيلسوف يعرف بابن سينا ملأ الدنيا تآليف فى علوم الفلسفة ،وكان ينتمى الى الشرع ، ويتحلى بحليــة المسلمين ، وادته قوته فى علم الفلسفة الى ان تلطف جهده فى رد أصول العقائد الى علم الفلسفة وتم له من ذلك ما لم يتم لغيره من الفلاسفة .

قال : ـ يعنى المازرى ـ ووجدت هذا الغزالى يعول عليه فى اكثر ما يشير اليه فى علوم الفلسفة حتى أنه فى بعض الأحايين ينقل نص كلامه من غير تغيير ،وأحيانا يغيره و ينقله الى الشرعيات اكثر مما نقل ابن سينا لكونه أعلم بأسرار الشرع منه .

فعلى ابن سينا ومؤلف رسائل اخوان الصفا عول الغزالى فى علوم الفلسفة .

قال : وأما مذهب المتصوفة ،فلست أدرى على من عول فيه ولا من ينتسب اليه فـى علمه ،قال : وعندى انه على أبى حيان التوحيدى الصوفى عول على مذهب الصوفية .

وقد علمت أن أبا حيان هذا الف ديوانا عظيما فى هذا الفن ولم يصـل الينا منه شيء .

ثم ذكر ان فى الاحياء فتاوى مبناها على ما لا حقيقـة له، الى ان قال ـ يعنى المازرى) وحمل الى بعض الاصحاب من هذا الاملاء الجزء الأول فوجدته يذكر فيه ان من مات بعد بلوغه ،ولم يعلم أن البارى قديم مات مسلمـا اجماعا ومن تساهل فى حكاية الاجماع فى مثل هذا الذى الاقرب ان يكون فيـه الاجماع بعكس ما قال ، فحقيق ان لا يوثق بكل ما ينقل ،وان يظـن بـه التساهل فى رواية ما لم يثبت عنده صحته .

قال : ثم تكلم المازرى فى محاسن الاحياء ومذامه ومنافعه ومضاره بكلام طويل ختمه بان من لم يكن عنده من البسطة فى العلم ما يعتصم به من غوائـل هذا الكتاب فان قراءته لا تجـوز له ، وان كان فيه ما ينتفع به ،ومن كان عـنده من العلم ما يأمن به على نفسه من غوائل هذا الكتاب ويعلم ما فيه من الرموز فيجتنب مقتضى ظواهرها ، ويكل أمر مؤلفها الى الله تعالى : وان كانت كلها تقبـل

التأويل ،فقراءته له سائغة ، وينتفع به ،اللهم الا ان يكون قارئه ممن يقتدى به ، ويغتر بهم فانه ينهى عن قراءته وعن مدحه والثناء عليه .

قال : ولولا ان علمنا ان املاءنا هذا انما يقرؤه الخاصة ومن عنده علم يأمن به على نفسه لم نتتبع محاسن هذا الكتاب بالثناء ولم نتعرض لذكرها ، ولكننا نحن آمنا من التغرير ولئلا يظن ايضا من يتعصب للرجل انا جانبنا الانصاف في الكلام على كتابه ويكون اعتقاده هذا فينا سببا لئلا يقبل نصيحتنا) (١)

ويقول الدكتور محمد رشاد سالم :

" ان كلام الغزالي المتعلق بالنبوة في كتبه ورسائله ،المختلفة ،ترتبت عليه نتائج خطيرة في الفكر الاسلامي وفي التصوف ،وسواء قصد الغزالي هذه النتائج أو لم يقصدها ،فان كتب الغزالي ، أدت الى تلك النتائج بصرف النظر عن نوايا الغزالي وعن رجوعه عن تلك الاراء في اخر عمره، ونحن لا نحاكم الغزالي ولا نحاسبه ، فحسابه عند الله وقد افضى الى ربه ، ولكننا نبين مدى تأثير افكاره المدونة على من بعده ،ولعله كان من الضرورى على الغزالي أن يكتب موضحا موقفه مهاجما الآراء التي رجع عنها كما فعل الأشعرى الذى وقف حياته بعد رجوعه عن الاعتزال على مهاجمة آراء المعتزلة والانتصار لما اعتقد أنه مذهب أهل السنة) (٢)

ولم يقف نقد العلماء للغزالي عند هذا الحد ،بل لقد احرق اهل الأندلس كتبه ،وكتب من على شاكلته وعدوا من يعنى بها ويمتلكها زنديقا (٣) .

ولقد ألف الغزالي " كتاب احياء علوم الدين " بعدما أصيب بمرض "الكنظ" (٤)

---

(١) شرح العقيدة الاصفهانية ص١١٦/١١٨ بتصرف بسيط .

(٢) الدكتور محمد رشاد سالم ،مقارنة بين الغزالي وابن تيمية ص٦٦ ط.السلفية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م

(٣) انظر د / ابا العلا عفيفي مقالا نشر بمجلة الاداب جامعة مصر عدد مايو ١٩٣٣م بعنوان من اين استقى ابن عربي فلسفته الصوفية .

(٤) " الكنظ" وهو الهم اللازم او ان يشرف الانسان على الموت من الكرب ،ثم يفلت منه " راجع تاج العروس جـ٥ : ٢٦١ " ومقال د / عمر فروخ مجلة الباحث العدد الرابع يناير وفبراير سنة ١٩٨٠م

أو " الفنط " وهو مرض تهن به قوى المريض ، ويضطرب تفكيره وجميع احوال معاشه ويفقد لذته في معالجة احوال الدنيا ـ ألفه في فترات متفاوتة بعد سنة ٤٨٨ هـ ولا ريب ان الغزالي دخل في مرحلة الشك بعد أن اشتد بـه المرض ، فأدى به المرض الى الشك ولم يكن المرض نتيجة للشك .

يقول الغزالي :

(فاعضل هذا الداء ، ودام قريبا من شهرين أنا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال ، لا بحكم المنطق والمقال حتى شفى الله من هذا المرض ، وعادت النفس الى الصحة والاعتدال ، ورجعت الضرورات العقلية مقبولة ، موثوقا بها على امن ويقين) .(١)

ويصور حاله في مرضه فيقول :

(... اذ قفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن ادرس يوما واحدا تطييبا لقلوب المختلفة ، وكان لا ينطق لساني بكلمة ، ولا استطيعها البتة ، ثم اورثت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب بطلت معه قوة الهضم ومراءة الطعام والشراب ، فكان لا تنساغ لي شربة ولا تنهضم لقمة ، وتعدى ذلك الى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طمعهم في العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ، ومنه سرى الى المزاج) (٢)

هذا واذا كان الغزالي قد تساهل في نقل الاجماع على ما بينه المازري ، فاننا نجده يتساهل في ذكر الاحاديث التي اوردها في كتاب الاحياء ، فلا يقف عند الصحيح منها بل يتجاوزه الى غيره .

ذكر الحافظ العراقي في تخريجه احاديث الاحياء كثيرا من الموضوعات زومع ذلك لا نعلم قطعا ما اذا كان الغزالي ، قد قبل هذه الموضوعات التي لم تثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو انه هو الذي قالها

---

(١) الغزالي : المنقذ من الضلال ص١٠/١١ ط الجندي بمصر

(٢) نفس المصدر ص٤٧

غفلة منه ،وتوهما انه سمعها راوية وهو في حالة المرض ،وفي الاحياء كثير من مثل هذه الأقوال لا تحسن روايتها ،وليس ذلك بمستغرب فان مرض " الكنظ " الذى عاناه الغزالي ،يورث مثل هذا التقلب في السلوك او التفاوت في الأحكام فان من طبيعة هذا المرض ان يشتد في فترات فتضطرب حال المريض به ،فاذا انجلت فترة المرض عاد المكنوظ الى حاله المادية ، ورجع سويا في تفكيره (١)

آراء العلماء فـي التصوف :

لقد دافع علماء الشرع الأجلاء ورثة الأنبياء عن حياض الدين وبينوا ان الطريق الى الله واحد هو ما شرعه الله لعباده ودعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحذروا من الوقوع في براثن هذا التصوف الأعجمي ، الذى نخر في الاسلام كما ينخر السوس في العظام.

فلقد سئل ناصر السنة وقامع البدعة الامام ابوبكر الطرطوشي رحمه الله هذا السؤال :

" ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية ؟ — واعلم حرس الله مدته — أنه يجتمع جماعة من رجال فيكثرون من ذكر الله تعالى وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم يوقعون بالقضيب على شىء من الأديم . ويرقصون ويتواجدون حتى يقع البعض مغشيا عليه ويحضرون شيئا يأكلونه .

هل الحضور معهم جائز ؟ افتونا مأجورين يرحمكم الله ، وهذا القول الذى يذكرونه :

يا شيخ كف عن الذنوب ... قبل التفرق والزلل
واعمل لنفسك صالحا ... ما دام ينفعك العمل
أما الشباب فقد مضى ... ومشيب رأسك قد نزل

(١) انظر د / عمرو فروخ مقال له بمجلة الباحث العدد الرابع يناير وفبراير ١٩٨٠م ص ١٧ / ١٩ بتصرف بعنوان " الاثار المتناقضة للتصوف في الاسلام " .

وفي مثل هذا ونحوه .

فقال : الجواب يرحمك الله .

" مذهب الصوفية بطالة وجهالة ، وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وأما الرقص والتواجد فأول من احدثه اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار ، قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون ، فهذا دين الكفار عباد العجل وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى ، وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار . فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الاخر أن يحضر معهم . ولا يعينهم على باطلهم ، هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق) (١)

ثم عزا حال الصوفية الى الجهل ومخالفة العلماء والفقهاء :

﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ (٢)

وابن حزم يرد اسباب الضلال في الأمة الاسلامية الى الشيعة والمتصوفة فيقول :

" واعلموا أن كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمي الى الاسلام فانما عنصرهم الشيعة والصوفية . فان من الصوفية من يقول من عرف الله سقطت عنه الشرائع ... واتصل بالله تعالى ، وبلغنا ان بنيسابور اليوم في عصرنا هذا رجلا يكنى ابا سعيد أبا الخير هكذا معا ، مرة يلبس الصوف ومرة يلبس

---

(١) ابو عبد الله احمد بن محمد الانصاري القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن جـ١١ ص ٢٣٨/٢٣٧ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر مصورة من دار الكتب ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م وانظر ابن الحاج ، المدخل ، جـ٣ ص ١٠٢ طـ ثانية سنة ١٩٧٢م دار الكتاب العربي بيروت .

(٢) النساء : ١١٥

الحرير المحرم على الرجال ومرة يصلي في اليوم الف ركعة ومرة لا يصلي ولا فريضة ولا نافلة وهذا كفر محض نعوذ بالله من الضلال) (١)

ولم يكتف ابن حزم بهذا بل افرد لهم فصلا بعنوان : (ذكر شيع قوم لا نعرف فرقهم) .

ذكر فيه قولهم : أن في أولياء الله تعالى من هو افضل من جميع الانبياء والرسل ، وقولهم بسقوط الشرائع كلها امرا ونهيا عمن بلغ الغاية القصوى من الولاية بحيث يحل له ترك الواجبات من صلاة وغيرها واتيان المحرمات من زنا وشرب خمر وغيرهما واستباحوا نساء غيرهم ،وادعوا انهم يرون الله ويكلمونه وكلما قذف في قلوبهم فهو حق ،وذكر ان بعضهم مجسدة قالوا ان الله جسم في صورة انسان لحم ودم ويفرح ويحزن ويمرض ويفيق — ثم قال : اعلموا ان هذه كفرات اصلع وأقوال قوم يكيدون للاسلام ،واعلموا ان جميع فرق الضلالة لم يجر الله على أيديهم خيرا ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية ، ولا رفع للاسلام راية ،وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين ويفرقون كلمة المسلمين ويسلون السيف على أهل الدين ويسعون في الأرض مفسدين (٢)

وكيف لا يعيب العلماء هذه الطائفة مع ما أثرعنها من انحراف عن الاسلام فالى جانب ما تقدم نجدهم ، وقد اعماهم الجهل عن رؤية الحق وهو أبلج يسرفون في تعظيم مشائخهم حتى ان منهم من يزعم ان شيخه خاتم الأولياء بل منهم من يرفع شيخه الى مرتبة النبوة .

قال الشاطبي :

ولقد حدثني من أثق به ،أنه خرج يوما لبعض شأنه ،فرأى رجلين من المتصوفة قاعدين فاتهم انهما يتحدثان في بعض فروع الطريق ،فقرب منهما استخفاء فتحدثا في شيخهم وعظما منزلته ،وأنه لا أحد في الدنيا مثله ، ثم قال

---

(١) الامام ابو محمد علي بن حزم الاندلسي الفصل في الملل والاهواء والنحل ج٤ ص١٨٨

(٢) انظر الفصل ج٤ ص٢٢٦/٢٢٧

أحدهما للآخر : أتحب الحق ؟ هو النبي — يعني شيخه — قال : نعم هذا هو الحـق فقال : فقمت من ذلك المكان فاراً خشية ان تصيبني منهم قارعة . (١)

فسبب ثورة العلماء على الصوفية مجافاتهم الصراط المستقيم وابن تيمية أيضا ينسبهم الى الضلال ، ويرى انهم تأثروا بالمذاهب الهدامة ، وخاصـة اصحاب وحدة الوجود منهم ، بل حتى الغزالي نفسه يراه ابن تيميـة متأثـرا باخوان الصفا فيقول :

" وهم يأخذون من كلام الفلاسفة شيئا — يعني من تأثروا بالـوحدة — ومن الكلام الفاسد من كلام المتصوفة والمتكلمين شيئا ، ومن كلام القرامطـة والباطنية شيئا ، فيطوفون على أبواب المذاهب ويفوزون بأخس المطالب ، ويثنون على ما يذكر من كلام التصوف المخلوط بالفلسفة ، كما يؤخذ من كلام ابى حامد ونحوه مما هو مأخوذ من رسائل اخوان الصفا ، وامثالهم ممن يريد ان يجمع بين ما جاءت به الكتب الالهية والرسل المبلغـون عن الله عز وجل ، وما تقولـه الصابئة المتفلسفون في العلم الالهي ، فيذكرون احاديث موضوعة ، وربمـا حرفوا الفاظها كما يذكرون عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (أول ما خلق الله العقل) (٢) الحديث ... فغيروا لفظه ليوافق ذلك مذهب المشائيين من المتفلسفة اتباع ارسطو القائلين أول الصادرات العقل) (٣)

ثم قال وقد بسطنا فساد ذلك شرعا وعـقلا ، وبينا ان بين هؤلاء من المباينة اعظم مما بين اليهود والنصارى وبين المسلمين . وأن اليهود والنصـارى اذا لم يتفلسفوا كانوا اقرب الى الحق من هؤلاء) (٤)

---

(١) انظر ابا اسحق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ، الاعتصام ج١ ص٢٥٨/٢٥٩ ط دار المعرفة للطباعة .

(٢) انظر البحث ص

(٣) جامع الرسائل لابن تيمية ج ١ ص ١٦٧/١٦٨

(٤) نفس المصدر ص ١٦٩

ويرى ابو حيان انهم قبوريون لا هم لهم ولا شغل الا زيارة القبور لا لأجل العظة واتباع السنة ،ولكن تعظيما للموتى كما يصفهم بالجهل الفاضح حيث انهم يجهلون الوضوء ويذكر ان الملوك مسخرون لهم في تحسين الظن بهم فيعينونهم على التمادى في الباطل بل انهم ليوفرون ما يحتاجون له مما يجعلهم ينهمكون في الضلال والمباهاة بزيارة القبور فيقول :

" واما التباهي بالزيارة ففي هؤلاء المنتمين الى التصوف أقوام ليس لهم شغل الا زيارة القبور ، زرت قبر سيدى فلان بكذا وقبر الشيخ فلان بكذا ، فيذكرون اقاليم طافوها على قدم التجريد ،وقد حفظوا حكايات عن أصحاب تلك القبور ،واولئك المشائخ بحيث لوكتبت لجاءت أسفارا ،وهم مع ذلك لا يعرفون الوضوء ولا سننه وقد سخر لهم الملوك ،وعوام الناس في تحسين الظن بهم وبذل اموالهم ،وأما من شذ منهم لأن يتكلم للعامة فيأتي بعجائب فيقول هذا فتح ،هذا من العلم اللدني علم الخضر ، حتى ان من ينتمي الى العلم ، لما رأى رواج هذه الطائفة ،سلك مسلكهم ونقل كثيرا من حكاياتهم ومزج ذلك بيسير من العلم طلبا للمال والجاه وتقبيل اليد) (١)

الصوفية ليسوا من أهل السنة والجماعة :

نقل المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق في كلمته التي ألقاها في مؤتمر تاريخ الأديان بليدن عن كتاب " البرهان في معرفة عقائد اهل الايمان " لأبي الفضل عباس بن منصور الحنفي ما يأتي :

(فصل : قد ذكرت هذه الفرقة الهادية المهدية (يعنى اهل السنة والجماعة) وانها على طريقة متبعة لهذه الشريعة النبوية مقلدة لهم في احكام عباداتهم ،وأنكحتها ومعاملاتها من وجوب الواجبات وحظور

---

(١) اثير الدين ابو عبدالله محمد بن يوسف بن على بن حيان الغرناطي ،الجياني الشهير بابي حيان (٦٥٤ ـ ٧٥٤ هـ) التفسير المسمى بالبحر ج ٨ ص ٥٠٧/ ٥٠٨ مكتبة مطابع العصر الحديثة الرياض .

المحظورات ، وجواز الجائزات ، واباحة المباحات وغير ذلك مما هو داخل تحت الشريعة المطهرة لم يشذ أحد منهم عن ذلك سوى فرقة واحدة تسمت " بالصوفية " يتقربون لأهل السنة وليسوا منهم . قد خالفوهم فى الاعتقاد والأفعال والاقوال .

الصوفية أشد كفرا وأضر على الاسلام من غيرهم :

قال الامام ابو عبد الله القلعى فى كتاب " احكام القضاة " : وهذان الصنفان فى الكفر والضلال أشد وأضر على الاسلام واهله من غيرهما وجميعهم ممن يساق الى النار من غير مسألة ولا محاسبة ، ولا خلوص لهم منها أبد الآبدين ، يعنى فرقة الصوفية وفرقة الاسماعيلية الباطنية ... لأن هذين الصنفين متفقان فى أصل الاعتقاد وان اختلفا فى التأويل . (١)

التحذير من كتب التصوف :

روى ابن الجوزى عن سعيد بن عمر البرزعى ، قال :

" شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبى وكتبه فقال للسائل : اياك وهذه الكتب ، كتب بدع وضلالات عليك بالأثر فانك تجد ما يغنيك عن هذه الكتب ، قيل له : فى هذه الكتب عبرة قال : من لم يكن له فى كتاب الله عز وجل عبرة ، فليس له فى هذه الكتب عبرة ، بلغكم ان مالك بن انس ، وسفيان الثورى ، والأوزاعى والأئمة المتقدمين صنفوا هذه الكتب فى الخطرات والوساوس وهذه الأشياء هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم ياتوننا مرة بالحارث المحاسبى ومرة بعبد الرحيم الديبلى ومرة بحاتم الأصم ، ومرة بشقيق ثم قال ما أسرع الناس الى البدع) (٢)

---

(١) الشيخ مصطفى عبد الرزاق ، الصوفية والفرق الاسلامية ، مقالة القاها فى مؤتمر تاريخ الأديان بليدن ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ونشرت بذيل كتاب اعتقادات فرق المسلمين للرازى بتحقيق النشار ص١١ / ١٢ .

(٢) تلبيس ابليس ١٦٦ / ١٦٧ وانظر الخطيب البغدادى تاريخ بغداد ج ٨ ص ٢١٥ وانظر مقدمة د / أبى عدة على رسالة المسترشدين للمحاسبى ص١٩ ط ثانية ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

نهى الامام احمد عن صحبة المحاسبي :

وروى الخطيب في تأريخ بغداد ، عن اسماعيل بن اسحق السراج ، ان الامام احمد اراد ان يستمع للمحاسبي من حيث لا يشعر ، فجاء المحاسبي الى منزل اسماعيل والامام أحمد في مكان لا يرى ، وبعد منتصف الليل سأل المحاسبي أحد تلاميذه . فبدأ الدرس والامام يسمع دون ان يرى ، فصعد اسماعيل الى الغرفة التي فيها الامام ، فوجده قد غشي عليه ، وعندما اصبحوا وتفرقوا سأل اسماعيل الامام كيف رأيت هؤلاء القوم يا أبا عبد الله ، فقال : ما أعلم اني رأيت مثل هؤلاء القوم ، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل وعلى ما وقفت من احوالهم فاني لا أرى لك صحبتهم . (١)

آراء الباحثين في سبب نهي الامام أحمد عن صحبة المحاسبي :

يرى السبكي ان الامام احمد نهى عن صحبة المحاسبي لعلمه بقصور اسماعيل عن مقامهم ، فانهم في مقام صعب لا يسلكه كل احد ، ويخاف على من يسلكه الا يوفيه حقه (٢) .

ويرى ابن كثير ان احمد رحمه الله كره ذلك لأن في كلامهم من التقشف وشدة السلوك التي لم يرد بها الشرع ، والتدقيق والمحاسبة الدقيقة البليغة ما لم يأت بها امر ، ولهذا لما وقف ابو زرعة على كتاب الحارث المسمى " بالرعاية " قال : هذا بدعة (٣)

أما الاستاذ أبو غدة فيدافع عن المحاسبي ويرى ان السبب في ذلك هو الاشتغال بالحديث رواية وحفظا وكتابة وارتحالا في طلبه وتحصيله وانه كانت نظرة المحدثين والرواة حادة لكل من تحول عن طريقهم وسلك مسلكا آخر في العلم فقيها كان اومذكرا او متكلما ، ولهذا السبب لقي ابو عبد الله المحاسبي الانتقاد من

---

(١) انظر مقدمة رسالة المسترشدين ص٢٢/٢٣ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٢١٤ .
(٢) انظر السبكي - طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص ٤/٢ .
(٣) انظر مقدمة رسالة المسترشدين ص٢٤ وانظر تلبيس ابليس ص١٦٦/١٦٧
وانظر البحث ص

معاصريه الذين يرون العلم كل العلم رواية الحديث ،ويرون اعمال الرأى فى فهم الأثر خروجا عليه فاذا بلغهم اجتهاد عالم اجتهد او قال فى صفة من صفات الله او ان مذكرا تحدث عن حال النفس كاشفا منقبا ، ثارت لذلك حفيظتهم ونقموا عليه ما صنع وقالوا فيه ما يرونه ملاقيا للجارح الذى اتصف به فى نظرهم. (١)

مناقشة الآراء :

الاحتمال الذى ذكره السبكى بعيد ،فالنهى عن صحبتهم سببه على ما يدل عليه كلام الامام أحمد هو حالهم المبتدعة التى لم ير السابقين عليها ،ويؤيد هذا ما ساقه الامام ابن كثير باختصار وما ذكره ابن الجوزى عن ابى زرعة بتفصيل. (٢)

ولو صح ما ذكره السبكى لقال الامام احمد لاسماعيل بن اسحق : انت لا تقوى على سلوك مسلكهم دون هذه العبارة " لا ارى لك صحبتهم " فانها ظاهرة وكراهة طريقتهم اذ كانت خروجا على سماحة الاسلام ،وما عرف عنه من انه دين يسر لا حرج فيه.

أما ما ساقه الدكتور ابو غدة مدافعا به عن المحاسبى فمردود بما يأتى :

١ — من المعلوم ان الصحابة والتابعين رضى الله عنهم كانوا اكثر الناس اشتغالا بالكتاب والسنة ، وكانوا اعمق فيهما ولم يظهر فى زمنهم مثل هذه التآليف فى الخطرات والوساوس .

٢ — اشتغال المحدثين بالجمع فى زمن اشتدت فيه الحاجة الى ذلك ، ليس دليلا على أنهم يخصون انفسهم بالعلم حتى يكون المشتغل بأى علم غير جمع الحديث وكتابته موضع نقد منهم ، والمحدثون لا يعيبون الفهم الصحيح للأحاديث ولا تدبر معانيها ،وان منعوا الرأى فانما يمنعون الرأى المخالف لما جاء به النص أو الرأى الذى يظهر انه خطأ ،وما عابوا على المتكلمين ،ولا على احد منهم تكلمه بما يكشف التقارب عن حقية ما جاء به الاسلام من عقائد ،وكيف يعيبون الحجج العقلية والعقل الصريح لا يخالف فى نظرهم النقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر مقدمة رسالة المسترشدين ص ١٨/١٩ (٢) انظر البحث ص

وانما عابوا على المتكلمين آراءهم التى ظنوها معقولات ، وحاولوا اخضاع النصوص لها بضرب من التأويل لا يساعد عليه سياق ولا فهم صحيح للغة وأساليبها وطرق استعمالها فهذا هو الذى عابوه على المتكلمين الذى أدى الأمر ببعضهم الى القول بأن دلالات الألفاظ ظنية ، وأن خبر الواحد ليس حجة والى الطعن فى صحة بعض الاحاديث التى رأوا انها مخالفة لمعقولهم مع أنهم ليسوا متخصصين فى الحديث ورجاله كتخصص المحدثين ، الذين قضوا حياتهم لتمييز الصحيح عن غيره ،ثم من أين له هذه الدعوى العريضة التى تلف المحدثين فى العداء للفقهاء والمتكلمين ، والمذكرين بالله بما يكشفون عن آياته فى مخلوقاته انه لم يذكر دليلا واحدا على ذلك .

٣ — والمحاسبى يعزى اليه انه مؤسس مذهب الاستسلام وترك الاعتراض كما ينسب اليه انه تأثر بالمسيحية تأثرا قويا . (١)

و لقد أورد المحاسبى كثيرا من الاحاديث الموضوعة والضعيفة لتأييد مذهبه فى التصوف الأمر الذى أدى الى تجريحه بعد أن كان ثقة مقبولا . قال الامام الذهبى فيه :

" صدوق فى نفسه ،وقد نقموا عليه بعد تصوفه وتصانيفه " (٢)

ولقد اعترف ابو غدة نفسه بهذا وأورد نقد الامام ابن العربى المالكى له فى عارضة الأحوذى شرح الترمذى . (٣)

---

(١) انظر آدم متز ، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ٤٦ نقله الى العربية محمد عبد الهادى ابو ريده دار الكتاب العربى بدون تاريخ .

(٢) ميزان الاعتدال ج١ ص١٩٩ / ٢٠٠

(٣) انظر رسالة المسترشدين ص٤٢ وعارضة الاحوذى ج٩ ص٢٠١

الفصل الثانى

المكاشفات كما يراها الصوفيـة

تعتبر المكاشفات بمثابة الأساس الذى يقوم عليه البناء الصوفى لأنه يقوم على الكشف والعيان لا على النظر والبرهان .

يقول النورى :

"ولا يخفى أن مستند الصوفية هو الكشف والعيان لا النظر والبرهان فانهم لما توجهوا الى الحق بالعزيمة الكاملة وتفريغ القلب بالكلية عن جميع التعلقات الكونية والقوانين العلمية مع المواظبة مع تلك العزيمة ودوام الجمعية منّ الله عليهم بنور كاشف يريهم حقائق الأشياء كما هى ، ونسبة العقل الى هذا النور ، كنسبة الوهم الى العقل .

فكما يمكن ان يحكم العقل بصحة ما لا يدركه الوهم كوجود موجود مثلا لا يكون خارج العالم ولا داخله كذلك يمكن ان يحكم ذلك النور الكاشف بصحة ما لا يدركه العقل كوجود حقيقة مطلقة محيطة لا يحصرها التقييد ولا يقيدها التعيين) (١) فالكشف عند الصوفية هو طريق المعرفة الصحيحة والوصول الى الحقيقة ، وما يتوصل اليه عن طريق الكشف لا مجال للطاعن فيه اذ كانت نسبة الكشف الى العقل كنسبة العقل الى الوهم . والمكاشفة فى عبارة دقيقة موجزة تعنى :

" الحضور الذى لا يدخل فى التعبير ، فهى عبارة عن حضور القلب فى شواهد المشاهدات وعلاقتها دوام التحير فى كنه عظمة الله ، والعارف فى المحاضرة متفكر فى الأفعال وفى المكاشفة متحير فى الجلال) (٢)

وعرف الجرجانى المكاشفة بمثل هذا اذ قال هى : "حضور لا ينعت بالبيان" (٣)

---

(١) عبد الواحد الملقب بواحد الدين النورى ، مجموع ثلاث رسائل فى التصوف ورقة ٧/٦ مخطوطة بمكتبة مكة المكرمة تحت رقم ٧ تصوف .

(٢) تاريخ التصوف الاسلامى ص ٤٠٩

(٣) التعريفات ص ١١٦ ط التونسية .

المعرفة عند الصوفية :

لقد بدأ الكلام في المعرفة بداية بسيطة شأنه كشأن كثير من المصطلحات الصوفية تبدأ بسهولة ثم تتطور شيئا فشيئا حتى تصل الى درجة التعقيد .

فالقشيري يقول في المعرفة :

" وعند هؤلاء القوم ـ يعني الصوفية ـ المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى في معاملاته ، ثم تنقى من أخلاقه الدنيئة وآفاته ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظى من الحق تعالى بجميل اقباله ، وصدق الله تعالى في جميع احواله وانقطع عن هواجس نفسه ولم يصغ بقلبه الى خاطر يدعوه الى غيره ، فاذا صار من الخلق أجنبيا ومن آفات نفسه بريا ، ومن المساكنات والملاحظات نقيا وأدام في السر مع الله تعالى مناجاته ، وحق في كل لحظة اليه رجوعه وصار محدثا من قبل الحق سبحانه بتعريفه أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره ، يسمى عند ذلك عارفا وتسمى حاله معرفة ، وفي الجملة بمقدار أجنبيته عن نفسه يحصل معرفته بربه عز وجل " (١)

فالعارف في نظر القشيري عارف بالله وصفاته ، ملتزم شرعه ، متخلق بالأخلاق الفاضلة مقبل على الله في جميع احواله ، لا يشغله عن الحق ، فيحظى من الله بتعريف أسراره فيما يجريه من أقداره .

وحال هذا الشخص تسمى " معرفة " وبمقدار تفريغ قلبه عن غير الله تكون معرفته بربه .

فالطريق عند هؤلاء المتصوفة الى المعرفة الصحيحة والعلم بالأشياء على ما هي عليه ليس اعمال الفكر ، ولا ترتيب المقدمات توصلا الى مجهول ولا البحث عما بين الأشياء من روابط وانما الطريق الى المعرفة الصحيحة والعلم بحقائق الوجود على ما هي به هو تزكية النفس من الصفات المذمومة ، وقطع العلائق البدنية ،

---

(١) الرسالة القشيرية جـ٢ ص٦٠١

وعدم الالتفات الى تطلعات النفس وشهواتها التى هى حجاب يحول بينها وبين المعرفة .

يقول ابن خلدون :

" ان القلب عند تطهره وتزكيته من الصفات المذمومة ، ثم اخماد القوى البشرية ، ومحاذاة جانب الحق به ، يرتفع عنه الحجاب ، ويتجلى فيه النور الالهى فتنكشف له بذلك اسرار الوجود علوية وسفلية وملكوت السموات والأرض وتتضح له معانى العلوم والصنائع وتنحل جميع الشكوك والشبه ، ويطلع على ضمائر القلوب ، واسرار الوجود ، وتنكشف له معانى المشتبهات الواردة كلها .. فعلم المكاشفة ان يرتفع الغطاء حتى تتضح جلية الحق فى هذه الأمور كلها اتضاحا يحصل به اليقين الذى يجرى مجرى العيان من غير تعلم واكتساب" (١)

وعلى هذا فقد اشترطوا لتحصيل المعرفة الكاملة ، خلاص النفس من العلائق البدنية والتنقية من الشواغل وتطهرها من الرذائل وتوجهها الى الذات ، الالهية ، وتجميع كل قواها لاحداث لحظة الانتباه لتلقى العرفان ، ويكون هذا العرفان فى اصفى مراتبه بين العقول العليا ويتم هذا الادراك عن طريق الأشعة النورانية الفائضة ويزداد التنوير أو الاشراق كلما اقترب العقل من نور الأنوار ، وغاية الأنوار الاتصال بالواحد عن كثب فيزداد ما يستقبله من اشراق وعرفان فتبلغ النفس أسمى مرتبة حينما تتشبه بالأنوار العليا وتحيا بجانبها فى عالم الثبات والأبدية ولكنها لا تزال مشوقة بسبحات وجه الواحد وغناه المطلق. (٢)

وقد تأخذ المعرفة عند الصوفية لونا آخر غير تجلى النور الالهى الذى يرى الانسان أسرار الوجود ، فما ليس فى نفس الانسان لا سبيل له الى معرفته اذ كان العارف هو "العالم الاصغر" وهو مثال "صورة الله" واذا عرف الانسان نفسه على حقيقتها عرف ربه اذ كان مثال "صورة الله".

---

(١) شفاء السائل ص ٥٢/٥٣

(٢) انظر اصول الفلسفة الاشراقية ص ٣٠٥

يقول نيكلسون :

" والحقيقة المسلمة عند الصوفية ان ما ليس في الانسان لا سبيل الى معرفته ، والعارف الرجل المختار لا يستطيع ان يعرف الله ، ولا أن يعرف شيئا من أسرار الكون ما لم يجدها جميعا في نفسه فهو " العالم الأصغر " وهو " مثال صورة الله " وهو " باصرة الدنيا ، يرى الله فيها اثاره هو " وفي معرفته لنفسه — كما هو على حقيقته — معرفة الله .

وهو يعرف نفسه بمعرفة الله فالله أقرب الى كل شيء من معرفة الشيء لنفسه " (١)

ولقد كان لهذا أثره في كلام ابن عربي وأمثاله فما دام الله معروفا لا بد أن يكون في الانسان وما دام اذا عرف الانسان نفسه عرف ربه ، فاذا حصلت له المعرفة الكاملة كان على حق فيما يعبده ، وان ظهر المعبود لعارف في صورة غير التي يظهر فيها لعارف آخر وحينئذ تتساوى الأديان اذ صاحب كل دين لا يرى الا معبودا واحدا حقيقيا بالعبادة فيرى ابن عربي ان هؤلاء الذين يعبدون الله في الشمس يرون الشمس ، والذين يعبدونه في الاحياء يرون أحياء والذين يعبدونه في الجماد ، يرون جمادا والذين يعبدونه وجودا صمدانيا " ليس كمثله شيء " يرون ما لا مثيل له ثم يقول فلا تصل نفسك بعقيدة بعينها كل الوصل فتكفر في البقية فان وصلت نفسك فقدت شيئا كثيرا ، لا : بل لم تستطع أن تعرف الحق الصراح في الأمر ، والله هو موجود في كل زمان ومكان قادر على كل شيء ، لا تحده عقيدة واحدة ، وهو يقول :

﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ (٢)

وكل انسان يجد ما يعتقد وفي تمجيده ، تمجيد لنفسه ، وهو لذلك يعيب عقائد غيره التي لو أنصف ما عابها ، فان غ عيبه لها قائم على جهل ، ولو أدرك قول الجنيد : " لون الماء لون انائه " لم يدخل نفسه في عقائد الناس ، و لأدرك قول الله في كل معتقد " (٣)

---

(١) الصوفية في الاسلام ص ٨٣/٨٤ (٢) البقرة : ١١٥

(٣) المصدر السابق ص ٨٦

بم تكون تزكية النفس :

وإذا كان المتصوفة لم يحددوا بوضوح ما تكون به تزكية النفس فان الغزالي يرى انها تكون بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء في جميع احوالهم ، وهذا رأي حسن ، ولكن الغزالي نفسه لم يلتزم به .

عدم تحدث العارف بمعارفه لجميع الناس :

ثم يرى كثير من المتصوفة أيضا :

ان بعض ما يصل اليه العارف بالله لا يصح التحدث به مع جميع الناس اذ كان بعض ما يصل اليه فوق ما يصل اليه بعقله ، فهو يرى ان وراء طور العقل طورا اخر تنفتح فيه عين اخرى ، يبصر بها الغيب وما يكون في المستقبل من امور ، العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز عن ادراك المعقولات وكعزل قوة الحس عن ادراك التمييز .

وهناك اذن البصيرة وموضوعها الذي ينكشف لها انما هو الغيب . (١)

يقول الغزالي في ذلك :

" فنعني بالمكاشفة ان يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور ، اتضاحا يجري مجرى العيان ، الذي لا يشك فيه ، وهذا ممكن في جوهر الانسان ، لولا أن مرآة القلب قد تراكم عليها صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا . وانما نعني بعلم طريق الاخرة ، العلم بكيفية تصقيل المرآة عن هذه الخبائث ، التي هي الحجاب عن الله تعالى ، وعن معرفة صفاته وافعاله . وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في جميع احوالهم ، فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ، ولا سبيل اليه الا بالرياضة ، وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها الا مع أهله " (٢)

---

(١) انظر محمد جواد مغنية بحث ضمن كتاب ابي حامد الغزالي في الذكرى المئوية ص٥٩٤ مهرجان الغزالي في دمشق سنة ١٩٦١م .

(٢) احياء علوم الدين جـ١ ص٢٠

بواعث التعويل على الكشف سبيلا الى المعرفة :

وقد يتساءل انسان عما دفع الصوفية الى اتخاذ الكشف طريقا للمعرفة دون التعويل على نظر العقل في التوصل الى الحقائق المجهولة ؟

والجواب على ذلك هو أن بعض الصوفية يرى ان الاحكام النظرية المستفادة بالنظر ، لا بد أن تنتهي الى مقدمات بديهية ، ولا ثقة بالبديهيات حتى ان ما يظن انه لا مجال للشك فيه ككون النقيضين لا يرتفعان ولا يجتمعان غير موثوق به لجواز ان يكون هناك حاكم يحكم بكذب ما حكمنا بأنه علم يقيني وعدم علمنا بهذا الحاكم لا ينفي احتمال وجوده ، فليس عدم العلم بالشيء دليلا على نفيه .

يقول الغزالي :

" فاقبلت بجد بليغ أتأمل المحسات والضروريات ، وأنظر هل يمكنني أن اشكك نفسي فيها ؟ فانتهى بي طول التشكيك الى أن لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسات أيضا ، وأخذ يتسع هذا الشك فيها ، ويقول : من أين الثقة بالحواس ؟ وأقواها حاسة البصر وهي تنظر الى الظل فتراه واقفا غير متحرك ، وتحكم بنفي الحركة ، ثم بالتجربة والمشاهدة ـ بعد ساعة ـ تعرف انه متحرك وانه لم يتحرك دفعة بغتة بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم يكن له حالة وقوف ، وتنظر الى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار دينار ، ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه اكبر من الأرض في المقدار وهذا وأمثاله من المحسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ، ويكذبه حاكم العقل ويخونه ، تكذيبا لا سبيل الى مدافعته ، فقلت : قد بطلت الثقة بالمحسات أيضا فلعله لا ثقة بالعقليات التي هي من الأوليات ، كقولنا العشرة اكثر من الثلاثة ، والنفي والاثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد ، والشيء لا يكون حادثا قديما ، موجودا ومعدوما ، واجبا محالا ، فقالت الحواس : بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسات ، وقد كنت واثقا بي فجاء حكم العقل فكذبني ، ولولا حاكم العقل ، لكنت تستمر على تصديقي ،

فلعل وراء ادراك العقل ،حاكما آخر ، اذا تجلى كذب العقل فى حكمه كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس فى حكمه وعدم تجلى ذلك الادراك لا يدل على استحالته " (١)

فالعلم اليقينى عند الغزالى هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ،ولا يقارنه امكان الغلط والوهم (٢) واذا كان الغزالى يشك فى العلوم النظرية الى هذا الحد الذى رأيناه — حتى جاز عنده أن يكون ما أحسسنا به على خلاف الادراك الحسى له ،وجاز أن يكون الحكم الضرورى ، حكما غير صحيح — فابن عربى وأمثاله من الصوفية لا يحطون من الادراك الحسى فحسب ، بل يرون أن المعرفة لا تكتمل ما لم تؤخذ عن الله بلا واسطة ،فعلم الانسان لا يكتمل اذا اقتصر على ما اتت به الحواس ،او ادركه العقل بالاستدلال يقول ابن عربى :

" ان الرجل لا يكمل فى مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة ،من نقل أو شيخ فلا علم الا ما كان عن كشف وشهود ،لا عن فكر وظن " (٣)

هذا وقد تأثر بعضهم بنظرية المعرفة عند بعض الفلاسفة ومن العجب أن يبلغ الشك بالغزالى هذا الحد فلا تكون الضروريات موضع ثقة عنده مع أن احتمال أن يكون ما وصل اليه العارف من القاء الشيطان ، أمر قائم فاذا زال هذا الاحتمال بأن الله لا يدع اولياء ، الذين يقتدون بأنبيائه لشيطان يلقى فى قلوبهم خلاف ما هو الحق ، اذا زال هذا الاحتمال بذلك ،فاحتمال الضروريات خلاف ما هى به ينفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم الذى أمرنا بالاقتداء به كان فيما نزل عليه تنويه بشأن العقل ، والدعوة الى التأمل والتدبر والنظر فى

---

(١) الغزالى ،المنقذ من الضلال ص٨٩/٩٠ نشر وتحقيق مع مقدمة د / عبد الحليم محمود ط ثانية سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م

(٢) انظر نفس المصدر ص ٦٩

(٣) نشأة الفلسفة الصوفية ص١٤٤/١٤٥ .

الأنفس والآفاق ،حتى انه ليجعل الذين اهطوا النظر الفكرى بمنزلة الانعام ، وهذا أمر معروف فى الشرع .

واذا كان مع هذا يقال : لاثقة بالضروريات ففيم الدعوة الى النظر حينئذ ؟ وهو لا يعول عليه الا اذا كان ينتهى الى قضايا ضرورية تفيد اليقين . نعم . نحن لا ننكر تدخل الوهم فى احكام العقل ، وأنه قد يظن ما هو وهمى أو مسلم به حكما ، عقليا ، ولذا كان من الواجب ان تعرض نتائج العقول على ما جاء به الشرع ، فان وافقت كانت حقا ، والا كان ما جاء به الشرع هو الحق وكان الخطأ فيما يظن انه عقلى وليس بعقلى ، ذلك ان النقل الصحيح لا يعارض العقل الصريح .

والذى يظهر أن الغزالى تأثر بابن سينا فى المعرفة تأثرا تاما حتى ليكاد يردد كلامه بالحرف مما أثار عليه فى ذلك تلميذه الامام أبا بكر بن العربى الفقيه المالكى فحذره من كتاب " الشفاء " كما سبقت الاشارة الى ذلك . (١)

تأثر الصوفية فى نظرية المعرفة بالفكر الفلسفى :

ثم ان الصوفية فى تعويلهم على الكشف طريقا الى المعرفة الصحيحة او لكمال المعرفة ، انما يصدرون عن فكر افلوطينى ممتزج بالغنوصية (*) حقيقته الاعتقاد بأسبقية الروح على البدن وانها كانت تحيا فى عالم المثل والحقائق المجردة ، ثم هبطت الى العالم المادى الحسى . (٢)

---

(١) انظر البحث ص ٢٥٤

(*) الغنوص او " الغنوصية " كلمة يونانية الأصل معناها " المعرفة " غير أنها أخذت بعد ذلك معنى اصطلاحيا ، هو التوصل بنوع من الكشف الى المعارف العليا ، او تذوق تلك المعارف تذوقا مباشرا ، بان تلقى فى النفس القاء فلا تستند على الاستدلال والبرهنة العقلية (١٨٦/١ نشأة الفكر الفلسفى الاسلامى) ط سابعة دار المعارف .

(٢) انظر نشأة الفلسفة الصوفية ص ١٣٧ / ١٣٨

يقول نيكلسون :

" ومما يحملنا على الجزم بوجود أثر الفلسفة اليونانية في التصوف الاسلامي ، أن نظرية المعرفة فيه ظهرت في غربي آسيا و مصر في بلاد تأصلت فيها الثقافة اليونانية احقابا طويلة وكان بعض المبرزين فيها من اصل غير عربي . (١)

وسأكتفي هنا بذكر " المعرفة " كمثال يوضح ما ذكرناه ... فان ما يسميه الصوفية " المعرفة " ويعتبرونه من اخص خصائصهم يرادف في اللغة اليونانية كلمة " جنوسيس " التي معناها العلم بلا واسطة ، الناشيء عن الكشف والشهود وقد عرفها هذا التعريف كثير من صوفية القرن الثالث " (١)

ويقول أيضا :

" فان المقام الملحوظ الذي تحتله نظرية " المعرفة Gnosis " في تفكير الصوفية الأولين يفترض اتصالا بالغنوصية المسيحية " (٢)

ويظهر هذا الأثر جليا في كثير من فلاسفة الصوفية الذين تأثروا " بفيلون " (*) اليهودي ، واجتروا افكاره ، وفي مقدمتهم محي الدين بن عربي ، ويؤيده فيما ذهب اليه الدكتور علي سامي النشار فيقول :

" ... ونرى كثيرا من افكاره — فيلون — منبثة في كتب فلاسفة الصوفية الاسلاميين ، وان فيلسوف الصوفية محي الدين ابن عربي ، انما هو صورة اخرى من فيلون والكبالا اليهودية الغنوصية تغذت في اعماق المذهب الاسماعيلي و يعتبر هؤلاء الغنوصيون عقائدهم ، أقدم عقائد في الوجود ، وأن الغنوصية

---

(١) في التصوف الاسلامي ص٧٣/٧٤ وانظر التصوف الاسلامي بين الدين والفلسفة ص١٧

(٢) الصوفية في الاسلام ص١٩

(*) " فيلون " فيلسوف يوناني من اصل يهودي ولد بالاسكندرية حوالي سنة ٢٠ ق.م. وفلسفته مزيج من فلسفة افلاطون و من التوراة وكان له الاثر الواضح على الافلاطونية الحديثة وعلى الأدب المسيحي (نيكلسون الصوفية في الاسلام ص٢٧) وقد ابتدع التفسير الرمزي الذي تأثر به ابن عربي .

وهو الذي أول نصوص التوراة تأويلا لا يقبله العقل فأول " اله ابراهيم واسحق ويعقوب " ابراهيم ، بالعلم . واسحق بالزهد و يعقوب بالطبيعة " نشأة التفكير الفلسفي في الاسلام ج ١ ص٧٤/٧٥ " .

أقدم وحي أوحى الله به ، فانتقل من طبقة غنوصية الى طبقة اخرى ،ولا يكف انتقاله ولا ينتهي وهو يختلف عن غيره من العقائد الدينية بأن دائرتـــــه لا تتوقف أبدا ، بينما تقوم العقيدة على ألا وحـى من الله بعد الرســـول محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد احتفظ بأفكار هؤلاء الغنوصيين مجموعة من الكهان والسحرة معلنين ان بيدهم مفاتيح الاسرار الالهية ،وأسرار القدس الأعلى ، وأن الغنوص الخلاص الابدى ،ذلك أنه الوحـى المتجدد والفيض الذى ينبعـث دائما من الملأ الاعلى ولم يحدد الباحثون موضع ظهوره بالدقـة هل أتى من فارس او من الهند . (١)

وأرجح انه أتى من فارس لأن المذهب الاسماعيلى الباطـنى متمثلا فـى اخوان الصفا هو الذى صبغ الفكر الصوفى بهذه الصبغة الاجنبية،والفلاسفة الاسلاميون هم واسطة هذا التأثر .

فالكـندى يقول :

" والنفس بسيطة جوهرها من جوهر الله ،وهـى نور من نـوره ،

واذا فارقت البدن انكشفت لها الأشياء كلها وصارت شبيهة بالله .

والجرى وراء الملذات يحول دون الأشياء الشريفة ،واذا انصقلت النفس فى حقائق الأشياء ظهرت فيها الأشـياء كما تظهر فى مرآة صقـلة ، واذا فارقت البدن التذت لذة كـبيرة " (٢)

ويقول الفارابى :

" ان لك منك غـطاء ،فضلا عن لباسـك من البدن فاجتهد ان ترفـع عـنك الحجاب وتتجرد فحينئذ تلحق فلا تسأل عما تباشره ، فان ألمـت فويل لك ،وان سلمت فطوبى لك وانت تكون كأنك فى صقع الملكوت ،فترى ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " (٣)

---

(١) انظر نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام جـ١ ص ١٨٦

(٢) الكندى ،رسائل الكندى الفلسفية رسالة ابى يعقوب بن اسحق الكـندى فى القول فى النفس ص٢٧٤ تحقيق د / ابى ريده دار الفكر سنة ١٩٥٠م

(٣) ابراهيم بيومى مدكور ،فى الفلسفة الاسلامية ص٣٦ ط ثانيا دار المعارف سنة ١٩٦٨

وابن سيناء — اكثر الفلاسفة الاسلاميين نزوعا الى جعل الاشراق ثمرة للبحث النظرى ، والتأمل الفلسفى والمجاهدات الذاتية للتخلص من حجب النفس الظلمانية المتمثلة فى البدن ، وملذاته فقد صرح بأن الانسان : " اذا كان كامل العلم والحكمة والعمل الصالح ، انجذب الى الأنوار الالهية ، وأنوار الملائكة والملأ الاعلى انجذاب ابرة الى جبل عظيم من المغناطيس ، وفاضت عليه السكينة ووقعت له الطمأنينة فنودى من الملأ الاعلى :

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ﴾

كما يرى ان النفس الناطقة — كمالها الخاص بها — أن تصير عالما عقليا مرتسما فيها صورة الكل ، والنظام المعقول فى الكل ، والخير الفائض فى الكل ، مبتدئا من مبدأ الكل ، سالكا الى الجواهر الشريفة ، فالروحانية المطلقة ثم الروحانية المتعلقة نوعا من التعلق بالأبدان ، ثم الأجسام العلوية بهيئاتها وقواها ، ثم يستمر كذلك حتى تستوفى فى نفسها هيئة الوجود كله ، فتنقلب عالما معقولا موازيا للعالم الموجود كله ، مشاهدا لما هو الحسن المطلق ، والخير المطلق ، والجمال الحق ، ومتحدا به ومنتقشا بمثاله و هيئته ومنخرطا فى سلكه ، وصائرا من جوهره) (٢)

فالنفس الانسانية عند هؤلاء الفلاسفة جوهر بسيط ، يشارك العالم العلوى — العقول المجردة والنفوس السماوية — فى التجرد ، فبحكم هذه المشاركة تنجذب النفس الناطقة الى الملأ الأعلى ، اذا صفت وتجردت من العلائق البدنية بالرياضة والمجاهدات ، وتتصل به ، فتنتقش مافيه من صور فيها ، كمرآة تحاذى بها مرآة منتقشة فيها صور ، فان ما فى احدى المرآتين من صور يظهر فى الأخرى ،

---

(١) الفجر : ٢٧ — ٣٠

(٢) ابن سينا : كتاب النجاة القسم الثالث ص٢٩٣ ط ثانية ١٣٥٧ هـ/١٩٣٨ م مصطفى الحلبى . وانظر الاشارات والشبهات له جـ٤ ص٩٩ وما بعدها بتحقيق د / سليمان دينار دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨ م .

وبهذا يبدو التشابه جليا بين نظرية الكشف عند الصوفية وبين الفكر الفلسفي وكلا هما كما سبق القول مدين للافلاطونية الحديثة — فالصوفية تكاد تكون ترداد لما قاله الفلاسفة من قبل حيث عولوا في الكشف على الرياضة والزهد واماتة الشهوات ، فمن اخذ نفسه بهذا ينكشف له الحجاب ويتجلى له النور الالهي الكاشف لحقائق الأشياء ، فتظهر له الأشياء على ما هي عليه .

كما عول الصوفية في الكشف على الرياضة والزهد واماتة الشهوات ، عدو الفراسة ضربا من المكاشفة يتولد عن الصفاء .

الفراســـة :

الفراسة في اللغة معناها : " التثبت والنظر ، وفي اصطلاح أهـــل الحقيقة : هي مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب " (١)

فهي عندهم ضرب من المكاشفة يتولد عن الصفاء الروحي ، فكلما صفت نفس الانسان كانت فراسته أصوب .

سئل النوري :

" من أين تتولد فراسة المتفرسين ، فقال : من قوله تعالى :

﴿ فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ﴾ (٢) فمن كان حظه من ذلك النور أتم كانت مشاهدته أحكم وحكمه بالفراسة أصدق ، ألا ترى كيف أوجب نفخ الروح السجود له " (٣)

ولقد بنى الصوفية تصرفاتهم وأعمالهم على هذه المكاشفة ومن ذلك قول النوري :

" أهداني ابن الانباري عباءة صوف ، فرأيت على رأس الشبلي قلنسوة تماثلها ، فوقع في قلبي أن لو كانت كلتاهما لي ، فلما هم الشبلي بالانصراف نظر الى كشأنه حين يريد أن أتبعه ، فتبعته الى داره فلما دخل أمرني أن أخلع العباءة ، فأخذها مني ثم طواها فألقى فوقها قلنسوته فأحرقهما جميعا " (٤)

---

(١) التعريفات ص ٨٩ (٢) ص ٧٢ والحجر : ٢٩

(٣) الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٤٨٤ (٤) نفس المصدر ج ٢ ص ٤٨٥

فالشبلى علم عن طريق المكاشفة ما فى نفس النورى فعامله بنقيض مطلوبه .

ويروى الجنيد قصة عن شيخه عندما رغب منه أن يعظ الناس ، والجنيد متردد ان يفعل لأنه لم يكن يرى نفسه أهلا لذلك ،فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ليلة الجمعة ، يأمره أن يعظ الناس ، فاستيقظ وقصد دار استاذه قبل أن يطلع النهار ، فلما طرق الباب فتح له " سرى " وقال : " ما صدقتنى حتى جاء لك الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبرك " .

ويروى الهجويرى القصة بزيادة ان الجنيد لما رأى النبى صلى الله عليه وسلم يأمره ان يعظ الناس خطر فى نفسه أنه أفضل من شيخه ،ولكن شيخه عندما أصبح ،أرسل احد المريدين ومعه الرسالة الاتية " انك لم تتحدث لمريدك عندما ألحوا عليك بالتحدث لهم ،ورفضت فى ذلك شفاعة شيوخ بغداد وتوسلى الخاص ،والآن وقد أمرك النبى صلى الله عليه وسلم ،فلا بد لك من طاعة أمره " .

فقال الجنيد : فعرفت أن مرتبة " سرى " أعلى من مرتبتى فذهبت اليه فطلبت منه العفو وسألته كيف عرفت أننى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ؟ فقال : انى رأيت الله فى المنام فأخبرنى انه ارسل اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمرك بالخروج الى الوعظ .

ويعلق الهجويرى على هذه القصة بقوله :

" ان المشائخ على علم دائم بالأحوال الباطنة عند مريديهم (١)

ففى حادثة النورى التى أحرق فيها الشبلى العباءة والقلنسوة أصدق دليل على جهل بعض الصوفية بقواعد الشرع فالرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن اضاعة المال واتلافه فكيف يحق للشبلى ان يحرق هذه الثياب وفى احراقها اتلاف لمال منهى عن اضاعته .

وفيما داربين الجنيد وشيخه ،محاولة لتقرير وتأكيد ان مقام الشيخ أعلى من مقام التلميذ حيث أخبر الله الشيخ انه أرسل الى التلميذ رسوله ليأمره بالوعظ .

---

(١) انظر التصوف الاسلامى وتاريخه ص١٦٣/١٦٤

وفى دعوى أن مرتبة الشيخ اعظم من مرتبة المريد مطلقا من المفسدة والتقرير بالعامة ما فيه .

موقف الفقهاء والمتكلمين من نظرية المعرفة عند المتصوفة :

شن الفقهاء والمتكلمون هجوما عنيفا على مذهب الصوفية فى المعرفة فقال الفقهاء :

" لو ثبتت العلوم بالالهام لم يبق للنظر معنى " (١)

وهاجم ابن رشد الفيلسوف الذى يرجح الاستدلال العقلى — مذهب الصوفية فى المعرفة قائلا :

" وأما الصوفية فطرقهم فى النظر ليست طرقا نظرية " ، أعنى مركبة من مقدمات وأقيسة وانما يزعمون أن المعرفة بالله وبغيره من الموجودات شئ يلقى فى النفس عند تجريدها من العوارض الشهوانية واقبالها بالفكرة على المطلوب ، ويحتجون لتصحيح هذا بظواهر من الشرع كثيرة مثل قوله تعالى :

﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ (٢)

وقوله تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ (٣)

ومثل قوله تعالى ﴿ ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ (٤)

الى أشباه ذلك كثيرة يظن أنها عاضدة لهذا المعنى .

ونحن نقول :

ان هذه الطريقة وان سلمنا وجودها ، فانها ليست عامة للناس بما هم ناس .

---

(١) الشوكانى : ارشاد الفحول ص٢٣٣

(٢) البقرة : ٢٨٢

(٣) العنكبوت : ٦٩

(٤) الانفال : ٢٩

ولو كانت هذه الطريقة هي المقصودة بالناس ،لبطلت طريقة النظر ، ولكان وجودها بالناس عبثا ،والقرآن كله ، انما هو دعاء للنظر والاعتبار وتنبيه على طرق النظر .

نعم لسنا ننكر أن تكون اماتة الشهوات شرطا في صحة النظر ،مثلما تكون الصحة شرطا في ذلك . لا أن اماتة الشهوات هي التي تفيد بذاتها ، وان كانت شرطا فيها ،كما أن الصحة شرط في التعلم وان كانت ليست مفيدة له" (١)

فهذا هو موقف ابن رشد من طرق المعرفة عند الصوفية ،فقد وصفها بأنها ليست نظرية ،حيث كان التجرد من العلائق البدنية ليس حركة فكرية للتوصل الى المعقولات المناسبة للمطلوب ، والصوفية يعترفون بذلك حيث يقولون :

" ان الله يمن عليهم بنور كاشف يريهم حقائق الأشياء عيانا عند صفاء النفس وتزكيتها " .

واجمال القول :

١ — ان الله سبحانه قد يمن على بعض عباده المؤمنين بعلم من لدنه كما قال صلى الله عليه وسلم : " انما انا قاسم والله يعطي " (٢) وكما قال تعالى ﴿ اتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ .

٢ — وان الاحكام الشرعية يجب أن تؤخذ مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣ — وكل ما خالف حكما شرعيا يجب رده ويعلم أنه من القاء الشيطان ،فما كان عن الله لا ينافي ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤ — ومن هذا يتضح أنه لا وجود لحقيقة تناقض الشريعة ، فتأويل ظواهر الشرع بدعوى مصادمتها لما هو حقيقة لا يجوز ، بل

---

(١) ابن رشد ،مناهج الأدلة في عقائد الملة ص١٥٠ تحقيق مع مقدمة للدكتور محمود قاسم ط،ثالثة بدون تاريخ — الانجلو المصرية .

(٢) البخاري كتاب العلم ،باب من يرد الله به خيرا يفقهه .

دعوى هذا كفر وضلال مبين .

وبعد فالمكاشفات قد تكون تخمينات تصدق وتكذب كما يروى عن سهل بن عبد الله انه كان جالسا فى المسجد الجامع ، اذ أخذ الحر حمامة فسقطت امامه فصاح سهل رحمك ربى " مات شاه الكرمانى " فكتب ذلك فوجده صحيحا . (١)

فما العلاقة بين سقوط الحمامة وموت شاه الكرمانى ؟

---

(١) انظر الرسالة القشيرية جـ٢ ص٤٨٦ وطبقات الصوفية لابن عبد الرحمن السلمى ص :

الفصل الثالث

الاتحاد والحلول ووحدة الوجود في الفكر الصوفي

المبحث الأول : الاتحاد :

هذا ونجد عند الصوفية ،قديما وحديثا أباطيل من أشهرها القول بالاتحاد والحلول ، والقول بوحدة الوجود فلقد ذهب جماعة من الصوفية ،الذين عولوا على المكاشفات والوجدانيات ، أى المعارف التي لا تدرك بالنظر ولا بالحس الى القول بالاتحاد والحلول ووحدة الوجود .

والقول بالاتحاد شبيه بمذهب اليعقوبية من النصارى حيث زعموا اتحاد الله بعيسى عليه السلام (١) .

وممن قال بالاتحاد ابن الفارض(*)

فهو من أشهر القائلين بالاتحاد ، وان كان بعض الباحثين يعدونه من القائلين بوحدة الشهود ،وينفون عنه القول بوحدة الوجود والاتحاد .

ومن هؤلاء الباحثين الدكتور أبو العلا عفيفي ، والدكتور عبدالقادر محمود .

يقول الدكتور ابو العلا عفيفي في تائية ابن الفارض : (ومع استثناء بعض أبيات ابن الفارض في تائيته الكبرى ـ (نظم السلوك) ـ عليها مسحة وحدة الوجود ولا نملك الا أن نعده متصوفا ينزع في حبه الالهي منزع أصحاب وحدة الشهود ،ـ لأنه يسلك طريق النظار ، كما فعل ابن عربي في اكثر ما كتب ، من وضع المقدمات واستخلاص النتائج .. ـ فلم يشهد في الوجود شيئا الا شهدالله فيه) (٢)

---

(١) انظر سعد الدين التفتازاني شرح المقاصد جـ٢ص ٥٠/٥١ المطبعة العامرة دار الخلافة سنة ١٢٧٧هـ

(*) هو : عمربن علي الشهير بابن الفارض صاحب التائية الكبرى المعروفة (بنظم السلوك) توفي سنة ٦٣٢ هـ .

(٢) التصوف الثورة الروحية ص ٢٢٨

ويقول الدكتور عبد القادر محمود :

" وقد تغلغلت نظرية محى الدين بن عربى فى مدرسته حتى تخرج منها ابن الفارض سنة ٦٣١ هـ لدى نظريته فى وحدة الشهود والحب الالهى " (١)

بيد أننا نجد شيخ الاسلام ابن تيمية يعده من الاتحادية فيقول :

"وابن الفارض من متأخرى الاتحادية صاحب القصيدة التائية المعروفة بنظم السلوك ، وقد نظم فيها الاتحاد نظما وأتقن اللفظ ، فهو أخبث من لحم خنزير فى صينية من ذهب ، وما أحسن تسميتها بنظم الشكوك الله أعلم بها ، وبما اشتملت عليه ، وقد نفقت كثيرا وقد بالغ أهل العصر فى تسميتها والاعتداد بما فيها من الاتحاد " (٢)

ومع عد ابن تيمية له من الاتحادية ، فانه قد يعده أحيانا من القائلين بوحدة الوجود ، وابن تيمية معذور فى هذا وذاك ، فكلام ابن الفارض غير بين فى تحديد رأى معين فقد يؤخذ من كلامه القول بوحدة الوجود كما يؤخذ عنه القول بالاتحاد والحلول .

ولكن الظاهر من كلامه والغالب عليه هو الاتحاد كما أشار اليه ابن تيمية ، وكما يظهر ذلك فى شعره اذ يقول :

ففى الصحو بعد المحو لم أك غيرها
وذاتى بذاتى اذ تجلت تجلت

ووصفى اذا لم تدع باثنين وصفها
وهيئتها اذ واحد نحن هيئتى

فان دعيت كنت المجيب وان أكن
منادى أجابت من دعانى ولبت

وان نطقت كنت المناجى كذاك ان
قصصت حديثا انما هى قصت

فقد رفعت تاء المخاطب بيننا
وفى رفعها عن فرقة الجمع رفعتى

(١) الفلسفة الصوفية فى الاسلام ص٤٩٦
(٢) ابن تيمية ٢ نقض المنطق ص٦٢

وجاء حديث فى اتحادى ثابت

روايته فى النقل غير ضعيفة

يشير بحب الحق بعد تقرب

اليه بنفل أو أداء فريضة (١)

ويقول ايضا :

فلا حى الا من حياتى حياته	وطوع مرادى كل نفس مريدة
و لا قائل الا بنفسى محدث	ولا ناظر الا بناظر مقلتى
ولا منصت الا بسمعى سامع	ولا باطش الا باذنى وشدتى
و لا ناطق غيرى ولا ناظر ولا	سميع سوائى من جميع الخليقة (٢)

مدى صحة نسبة القول بوحدة الشهود اليه :

أما وحدة الشهود التى ادعى انه قائل بها ،فانها معللة بطريقته فى الاستدلال ، وفضلا عن ذلك فان مسلكه الشخصى ينافى القول بوحدة الشهود .

فان وحدة الشهود عند الصوفية تقوم على وضع معين وهو أن يسلك الصوفى طريق الزهد والعبادة ،والتجرد من اللذات الدنيوية والاشتغال بالرياضة النفسية وعدم الالتفات الى ما سوى الله تعالى ، والاشتغال بذكر الله تعالى حتى يصل الى وحدة الشهود وهى ألا يشهد فى الوجود شيئا الا شهد الله فيه .

وابن الفارض لم يكن من الصوفية العباد ،وانما جمع الى مذهبه فى الاتحاد المجون والخلاعة وعدم الالتزام بآداب الشرع ، وان كان هو ومن على شاكلته لا يعترفون بالشرع كما يعزو ذلك اليهم ابن تيمية فيقول :

" وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه التلمسانى منهم وهو أحذقهم فى اتحادهم لما قرئ عليه الفصوص ،فقيل له : القرآن يخالف فصوصكم ، فقال : القرآن كله شرك وانما التوحيد فى كلامنا . فقيل له : فاذا كان الوجود واحدا فلم كانت الزوج حلالا ،والأخت حراما فقال : الكل عندنا حلال ،ولكن هؤلاء

---

(١) و(٢) ابن الفارض : التائية الكبرى

المحجوبون قالوا : حرام ، فقلنا : حرام عليكم) . (١)

ويقول ابن حجر فى لسان الميزان على لسان أحد اتباع ابن الفارض :

" دفع الى دراهم فقال : اشترلنا بها شيئا فاشتريت ، ومشينا الى الساحل حتى طلع البهنسا فطرق بابا فنزل شخص فقال : بسم الله ، وطلع الشيخ ، فطلعت معه ، واذا بنسوة بأيديهن الدفوف والشبابات ، وهم يغنون له ، فرقص الشيخ الى ان انتهى وفرغ ونزلنا وسافرنا حتى جئنا الى مصر ، فبقى فى نفسى شىء ، فلما كان فى هذه الساعة جاء ، الشخص الذى فتح له الباب فقال له : يا سيدى فلانة ماتت ، وذكر واحدة من أولئك الجوارى ، فقال : اطلبوا لنا الدلال ، وقال : اشترلنا جارية تغنى بدلها ثم أمسك أذنى ، فقال : لا تنكر على الفقراء) (٢)

ابطال القول بالاتحاد :

هذا وقد صور " السعد " فى المقاصد الاتحاد فى المسيحية بان الله متمثلا بالعلم قد اتحد بجسد عيسى ، أى انقلب وصار لحم عيسى ودمه (٣) كما زعمت اليعقوبية .

أما بعض الصوفية فقد جعلوه متحدا بالعالم كله ثم وضع السعد أن القول بالاتحاد باطل ضرورة سواء أكان بين واجبين أم ممكنين أم واجب وممكن .

لأن الشيئين اما أن ينعدما ويحدث شىء آخر غيرهما ، واما ان يستمرا موجودين ، واما أن ينعدم أحدهما دون الآخر ، ولا اتحاد فى أى صورة من الصور .

---

(١) الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان ص١٠١ تصحيح عبد الوهاب فائد ط ثانية ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م مطبعة محمد على صبيح

(٢) ابن حجر ، لسان الميزان جـ٤ ص ٣١٩ ط.موءسسة الاعلمى للمطبوعات بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧١م (٣) المقاصد جـ٢ ص٥١/ ٥٢

فانه في الصورة الأولى قد انعدما وحدث أمر ثالث ، وفى الصورة الثانية هما اثنان لاشيء واحد . وفى الصورة الثالثة لا اتحاد اصلا لأن احدهما قد انعدم فكيف يتحد المعدوم بالموجود والا كان الشيء الواحد معدوما موجودا معا ، وهذا باطل ضرورة .

ويمتاز اتحاد الواجب بغيره بوجه آخر من البطلان وهو ان يصير الواجب ممكنا ان زال وجوبه بالاتحاد او يجتمع الوجوب والامكان فى شيء واحد ان لم يزل وجوبه .

وقد بين الكتاب المبين كفر من ادعى هذه الدعوى الباطلة قال الله تعالى :

﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ﴾ (١)

ثم كر عليها بالابطال فى منهج يقنع العامة والخاصة ، اذ بين أنه يملك اهلاكه واهلاك أمه ومن فى الأرض جميعا فقال جل ذكره :

﴿ قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ﴾ (٢)

هذا : وهؤلاء الجماعة من المتصوفة كنتيجة لجعلهم المدارك الوجدانية نظريات علمية ملأوا الصحف والكتب ، بالقول بالاتحاد والحلول وقد أحسن بعض الناس الظن بهم ، فتأول ما يزعمون من الاتحاد والحلول بما يتفق مع المعقول (٣) الا ان هذه المحاولات المضنية باءت بالفشل ، بل زاد معها القول بالاتحاد والحلول غموضا الى غموضه .

---

(١) المائدة : ١٧

(٢) المائدة : ١٧

(٣) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٦

المبحث الثانى فى : بعض من قال بالحلول :

ومن أشهر القائلين بالحلول من المتصوفة الحلاج (*) حيث يرى أن جوهر الذات الالهيــة هو الحب ، فان الحق أحب ذاته قبل الخلق فى وحدته المطلقــة ، وبالحب تجلى لنفسه فى نفسه ،فلما أحب أن يرى ذلك الحب فى صورة ظاهرة أخرج من العدم صورة من ذاته لها جميع صفاته وأسمائه فكانت هذه الصورة الالهية هى آدم الذى تجلى الحق فيه وبه .

ولكن الحلاج يفرق بين الطبيعتين الالهية والبشريــة وهما لا تتحدان فى نظره حتى فى حالة الاتصال الصوفى بل يمتزج اللاهوت فى الناســــوت كما تمزج الخمر بالماء ـ على حد تعبيره هـو ـ

(*) الحلاج : هو أبو مغيث الحسين بن منصور بن محمى الحلاج ولد سنة ٢٤٤ هـ فــى الطور شمال شرق البيضاء فى مقاطعة فارس بجنوبــى ايران قيل سمى الحلاج نسبة الى حلج القطن ،وهو المشهور أو لأنه كان يخبر عن اسرار الناس ،ويكاشفهم بما فى ضمائرهم وقيل لان اباه حلاجا ، ويروى اخرون أنه عرف به لانه جلس يوما فى حانوت حلاج ، واستقضاه شغلا فقال الحلاج انى مشغول بالحلج ،فقال له : امض فى شغلى حتى احلج عنك فمضى الحلاج صاحب الحانوت فصار قطنه محلوجا بخارقة من الحسين بن منصور فسمى لذلك الحلاج ، تنقل الحلاج بين مشائخ الطرق واخيرا مزّق الخرقة والمرقعــة وهام على وجهه حتى بلاد الصين ،واتهم بالدجل والشعوذة ، وحج ثلاث مرات وفى الثالثة والاخيرة رجع الى بغداد مصرحا برغبته ان يموت كافرا بشريعة الاسلام ، وأقام فى بيته كعبة مصغرة ،وفى الليل كان يذهب الى القبور يصلى عندها واختلف الناس فى امره ولا يزالون مختلفين فمن يدعى انه من كبار الأولياء ومن يحكم بكفره وزندقتــه وانحلاله وانحرافه وقوله بالحلول والاتحاد وحكم بردته وقتله سنة ٣٠٩

انظر الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد جـ٨ ص١١٤ ومابعدها وانظر التصوف الاسلامى وتاريخه ص١٣٠ وانظر البداية والنهاية جـ١١ ص٣٨ والسمعانى ،الانساب جـ٤ / ١١٢ ـ

ولهذا يصيح الصوفى المتأله انا الحق (١)

بل ان القول بالحلول أخذ من الحلاج فكره ويبدو واضحا فى شعره ونثره .

يقول الحلاج :

مزجت روحك فى روحى كما ... تمزج الخمرة بالماء الزلال

فاذا مسك شىء مسنى ... فاذا انت انا فى كل حال (٢)

ويقول :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا

فاذا ابصرتنى أبصرته ... واذا أبصرته ابصرتنا (٣)

ويقول :

أنت بين الشغاف والقلب تجرى ... مثل جرى الدموع فى أجفانى

وتحل الضمير جوف فؤادى ... كحلول الأرواح فى الابدان (٤)

ويصرح قائلا :

" من رآنى فقد رأى الرب " (٥)

<u>الحلول ما هو ؟</u>

قال الطوسى فى تعليقه على محصل الرازى :

المعقول من الحلول عند الجمهور قيام موجود بآخر على سبيل التبعية بحيث لا يتعين الحال ولا يتحقق الا بالمحل (٦)

وعرفه الدكتور أبو العلا عفيفى :

بأنه " مذهب يقول بوجود حقيقتين الالهية والبشرية تحت ظروف خاصة فهو (اثنينى) ".

---

(١) انظر فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص ٨٥ وانظر الطوسين ص ٢٩

(٢) الطوسين ص ١٣٤ وانظر فى التصوف الاسلامى ١٣٤ وتاريخ بغداد جـ٨/ ١٢٩

(٣) ديوان الحلاج ص ٨٢ والبداية والنهاية ١١/ ١٣٤

(٤) ابو عبد الرحمن السلمى طبقات الصوفية ت/ نور الدين شريبة ص ٣٠٩

(٥) د / عرفان عبد المجيد ، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ص ١٠٤

(٦) من املاء الشيخ المرحوم محمد يوسف الشيخ ولم اعثر على المرجع فى المكتبات الموجودة هنا

(٧) من أين استقى محى الدين بن العربى فلسفته الصوفية ؟ ص

اثر المسيحية فى القائلين بالحلول :

يعتبر مذهب الحلول دخيلا على الاسلام ، والقائلون به متأثرين بالمسيحية التى ظهر أثرها كالشمس فى التصوف حيث ان ابراهيم بن أدهم يعترف أنه تلقى المعرفة من الرهبان ،كما يورد ذلك ابن الجوزى فيقول :

" عن ابراهيم الحنظلى قال سمعت بقية بن الوليد يقول ، سمعت ابراهيم بن أدهم يقول : تعلمت المعرفة من راهب يقال له : سمعان ، دخلت عليه فى صومعته فقلت له يا سمعان ،منذ كم أنت فى صومعتك هذه ؟ قال : منذ سبعين سنة ، قلت : ما طعامك ؟ قال : يا حنفى ما دعاك الى هذا؟ قلت : احببت أن اعلم ، قال : فى كل ليلة حمصة ،قلت : فما الذى يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة ؟ قال : ترى الذى بحذائك ؟ قلت نعم . قال : يأتوننى فى كل سنة يوما واحدا ، فيزينون صومعتى ويطوفون حولها يعظموننى بذلك ،وكلما تثاقلت نفسى عن العبادة ذكرتها تلك الساعة فأنا احتمل جهد سنة لعز ساعة ، فاحتمل يا حنفى جهد ساعة لعز الأبد فوقر فى قلبى المعرفة .

فقال : أزيدك قلت : نعم ، قال :أنزل عن الصومعة فنزلت ، فأدلى الى ركوة فيها عشرون حمصة فقال لى : أدخل الدير ،فقد رأوا ما أدليت لك ، فلما دخلت الدير ،اجتمعت النصارى ، فقالوا : يا حنفى ماالذى أدلى اليك الشيخ ،قلت : من قوته ، قالوا : وما تصنع به ؟ نحن أحق به ساوم قلت : عشرون دينارا ،فأعطونى عشرين دينار ،فرجعت الى الشيخ فقال : اخطأت لو ساومتهم عشرين ألفا لأعطوك ، هذا بعز من لا يعبده كيف تكون بعز من يعبده يا حنفى اقبل على ربك " (١)

ففى هذا النص يصرح ابراهيم بن أدهم بأنه تلقى المعرفة عن راهب .

---

(١) تلبيس ابليس ص ١٥٢ / ١٥٣ وانظر ابراهيم إبراهيم هلال ، التصوف الاسلامى بين الدين والفلسفة ص ٢/٣

ويقول ابن خلدون : وقد ادعى الحلول طائفة من النصارى فقالوا بحلول الله تعالى في المسيح ، وعبارتهم ظهر اللاهوت في الناسوت كما يظهر الملك في صورة البشر ، ومذهب هذه الفرقة من المسيحيين هو مذهب الشيعة في الأئمة وقد كان سلف الصوفية المنحرفة مخالطين للاسماعيلية القائلين بالحلول والوهية الأئمة فتأثروا بهم (١)

ويؤكد تاثر الصوفية بالمسيحية الدكتور أبو العلا عفيفي فيقول :

" أما التصوف الاسلامي ، فقد كان لبعض العقائد المسيحية أثر فيه فقد قال بعض الصوفية بالحلول بالمعنى المسيحي كالحسين بن منصور الحلاج الذى يقول :

" سبحان من أظهر ناسوته — سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا لخلقه ظاهرا — في صورة الاكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه — كلحظة الحاجب بالحاجب (٢)

ومما تقدم من النصوص ، يتجلى لنا ان نظرية الحلاج التى تشير الى مذهبه القائل بثنائية الطبيعة الالهية ، اللاهوت ، والطبيعة البشرية الناسوت ، هما اصطلاحان أخذهما الحلاج من المسيحيين السريان الذين استعملوهما للدلالة على طبيعة المسيح . (٣)

هذا ولقد سبق القول بأن مذهب الحلول بدأ مسيحيا ثم قال به الشيعة ثم انتقلت عدواه منهم الى الصوفية ، ولذا نجد سعد الدين التفتازانى بعد أن ذكر الفرق الغالية القائلة بالاتحاد والحلول من المسيحيين اتبعها القائلين بالحلول من المنتمين الى الاسلام فقال :

---

(١) انظر المقدمة ص٤٧٣

(٢) التصوف الثورة الروحية ص١٣٤

(٣) انظر التصوف الاسلامي وتاريخه ص١٣٤

" واما المنتمون الى الاسلام فمنهم غلاة الشيعة القائلون بانه لا يتمنع ظهور الروحانى فى الجسمانى كجبريل فى صورة دحية الكلبى ، وكبعض الجن والشياطين فى صورة الاناسى ، ولا يبعد أن يظهر الله فى صورة الكاملين وأولى الناس بذلك على بن أبى طالب رضى الله عنه وأولاده المخصصون الذين هم خير البرية ...

ومنهم بعض المتصوفة القائلين بأن السالك اذا امعن النظر فى السلوك وخاض معظم لجة الوصول فربما يحل الله فيه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ـ كالنار فى الجمر بحيث لا تمايز ، أو يتحد به بحيث لا اثنينية ولا تغاير وصح ان يقول : ـ هو أنا ، وأنا هو . وحينئذ يرتفع الأمر والنهى ويظهر من الغرائب والعجائب ما لا يتصور من البشر .

وفساد الرأيين غنى عن البيان) (١)

بل لم يقتصر أمر الحلول عندهم فى الشخص الواصل فحسب بل يحل فى جميع الأشياء .

يقول الأشعرى :

" وفى بعض النساك من الصوفية من يقول بالحلول ، وان البارى يحل فى انسان او سبع وغير ذلك من الاشخاص ، وأصحاب هذه المقالة اذا رأوا شيئا يستحسنونه قالوا لا ندرى لعل الله حل فيه ، ومالوا الى طرح الشرائع ، وزعموا أن الانسان ليس عليه فرض ولا يلزمه عبادة اذا وصل الى معبوده " (٢).

القول بابطال الحلول :

هذا وبعد أن ذكر السعد مذهب الحلول اورد الحجج الاتية على بطلانه فقال :

الواجب لا يتحد بغيره ولا يحل فيه اما الاتحاد فلما سبق (١) ... وأما الحلول

(١) شرح المقاصد جـ٢ ص ٥١/ ٥٢

(٢) انظر ص ٢٩٤ من البحث وما بعدها

فلوجوه :

الأول : الحال فى الشىء يفتقر اليه فى الجملة سواء كان حلول جسم فى مكان او عرض فى جوهر أو صورة فى مادة ، كما هو رأى الحكماء او صفة فى موصوف ، كصفات المجردات . والافتقار الى الغير ينافى الوجوب .

فان قيل : قد يكون حلول امتزاج كالماء فى الورد ،

قلنا : ذلك من خواص الاجسام ، ومفض الى الانقسام وعائد الى حلول الجسم فى المكان .

الثانى : انه لو حل فى محل فاما مع وجوب ذلك ، وحينئذ يفتقر الى المحل ويلزم امكانه وقدم المحل ، بل وجوبه لأن ما يفتقر اليه الواجب اولى بأن يكون واجبا ، واما مع جوازه وحينئذ يكون غنيا عن المحل ، والحال يجب افتقاره الى المحل فيلزم انقلاب الغنى عن الشىء محتاجا اليه هكذا قرره الامام رحمه الله .

الثالث : ان الحلول فى الغير ان لم يكن صفة كمال وجب نفيه عن الواجب وان كان لزم كون الواجب مستكملا بالغير وهو باطل وفاقا .

الرابع : انه لو حل فى شىء لزم تحيزه لأن المعقول من الحلول باتفاق العقلاء هو حصول العرض فى الحيز ، تبعا لحصول الجوهر . أما صفات البارى عز وجل ، فالفلاسفة لا يقولون بها ، والمتكلمون لا يقولون بكونها أعراضا ، ولا بكونها حالة فى الذات ، بل قائمة بها ، بمعنى الاختصاص الناعت .

الخامس : انه لو حل فى جسم على ما يزعم الخصم ، فاما فى جميع أجزائه فيلزم الانقسام أو فى جزء ، فيكون أصغر الأشياء وكلاهما باطل بالضرورة والاعتراف .

السادس : لو حل فى جسم والاجسام متماثلة ... لجاز حلوله فى أحقر الاجسام وأرذلها فلا يحصل الجزم بعدم حلوله فى مثل البعوضة مثلا وهذا باطل بلا نزاع" (١)

---

(١) شرح المقاصد جـ٢ ص٥٠/٥١

وساق الآمدى ثلاثة مسالك فى ابطال القول بالحلول منها مسلك خاص فى ابطال حلوله فى بعض الأجسام دون بعض كما هو عند النصارى وبعض المنتسبين الى الاسلام ، فقال :

اتفق العقلاء وارباب الملل على استحالة حلول ذات البارى وصفاته فى محل •

واستدل لذلك بثلاثة مسالك :

المسلك الأول :

أنه لو حلت ذاته فى محل ، فذلك المحل ، اما ان يكون قديما أو حادثا ، لا جائز ان يكون قديما لما سيأتى فى بيان حدوث كل موجود سوى الله تعالى •

وان كان حادثا ،فقبل حدوثه ، اما ان يكون الرب محتاجا فى وجوده الى حلوله فى ذلك المحل أو لا يكون محتاجا اليه • فان كان الأول فهو محال ، لثلاثة أوجه :

الأول : أنه يلزم منه خروج الرب تعالى عن كونه واجب الوجود وهو محال •

الثانى : أنه يلزم منه اما قدم المحل ضرورة احتياج القديم اليه او حدوث القديم وكل واحد من الأمرين محال •

الثالث : أنه يلزم منه الدور ضرورة توقف وجود المحل على وجود البارى تعالى لكونه مصدر الكائنات ، وتوقف وجود الرب تعالى على حلوله فى ذلك المحل ، وهو ممتنع •

وان لم يكن الرب تعالى قبل حدوث ذلك المحل محتاجا الى حلوله فيه ، فبعد حدوثه ، اما أن يكون محتاجا اليه ،أو لا يكون محتاجا اليه •

فان كان محتاجا اليه ففى حالة احتياجه اليه يخرج عن كونه واجب الوجود ، وهو محال •

وان لم يكن محتاجا اليه ففى حالة حلوله فيه ، اما ان يكون قائما بنفسه ، أو بذلك المحل •

فان كان قائما بنفسه ،والمحل قائم بنفسه ،فليس القول بحلول أحدهما في الاخر أولى من العكس ، بل الواجب أن كل واحد قائم بنفسه ، و ليس محلا للآخر و لا حالا فيه . وان كان قائما بذلك المحل لا بنفسه ، فليس واجب الوجود لذاته ضرورة تفوقه بغيره وهو محال .

المسلك الثاني :

أنه لو حلت ذاته في محل ، فذلك المحل :

اما أن يكون قابلا للانقسام ،أو لا يكون قابلا للانقسام ، فان كان قابلا للانقسام ، فما حل فيه وطابقه يجب ان يكون أيضا قابلا للانقسام ، فتكون ذات الرب تعالى قابلة للانقسام ، و مركبة من أجزاء ،فكل واحد من أجزائها غيرها اذ المفهوم من الجملة يزيد على المفهوم من كل واحد من الافراد فيكون غير كل واحد من الافراد ، وهو مفتقر الى كل واحد من الافراد وما كان مفتقرا في وجوده الى غيره فلا يكون واجب الوجود لذاته .

وان لم يكن المحل قابلا للانقسام ، فيكون من الصغر والحقارة بمنزلة الجوهر الفرد فما حل فيه يكون مثله ،والرب يتعالى و يتقدس عن ذلك.

المسلك الثالث :

وهو خصيص بامتناع حلول ذات البارى عز وجل في بعض الأجسام دون بعض كما هو مذهب الحلولية .

وهو أنه لو جاز حلول ذات البارى تعالى في بعض الاجسام فلابد وان تكون ذات ذلك الجسم قابلة لحلول ذات البارى تعالى فيها ، وان تكون ذات البارى تعالى ، قابلة للحلول في ذلك الجسم ، والا كان القول بجواز الحلول مع امتناع القبول من الطرفين او من احدهما متنعا .

وعند ذلك فاما أن يكون قبول ذلك الجسم لحلول ذات البارى تعالى فيه ،وقبول ذات الله تعالى لحلولها فيه لعموم كونه جسما ،او لما به تعينه وتخصصه من الصفات الموجبة لتميزه عن غيره من الأجسام فان كان الأول فيلزم

منه جواز حلول الرب تعالى بكل جسم من الأجسام ، حتى اجسام الجمادات والحشرات والمستقذرات والنجاسات ،والرب تعالى متقدس عن ذلك.

وان كان الثاني ،فما اختص به ذلك الجسم من الصفات اما ان يكون ذلك لذاته أو لمخصص من خارج .

فان كان لذاته فالاجسام مشتركة في معنى الجسمية ، فما اختص به جاز أن يختص به غيره فيكون أيضا قابلا لحلول ذات البارى تعالى فيه.

وان كان لمخصص من خارج ، فاما أن يكون مخصصا بالطبع أو بالاختيار.

فان كان مخصصا بالطبع فهو محال لتساوى الأجسام بالنسبة اليه .

وان كان مخصصا بالاختيار فما جاز على الفاعل المختار تخصيص ذلك الجسم بما تخصص به ، جاز أن يخصص به ما هو مماثل له في الجسمية ، وعند ذلك فيجوز على ذات الرب الحلول بالنسبة الى كل جسم من الأجسام ،ويمتنع الاختصاص بالبعض دون البعض ، وعلى هذا فلا يمتنع أن يكون الرب تعالى في بدن كل من نراه من الناس ، بل فيما نشاهده من أبدان الحماوات لجواز أن يكون متصفا بما به القبولية وعدم المعرفة بذلك غير مانع من الجواز وان يكون في نفس الأمر كذلك .

فانه لا يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول في نفسه على ما سبق تحقيقه " (١)

وبعد ابطال القول بالاتحاد والحلول سنتعرض لذكر آخر درجة انتهى اليها التصوف في سلم الأباطيل وهي القول بوحدة الوجود التي سنختم بها هذا الباب .

---

(١) الآمدى أبكار الافكار ،جـ ٢ ص٥٣٨ / ٥٤١ رسالة دكتوراة تحقيق الدكتور احمد المهدى .

المبحث الثالث : وحدة الوجود فى الفكر الصوفى :

تمهيد : من الأباطيل التى أدخلها المتصوفة على الفكر الاسلامى وحدة الوجود .

وهى مذهب فلسفى يقول بالوحدة الذاتية لجميع الأشياء مع تعدد صورها فى الظاهر فهو " واحدى " بعكس مذهب الحلول الذى سبق ذكره فهو (اثنينى) (١) .

والقول فى وحدة الوجود كمذهب ميتافيزيقى يحاول تفسير الوجود قديم فابتداءً من (افلاطون) بدأت هذه الفكرة ، وهى فكرة صلة عالم الروح بعالم المادة الى أن تبلورت فى عهد افلوطين المصرى ، ثم غزت الفكر الاسلامى عندما اشربها الصوفية عن طريق اخوان الصفا ، والفلسفة الشرقية ، ثم اكتمل شكلها وأتت ثمارها الخبيثة على يد محى الدين بن عربى ، فيلسوف الصوفية .

فهى وليدة الفلسفة اليونانية حيث وضع اساسها افلاطون وأكملها افلوطين .

ففلاسفة اليونان حاولوا أن يفسروا الصلة بين عالم المادة وعالم الروح يقول الدكتور محمد البهى : (وقد سبق أن وضحنا رأى افلاطون فى : (الوجود) ومحصله انه يرى وحدة الوجود ، على معنى أن الأول ، وهو الطبيعة العليا الخيرة الكاملة متصل بالمادة التى يتكون منها هذا العالم وغير منفصل عنها ، وأن العالم تدرج فى وجوده عن هذا الأول واليه يرد فى النهاية ويتحد به) (٢)

فأفلاطون حاول أن يوجد الصلة بين عالم الروح ، وعالم المادة ، وربما كان يأمل أن يرفع الاثنينية بينهما واتخذ من نظريته ، عالم المثل أساسا لهذا التفسير وقوام فكرة المثل هذه أن يرى فى احد العالمين اصلا للآخر وشبيهها به ، فالموجودات المحسوسة ظل لهذه المثل ، واذا لم يحجب هذا الظل عن

---

(١) انظر د / ابو العلا عفيفى فى مقال له بعنوان من اين استقى محى الدين بن العربى فلسفته التصوفية ، مجلة كلية الاداب جامعة مصر سنة ١٩٣٣م

(٢) الدكتور محمد البهى ، الجانب الالهى من التفكير الاسلامى ص٢٦٦/٢٦٧ ط الجامعة دار الفكر بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م

المثل ، رأى الانسان هذا العالم " أى عالم المثل ، ومن هنا نبتت فكـــرة التجرد عن الذات ومجاهدة النفس بالرياضة ، والتفرغ للعبادة والخروج عن العلائق البدنية ، كما ظهرت أيضا نتيجة لذلك فكرة الكشف أساسا للمعرفـــة الحقيقيـة كما اشرنا اليها فيما سبق . وقنع افلاطون بهذا الانسجام الظاهرى ومحاولته ايجاد الصلة بين عالمين يبدو تنافرهما اذ صاغ وحدة بين الاثنين واستخدم لذلك الخيال ،والشعر أكثر من أن يحتكم الى العقل (١) ذلك أن المثل معان كلية والكليات لا وجود لها فى الخارج ،وانما توجـد فى الذهن فقط ، فالموجود الخارجى لا بد أن يكون مميزا مختصا يمتاز عما يشاركه فى الوجـود بصفات تخصـه .

وجـاء أرسـطو :

فحاول أيضا ايجاد صلة بين العالمين واراد فى محاولته ان يتجنب اخطاء استاذه افلاطون فى تحديده السابق لعلاقة عالم الشهادة بعالم الغيب ، فاستخدم الصورة والمادة ، كما استخدم عبارة الواجب والممكـن ،ولكـنه لم يسلم أيضا من الجنوح الى استعمال الشعر والخيال فى تصوير علاقة احد العالمين بالاخر ، لأنه يتصور ان العلاقة على نحو ان جمال الكامل غير المفتقر وهو ما عبر عنـــه بالواجب أو الصورة المحضـــة ،يجذب غير الكامل ،وهو ما عبر عنه بالممكـن أو المادة ، وبذلك يتحرك الممكن ، أى تتحرك المادة نحو الكامل شوقا اليه وطمعا فى ان يصير كاملا مثله ومن هنا كان الكامل محركا لكـنه لا يتحرك ، والا لمـــا كان كاملا و غير الكامل مفتقرا فى حركـته نحو مثله الأعـلى الى محرك ليـــس هو ذاته . (٢)

---

(١) انظر نفس المصدر ص ١٢١ ، ١٢٢

(٢) انظر الجانب الالهى من التفكير الاسلامى ، ص ١٢٢ / ١٢٣

افلوطيــن :

ثم ظهرت هذه المحاولات الفلسفية لايجاد الصلة بينعالم الغيب والشهادة فــى فكــر افلوطين المصرى فتحدث عن موجودات اربعة هى :

١ — الاول أو الواحــد

٢ — العقل

٣ — النفس الكليــة

٤ — المــادة

فالاول هو القمة العليا .

والعقل صادر مباشرة عن الاول أو عن الواحد ويعتبر صاحب المرتبة الثانية فى الوجود بعد الاول .

فوحدة الاول من كل وجه تتكـثر فى الثانى وهو العقل الآن بالاعـتبار لان مقتضى كونه عـقلا يستلزم معقولا أى يستلزم موضوعا للعقل فهنا اذن اثنينية فى التصور حدثت بعد وحدة مطلقــة كانت للاول .

وقد صدر عن الاول ،لا فى وقت و زمن كما هو الشأن المفهوم بين الموجودات المجردة ،وصدور الاقل مرتبة عن الأعلى منه مباشرة لا يقلل من جوهره ولا يسبب له ضعفا ولا نقصا ،لان المسبب للوجود لا يتاثر بكونه أوجد غـيره أو صدر عـنه غيره فهو باق فى حـاله .

والنفس الكلية ،هى التى تلى العقل فى المرتبة و هى آخر الموجودات فى عالم المجردات ، و بها تتحقق الصلة والرابطة بين المحسوس و غـير المحسوس ، ولكن مع كونها مناط الرابطة والصلة تتبع للعالم الالهى فى طبيعتها فهى تنظـــر الى العقل فوقها كموجد لها و تلقى شعاعها على العالم المحسوس و على ما فيه من حقائق موجودة و هى بحكم مركزها غير مجزأة و مجزأة .

غير مجزأة باعتبار انها كشئ مجرد غير خاضع للاتصالات المكانية .

و مجزأة باعتبار أنها تدخل فى العالم المحسوس ، و توجد فى كــل

مكان فيه ،وان كان وجودها في كل ناحية منه ككل لا انقسام في وحدته . اذ وجودها فيه ليس على سبيل التشخص ، بل كشيء صاحب حركة وكقوة مدبرة له. (١)

كان لهذا القول بوحدة الواجب المطلقة ووجود النفس الكلية في هذا العالم المحسوس ،ككل لا انقسام في وحدته — بعد أن وصل الى المسلمين عن طريق اخوان الصفا — أثره في القول بوحدة الوجود بالمفهوم الذى سبق أن بيناه يقول الرازى :

" أما الصوفية القائلون بوحدة الوجود ،فلما ظهر عندهم أن حقيقة الواجب تعالى هو الوجود المطلق لم يحتاجوا الى اقامة الدليل على توحيده ونفى الشريك عنه فانه لا يمكن أن يتوهم فيه اثنينية وتعدد من غير أن يعتبر فيه تعين وتقيد ،فكل ما يشاهد أو يتخيل أو يتعقل من المتعدد فهو الموجود الاضافى لا المطلق" (٢)

فقد رأى بعض الصوفية أن ذاتا مجردة من جميع الصفات يستحيل وجودها في الخارج ، فجمعوا بين الفكرتين ،وجود الله في الخارج ، ووحدته المطلقة بدعوى ان يكون الموجود واحدا ،وان اتخذ صورا متعددة في الظاهر.

وهؤلاء هم اصحاب وحدة الوجود وسنقصر الكلام على اشهر القائلين بها :

١ — ابو يزيد البسطامى : من اوائل القائلين بوحدة الوجود

هو طيفور بن عيسى بن سروشان ،كان جده سروشان هذا مجوسيا فأسلم (٣) وسلك الطريق على يد كردى .

---

(١) انظر الجانب الالهى من التفكير الاسلامى ص ١٢٥ / ١٢٦

(٢) الامام فخر الدين ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازى الدرة الفاخرة ص ٢٧ مطبوعة مع اساس التقديس مطبعة الحلبى سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م

(٣) السلمى ،طبقات الاولياء ص ٦٧ بتحقيق نور الدين شريبه

وهو أول من استعمل كلمة الفناء بمعناها الصوفي الدقيق ، ومن أوائل القائلين بوحدة الوجود من الاسلاميين .

قوله بالفناء :

يروى أبو نعيم انه قال :

" غبت عن الله ثلاثين سنة ، وكانت غيبتي عنه ذكرى اياه فلما جلست عنده ، وجدته في كل حال كأنه أنا " (١) ويقول :

" للخلق أحوال ولا حال للعارف ، لانه محيت رسومه ، وفنيت هويته بهوية غيره ، وغيبت آثاره بآثار غيره " (٢) ويقول :

" خرجت من الحق الى الحق حتى صاح مني فيّ يا من أنت أنا فقد تحققت بمقام الفناء في الله " (٣)

وحدة الوجود عند البسطامي :

واذا تتبعنا الأقوال التي نسبت الى أبي يزيد البسطامي في تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ، ونقلها عنه نيكلسون في كتابه " في التصوف الاسلامي وتاريخه " لوجدنا أنه من أوائل القائلين بوحدة الوجود بل من غلاتها الداعين الى رفع التكاليف (٤) اذ يقول :

" منذ ثلاثين سنة كان الحق مرآتي فصرت اليوم مرآة نفسي ، لأنني لست الآن من كنته ، وفي قولي : " أنا " و " الحق " انكار لتوحيد الحق لأنني عدم محض ، فالحق تعالى مرآة نفسي ، لأنه هو الذي يتكلم بلساني ، اما انا فقد فنيت " (٥)

---

(١) ابو نعيم الاصفهاني ، الحلية جـ١٠ ص٣٥

(٢) الرسالة القشيرية ص

(٣) في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ٢٢ نقلا عن تذكرة الاولياء جـ١ ص ١٥٥

(٤) المصدر السابق ص ٢٣ نقلا عن المصدر نفسه جـ١ ص١٣٤ — ١٧٩

(٥) نفس المصدر ص ٢٤ نفس المرجع ص ١٦٠

ويقول : " انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني " (١)

" سبحاني ما أعظم شأني " (٢)

ويقول : " خرجت من بايزيديتي كما تخرج الحية من جلدها ، ونظرت فاذا العاشق والمعشوق والعشق واحد في عالم التوحيد " (٣)

وسئل عما هو العرش ؟ فاجاب انا هو . وسئل عما هو الكرسي ؟ فأجاب أنا هو . وما هو اللوح والقلم ؟ فأجاب أنا هو . (٤)

ويروى عنه أيضا أن أحدا جاء الى صومعته وسأل : أهنا أبو يزيد ؟ فأجاب : أهنا أحد غير الله ؟ " (٥)

ويتضح من النصوص المتقدمة ان البسطامي من رواد التصوف القائلين بوحدة الوجود بل ، يرى نيكلسون أنه هو الذي أدخلها في التصوف الاسلامي ، اذ أنها كانت ذائعة ذيوعا عظيما في فارس في زمن الساسانيين ، وهذه النزعة الفارسية الهندية اعني نزعة وحدة الوجود من خصائص التفكير الشرقي (٦) ولقد سبق القول انها يونانية الأصل وان شرقت بعد ذلك واجتلبت من الشرق على به رأى بعض الباحثين .

والقول بوحدة الوجود يفضي الى سقوط التكاليف ، ولقد تجلى ذلك في اقوال ابي يزيد الاتية :

قول أبي يزيد بسقوط التكاليف :

يعتبر سقوط التكاليف نهاية الطريق عند بعض الصوفية حيث يزعمون أن الواصل الى درجة الفناء تسقط عنه التكاليف اذ يصير العابد والمعبود شيئــا

(١) في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ٢٤ نقلا عن تذكرة الاولياء جـ ١ ص ١٦٢

(٢) نفس المصدر ص ٢٤ نفس المرجع ص ١٦٨

(٣) نفس المصدر ص ٢٥ نفس المرجع ص ١٦٠

(٤) نفس المصدر ص ٢٥ نفس المرجع ص ١٥٥

(٥) الصوفية في الاسلام ص ١٤٩

(٦) انظر في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ٢٤

واحدا ، ولا يزال هذا القول وهو الوصول ، يقول به كثير من المتصوفة قديما وحديثا (١)

ويعتبر ابو يزيد البسطامي من أوائل القائلين به من المتصوفة حيث يتحدث عن رحلته الى الحج بأنه لقي في طريقه القطب ، فأمره أن يعود من حيث أتى قائلا له :

" ان الله هو ما تراه فيّ بعين قلبك لأنه اختارني بيتا له فاذا رأيتني فقد رأيته وطفت حول الكعبة " (٢) ويقول :

" وليس أفضل للرجل من أن يكون بلا شيء بلا زهد ولا علم ، ولا عمل فانه اذا كان بلا شيء كان له كل شيء " (٣)

وسئل يوما متى يتحقق الرجل بحقيقة المعرفة ، فقال : في الوقت الذي يفنى في اطلاع الحق ، ويبقى على بساط الحق بلا نفس ولا خلق " (٤)

ظهر مما سبق أن البسطامي من القائلين بسقوط التكاليف وأنه هو الذي وضع حجر الأساس لنظرية وحدة الوجود التي أكملها ابن عربي ، فاصبحت نظرية لها خطورتها على معتقد المسلمين ذلك أن نظرية وحدة الوجود التي أدخلها أبو يزيد البسطامي في الفكر الاسلامي ، لم يقو عودها ، وتؤت ثمارها الخبيثة كنظرية ذات كيان محدد الا على يد فيلسوف الصوفية محي الدين بن عربي (٥) أحد تلاميذ مدرسة

---

(١) ومن القائلين به حديثا محمود محمد طه ، زنديق من زنادقة الصوفية في السودان يترأس حركة هدم باسم الجمهوريين ، ادعى انه سيبلغ الرسالة الثانية من الاسلام لان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبلغها ، وان الصلاة وجميع التكاليف سقطت عنه لأنه وصل - وله حواريون واتباع يستهويهم باختلاط النساء - حكمت جميع الهيئات الاسلامية محليا وعالميا بردته عن الاسلام ونذكر منها (الازهر - ورابطة العالم الاسلامي والمحكمة الشرعية العليا بالسودان)

(٢) في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ١٥٧ نقلا عن

(٣) نفس المصدر ص ٤٢ نقلا عن تذكرة الأولياء ص ١٦٢

(٤) نفس المصدر ص ٤٢ = = = ص ١٦٨

(٥) محي الدين بن عربي : ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن احمد بن العربي

ابن مسرة (١) الذى نسب اليه انه قال : ان العرش هو المدبر لهذا العالم ، وأن الله تعالى أجل من ان يوصف بفعل شئ أصلا ويحتج بعبارات فى كتبه على هذا القول ، وكثير من موافقيه ينسبون اليه القول باكتساب النبوة وانها ليست هبة أصلا. (٢)

بيد أن شيخه المباشر فى هذه المدرسة هو ابو مدين (٣) فلقد عاصره ابن عربى وتتلمذ عليه . (٤)

٢ — ابن عربى :

يقول الدكتور عبد القادر محمود :

أن نظرية وحدة الوجود لدى ابن عربى نجد جذورها كما ذكرنا اجمالا فى حديثنا عن المصادر الاصلية للنظريات الصوفية فى قول (باسديو) حيث يقول فى كتاب " بكيتا " .

" أما عند التحقيق فجميع الأشياء الهية لأن " بشن " جعل نفسه أرضا ليستقر الحيوان عليها ، وجعله ماء ليغذيهم ، وجعله نارا وريحا لينميهم

=== الحاتمى وهو من ذرية عبد الله بن حاتم الطائى أخى عدى بن حاتم رضى الله عنه ولد بمرسيه الاندلس ٥٦٠هـ / ١١٦٥م وتوفى بدمشق ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م انظر ترجمته فى (الشيخ احمد بن محمد المقرى التلمسانى ، نفح الطيب ج ٣ ص ٣٦١ بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط اولى ١٣٦٧هـ / ١٩٤٩م المكتبة التجارية الكبرى . وانظر ابن كثير البداية والنهاية ج١٣ ص ٩٥٦ ، وانظر الذهبى ميزان الاعتدال ج٣ ص ٩٥٩ ، وابن حجر لسان الميزان ج٥ ص ٣١٥ ط ثانية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م ، وشذرات الذهب ج٥ ص١٩٠/ ٢٠٢ والطبقات الكبرى للشعرانى ١ / ١٦٣ ، وفوات الوفيات ٣ / ٤٧٨ـ ٤٨٢ وتراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ص ١٧٠ ط اولى سنة ١٩٤٧م .

(١) ابن مسرة محمد بن عبد الله بن مسرة ٢٦٩ ـ ٣١٨ / ٣١٩

(٢) الفصل فى الملل والاهواء والنحل ج٤ ص١٩٩

(٣) ابو مدين شعيب بن الحسن المتوفى سنة ٥٩٤ هـ

(٤) انظر الفلسفة الصوفية ص ٤١١ .

وجعله قلبا لكل واحد منهم ،ومنح الذكر والعلم وضديهما على ما هو مذكور في بند (الفيدا) تطورت هذه الفكرة في " برهمان " الازلي الأبدي (الحياة التي تدب في كل جسم) الذي يمكن ان يكون صغيرا كحبة الأرز أو كالصورة ترتسم في انسان العين ،ولكنه هو نفسه الذي يغمر العالم وهو اعظم من الزمان والهواء والسماء . (١)

ويقول الدكتور أبو العلا عفيفي : ان نظرية ابن عربي عبارة عن أمشاج لفلسفات عدة امتلأت كتبه بما استعاره من الفاظ مؤلفيها كانبادقليس وافلاطون وارسطو ،وافلوطين ،وفرفريوس ،وفليون وبما استعاره من ألفاظ المتصوفين قبله ،وألفاظ المعتزلة والأشاعرة ومن ألفاظ القرآن الكريم والحديث بل تعدى هؤلاء الى الفقهاء والنحاة والرياضيين فاخذ من اصطلاحاتهم ما راق في نظره. (٢)

واتفق الدكتوران على ان جذور النظرية افلوطينية ولكنهما اختلفا في سبيل وصول ابن عربي اليها او وصولها له ، فأبو العلا يرى أن اخوان الصفا هم وسيلة وصولها ،غير ان عبد القادر يرى انها اتته عن طريق الفلسفة الهندية وقد ذكر اختلافه هذا مع الدكتور عفيفي في كتابه الفلسفة الصوفية (٣) .

والذي يهمنا في الأمر ان ابن عربي بدأ مقلدا وصار مقلدا اذ كل من تكلم في وحدة الوجود بعده عالة عليه ،لانها كانت فكرة غير محددة فأظهرها ابن عربي ولجأ الى حيلة تقربها من اذهان المسلمين ، فعول فيها على :

١ — القرآن الكريم ،ومجموعة الأحاديث التي اعتاد الصوفية نسبتها الى الرسول صلى الله عليه وسلم .

وعن الفارابي أخذ كيفية استعمال ألفاظ من القرآن الكريم ليقابل بها

---

(١) الفلسفة الصوفية ص٤٩٧ / ٤٩٨.

(٢) د / ابو العلا عفيفي مقاله بعنوان من أين استقى محي الدين بن العربي فلسفته الصوفية ، مجلة الاداب جامعة مصر عدد مايو سنة ١٩٣٣م ص٤

(٣) انظر الفلسفة الصوفية ص٤٨٧

المصطلحات الافلوطينية مثل القلم واللوح المحفوظ والعرش ،ليقابل بها العقل الأول ،والنفس الكلية والجسم الكلى (١) ... الخ

٢ ـ بعض متقدمى الصوفية ممن تشير عباراتهم لوحدة الوجود وان لم يكن لهم مذهب فلسفى خاص مثل البسطامى ـ والجنيد ـ والحلاج . والاخير أكبر أثرا فيه. (٢)

٣ ـ بعض صوفية الاسلام ممن ليس لهم مذهب فلسفى خاص كالشبلى وأبى سعيد الخراز وغيرهم من متصوفى المشرق .

٤ ـ بعض آراء المتكلمين ،الأشاعرة منهم والمعتزلة .

٥ ـ القرامطة الاسماعيلية الباطنية وخاصة اخوان الصفا .

٦ ـ الفلاسفة الاسلاميين ممن انتحلوا مذهب ارسطاليس ممزوجا بالافلاطونية الحديثة (الفارابى وابن سينا) (٣)

والأثر الغالب من هؤلاء جميعا لاخوان الصفا ،ولم يكن ابن عربى أول ولا آخر من تأثر بفلسفتهم ، فقد تأثر بهم كثيرون من فلاسفة الاسلام ومتصوفية مثل شهاب الدين السهروردى الحلبى المقتول ،وعبد الحق بن سبعين الأندلسى وغيرهما ممن تنطق فلسفتهم الصوفية بما لاخوان الصفا من أثر بين .

ولا غرابة أن تتفق فلسفة ابن عربى مع هؤلاء فى الروح والمنحى فان العلل المتشابهة تنتج المعلولات المتشابهة . (٤)

فالاسماعيلية القرامطة من اخوان الصفا ومن على شاكلتهم صاروا همزة وصل بين المذهب الأفلاطونى الحديث ـ بعد ان اضفوا عليه من الآراء ما هو كفيل بزعزعة عقائد المسلمين ، حتى أولوا النصوص المتعلقة بالسمعيات ،واتخذوا من ذلك وسيلة لتحقيق مآربهم وهى قلب نظام الاسلام وهدم عقائده ومبادئه من أساسها

---

(١) انظر من أين استقى محى الدين بن العربى فلسفته الصوفية ص ٢١
(٢) نفس المصدر ص ٢٧/٢٨
(٣) نفس المصدر ص ١٩
(٤) انظر التصوف الثورة الروحية ص ١٨٩ .

ومن هؤلاء المتصوفة الذين صاروا يجترون هذه الأفكار التي آتت ثمارها القذرة في تفسير ابن عربي الذي سنذكر منه أمثلة ان شاء الله .

تصريح ابن عربي بعقيدته :

اختلف الباحثون حول تصريح ابن عربي بمعتقده المتمثل في وحدة الوجود فبعضهم يرى انه يصرح به في قوة وجرأة لا مواربة فيها . ومن هؤلاء الدكتور أبو العلا حيث يقول :

" يصرح ابن عربي بهذه العقيدة في عبارات قوية جريئة لا مواربة فيها " ثم يسوق من كلام ابن عربي ما يؤيد ما ذهب اليه وهو قوله :

(سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها) :

فما نظرت عيني الى غير وجهه ولا سمعت أذني خلاف كلامه (١)

وقوله :

فمن تفر وما في الكون الا هو وهل يجوز عليه " هو " أو " ماهو "
ان قلت " هو " مشهود العين تنكره أو قلت "ماهو" " فما هو " ليس الاهو "
فلا تفر ولا تركن الى طلب فكل شيء تراه ذلك الله

وقوله :

يا خالق الأشياء في نفسه انت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه فيك فانت الضيق الواسع (٢)

هذا ما أورده الدكتور عفيفي .

ويؤيد ما قاله ابن عربي في فصوصه ، فقد قال :

" ولا تحمد الا نفسك ولا تذم الا نفسك ، وما يبقى للحق الا حمد افاضة الوجود ، لأن ذلك له لا لك ، فأنت غذاؤه بالأحكام وهو غذاؤك بالوجود فتعين عليه ما تعين عليك ، فالأمر منه اليك ، ومنك اليه ، غير أنك تسمى مكلفا ، وما كلفك الا بما قلت له كلفني بحالك وما أنت عليه .

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٩ وانظر الفتوحات المكية جـ ٢ ص ٦٠٤

(٢) نفس المصدر والصفحة وانظر فصوص الحكم جـ١ ص ٨٨

ثم قال :

ويحمدنى وأحمده ، ويعبدنى وأعبده ،

ففى حال اقربه ، وفى الاعيان اجحده ،

فيعرفنى وانكره ، وأعرفه فأشهده ، (١)

وقال أيضا :

" فلا تحمد ولا تشكر الا نفسك ... انه يستحيل من العبد أن يدعو ، لأنه يشهد أحدية العين فالداعى هو المدعو ، فكيف يدعو نفسه ؟ ... ان هذا خلاصة غاية الغاية فما بعد هذا شيء ... فلا تطمع ان ترتقى فى أعلا هذا الدرج فما ثم شيء أصلا ، وان هذا انما يعرفه خلاصة خاصة الخاصة من أهل الله . (٢)

وقال :

ومن اسمائه الحسنى العلى على من ؟ وما ثم الا هو ، فعلوه لنفسه ، فالمسمى محدثات هى العلية لذاتها وليست الا هو ... فهو الأول والاخر والظاهر والباطن ، فهو عين ما بطن فى حال ظهوره وما ثم من يراه غيره ، وما ثم من يبطن عنه فهو ظاهر لنفسه باطن عنه وهو المسمى أبا سعيد الخراز وغير ذلك من أسماء المحدثات والمتكلم واحد وهو عين السامع" (٣)

فهذا كلام صريح ، بأن ليس ثمة خالق ومخلوق وعابد ومعبود ورازق ومرزوق بل الكل فى نظره واحد .

وبعض الباحثين يرى ان ابن عربى محتال ماكر يحاول نشر عقيدته تحت ستار ذكر الأنبياء ليكون فى مأمن من هجوم الفقهاء وكتابه فصوص الحكم خير شاهد على هذا .

---

(١) الفتوحات جـ١ ص ٨٣

(٢) المصدر السابق جـ١ ص ٩٦

(٣) المصدر السابق جـ١ ص ٧٦/٧٧

وحدة الأديان عند ابن عربي :

لقد أفضى القول بوحدة الوجود ، الى القول بوحدة الأديان ، بمعنى ان صاحب كل دين محق بالنسبة لمن يعبده ، ذلك ان الوجود واحد يظهر فى صور كثيرة متعددة ، فاذا ظهر لصاحب دين فى صورة لم يكن غير نفسه حين يظهر لصاحب دين آخر فى صورة أخرى .

ويؤكد هذا القول كلام ابن عربى الآتى يقول ابن عربى :

لقد صار قلبى قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توارة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالدين دينى وايمانى (١)

ويقول أيضا :

" نحن على الصراط المستقيم الذى الرب عليه لكون نواصينا فى يده ، وتستحيل مفارقتنا اياه ... ونحن معه بكونه آخذا بنواصينا ، فهو تعالى معنفسه حيث ما مشى ، فما أحد من العالم الا على صراط مستقيم " (٢)

ثم يستدل بقوله تعالى :

﴿ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ﴾

فيقول : النافذ الحكم هو الاله على الحقيقة والذى لم ينفذ حكمه ، ليس باله ، ومن هنا تعلم أن كل حكم ينفذ فى العالم انه حكم الله ، وان خالف الحكم المقرر فى الظاهر المسمى شرعا . (٣)

وعنده جميع الخلق ، كافرهم ومؤمنهم سائر الى رحمة الله تعالى ، ولا بد من وصولهم اليها . (٤)

وعلى ما انتحله من عقيدة فاسدة كانت أقواله فى التفسير .

---

(١) ترجمان الاشواق ص ٣٩ / ٤٠

(٢) فصوص الحكم جـ١ ص ١٥٨

(٣) نفس المصدر ص ١١٦

(٤) انظر نفس المصدر ص ١١٤ وانظر التعليقات جـ٢ ص ١٢٠

ابن عربي والتفسير :

فلقد حاول ابن عربي أن يخضع النصوص الشرعية لنظريته (وحدة الوجود) فلوى اعناق الايات القرآنية لتناسب فكرته ، غير آبه بلغة القرآن مما زاد نظريته بطلانا ، فيقول في قوله تعالى :

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ﴾ (اتقوا ربكم) اجعلوا ما ظهر منكم وقاية لربكم واجعلوا ما بطن منكم — هو ربكم — وقاية لكم فان الأمر ذم وحمد ، فكونوا وقائيه في الذم ، واجعلوه وقايتكم في الحمد ، تكونوا ادباء عالمين . (١)

ويقول :

﴿ فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾

... وادخلي جنتي التي بها ستري ، وليست جنتي سواك ، فانت تسترني بذاتك فلا اعرف الا بك كما انك لا تكون الا بي ، فمن عرفك عرفني ، وانا لا أعرف فانت لا تعرف ، فاذا دخلت جنته دخلت نفسك فتعرف نفسك معرفة أخرى غير المعرفة التي عرفتها حين عرفت ربك بمعرفتك اياها فتكون صاحب معرفتين .

١ — معرفة من حيث أنت .

٢ — معرفة ربك من حيث هو لا من حيث أنت .

فأنت عبد وأنت رب لمن له فيه انت عبـــد

وأنت رب وانت عبـد لمن له في الخطاب عهـد

ويقول في تفسير قوله تعالى :

﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا ﴾ أى شيئا غيرك ، فان غير الحق هو الباطل ، بل جعلته اسماءك ومظاهر صفاتك ، سبحانك ننزهك أن يوجد غيرك أى يقارن شيء فردانيتك . (٢)

---

(١) الفصوص ج١ ص ٥٦

(٢) تفسير ج ١ ص١٤١ تاويلات القاشاني ط الاميرسنة ١٢٨٣ هـ

بل انه ليغلوا فيجعل الكفر فوق الايمان ، ويجعل الكافر الذى أعرض عما جاء به الرسول اعظم منزلة من الرسول نفسه .

يقول فى تفسير قوله تعالى :

﴿ ان الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصٰرهم غشٰوة ولهم عذاب عظيم ﴾ (١)

يا محمد (ان الذين كفروا) ستروا محبتهم فىّ عنهم (سواء عليهم ءأنذرتهم) بوعيدك الذى ارسلناك به (أم لم تنذرهم) لا يؤمنون بكلامك ، فانهم لا يعقلون غيرى ، وانت تنذرهم بخلقى وهم ما عقلوه ولا شاهدوه ، وكيف يؤمنون بك وقد ختمت على قلوبهم ، فلم أجعل فيها متسعا لغيرى وعلى سمعهم فلا يسمعون كلاما فى العالم الا منى ، (وعلى أبصٰرهم غشاوة) من بهائى عند مشاهدتى فلا يبصرون سوائى (ولهم عذاب عظيم) عندى أردهم بعد هذا المشهد السنيّ ، الى انذارك ، وأحجبهم عنى كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى قربا ، وأنزلتك الى من يكذبك ويرد ما جئت به اليه من الكلام فى وجهك ، وتسمع فى ما يضيق به صدرك فأين ذلك الشرح الذى شاهدته فى اسرائك ؟ فهكذا امنائى على خلقى الذين اخفيتهم ومنحتهم رضاى فلا أسخط عليهم أبدا ..

انظر كيف أخفى سبحانه أولياءه فى صفة اعدائه (٢) وتجلى لهم فى اسمه الجميل فاحبوه ... الخ » (٣)

هذا الكلام فى تفسير الايات ، من اكبر الشواهد على كفر ابن عربى وعلى مدى حطه النصوص على غير ما هو معروف ، لغة وشرعا .

---

(١) البقرة : ٦ و ٧

(٢) يا ترى من أعداؤه بعد هؤلاء الكفار فى نظره .

(٣) الفتوحات المكية جـ١ ص١٤٩

تناقض ابن عربـــى :

لقد سبق القول بأن ابن عربـى يقول : بتفضيل الولى على النبـى ، وبينما يحط من قدر الرسول ومنزلته حال انذاره فى النص المتقدم ،يشير فى خمسة الى منزلة هؤلاء عند الله حتى تبدو مكانتهم فوق مكانة النبى صلى الله عليه وسلم كما يزعم فى قوله (ولهم عذاب عظيم) عندى أردهم بمدا هذا المشهد السنى الى انذارك واحجبهم عنى كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى قربا ... الخ نجده يتكلم عن الحقيقة المحمدية فيعتبرها أصل سائر المخلوقات وعليها يدور الوجود ، بل ما يزال الصوفية يترسمون خطى سلفهم فى القول بالحقيقة المحمدية .

فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم فى نظره الحقيقة التى انبثق عنها هذا الوجود ،فكيف يكون الولى أفضل منه .

نعم الحقيقة المحمدية ــ التى جعلها ابن عربى الاصل الذى بنى عليه كل فكرة فيما جاء فى ضوء لغته (فصوص الحكم) وكثير من فتوحاته ــ مستمدة من أفكار لا صلة لها بالاسلام ، " لأننا اذا نظرنا فى الفلسفات القديمة والأديان السماوية المحرفة على اختلافها ، نجدها تستمد روحانياتها من نبع واحد ،كأن قبسا من نور غير هذا العالم يسرى فى كيانهم .

ففيلسوف اليهود (فيلون) يرى ان مصدر الوحى " الكلمة الالهية " و (كلمنت) أحد رجال اللاهوت المسيحى يصف الكلمة الالهية " المسيح " بأنها القوة التى تجسدت فى الوجود ،قبل أن تتحد فى الناسوت " صورة المسيح " وانها مصدر الحياة والوجود فى الكون كما أنها مصدر الوحى والالهام والمعرفة ، وأنها هى التى تكلمت بلسان موسى وغيره من الأنبياء ،وأوحت الى الفلاسفة اليونانيين الحكمة ونطقت بها ،وابن عربى يصف " الحقيقة المحمدية " بمثل ما وصف به (فيلون) و (كليمنت) الكلمة . (١)

---

(١) التصوف الثورة الروحية ص١٠

فالحقيقة المحمدية هي مصدر كل وحي والهام للانبياء والاولياء على السواء ، وهي كذلك تساوي عندهم القطب كما تساوي الامام عند الاسماعيلية القرامطة اى أنها المحور الذى يدور عليها العالم الروحاني (١) .

وابن عربي كما سبق القول قد تتلمذ على فلاسفة الباطنية الاسماعيلية ، فألبس الفكر الشيعي ثوب التصوف وأولى افكارهم عناية خاصة حتى فكرة المهدى المنتظر ، أفردها بكتاب سماه " عنقاء مغرب " .

كما أنه ضمن فتوحاته وفصوصه كثيرا من أفكار الشيعة ،حتى فكرة الحقيقة المحمدية التي اعتبرها ، مصدر الوحي والالهام ،وليدة الفكر الشيعي ويتضح ذلك في أخذه ما قاله شيطان الطاق (*) في حديث : " خلق الله آدم على صورته " فقد قال :

ان الله نور على صورة انسان ،ولا بد من تصديق الخبر . واخذ ابن عربي هذا الشرح وقال : " فرتب الله فيه جميع ما خرج عنه مما سوى الله ، فارتبط بكل جزء فيه حقيقة آدم على صورة الاسم اذ كان هذا الاسم متضمنا جميع الأسماء الالهية . (٢)

ومع تأثره بأفكار الشيعة ،فقد استطاع أن يخفي على افكارهم ما يخدع به العامة ، اذ يخفي عقيدته الفاسدة تحت ستار الدين ، حتى فاز بكثير من القاب المدح ،كالشيخ الاكبر والكبريت الاحمر ، ... الخ .

ذلك انه كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة المؤمنين وقدوتهم وهاديهم الى صراط ربهم ، وكان ايمانهم به لا يكمل حتى يكون هواهم تبعا لما جاء به ، وحتى يكون أحب اليهم من أنفسهم ومن الناس اجمعين ، علم أعداء الاسلام هذه

---

(١) انظر التعليقات على فصوص الحكم جـ١ ص ٣٨ / ٣٩ .

(*) شيطان الطاق : هو محمد بن النعمان ابو جعفر الاحول رئيس الشيطانية أو النعمانية .

(٢) انظر الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٥٠ والفتوحات المكية جـ٢ ص١٦٣ والفصوص جـ١ ص ٣٨ مقدمة د / ابو العلا .

المكانة العظيمة في نفوس المؤمنين ، وأنها مكانة عظيمة لا يستطيعون النيل منها صراحة ، وعلموا ان صرح الايمان الذى أسس على تقوى من الله ورضوان ليس من الميسور هدمه الا ببث الافكار الخبيثة تحت ستار الظهور بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

لهذا كله خلعوا على النبي صلى الله عليه وسلم من الأوصاف ما يجعلهم في نظر العامة ، من أشد الناس حبا وتعلقا به ، فقالوا انه حقيقة الحقائق ، ومصدر الوجود ومنبع الوحى والالهام وأول من نهج هذا المنهج الشيعة الباطنية حيث اتخذوا من الدعوة لآل محمد صلى الله عليه وسلم ستارا تواروا خلفه لينشروا عقائدهم الفاسدة ، وعلى هذا النهج سار بعض الصوفية ، فقالوا تارة " بالكلمة " وتارة " بالحقيقة " .

والكل مدين لفلسفة اليونان ، وان غيرت المصطلحات بمصطلحات مبتكرة فالعقل الأول عند افلوطين ، هو الانسان الكامل أو الكلمة عند المسيحيين أو الحقيقة المحمدية عند الصوفية كما سبقت الاشارة اليه .

والغرض الأساسي الذى وضع من اجله ابن عربى " كتاب فصوص الحكم " هو شرح العلاقة بين كل نبي والأصل الذى استمد منه علمه وهو " الكلمة " أو الحقيقة المحمدية " (١) ولقد بالغ الصوفية في الحقيقة المحمدية وغلوا فيها حتى جعلوها اصل المخلوقات .

فما هى الحقيقة المحمدية ؟ !!

يقول الجرجاني في تعريفها :

" هى الذات مع التعين الأول ، وهو الاسم الأعظم " (٢)

كما يعرفها الدمرداشي بقوله :

" حقيقة الحقائق ، هى المرتبة الكمالية الجامعة لسائر المراتب كلها ،

---

(١) انظر مقدمة الفصوص جـ١ ص ١٩

(٢) التعريفات ص ٤٨

وهى المسماة بحضرة الجمع وأحدية الجمع(١) ، وبها تتم الدائرة ، وهى أول مرتبة تعينت فى غيب الذات وهى الحقيقة المحمدية .(٢)

فمحمد هو الاسم الجامع لجميع الاسماء ،وهو اسم الذات الالهية من حيث هى هى اى المطلقة (٣) .

وكما جعل الصوفية الحقيقة المحمدية أصل المخلوقات وأولها ظهورا جعلوا نور النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال يظهر فى صور جميع الأولياء .

يقول نيكلسون :

" ولقد أشرنا من قبل الى اعتقاد الصوفية ،فى أزلية النور المحمدى الذى ظهر فى جميع الأنبياء من آدم الى عيسى ،ثم ظهر اخيرا فى صورة الرسول محمد نفسه ،ولكن ظهوره لم ينته بعد فى نظر الصوفية بموته ، فانهم يعتقدون أنه الذى لا يزال يظهر فى صور جميع الأولياء الذين يقتبسون من نوره "(٤)

ويقول ابن سبعين :

" فاعلم أنت وأهل الدرجات ، ان نور السموات والارض ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مظهره مشكاة مصباحها ،ووجهة زيتونة زيتها ، ثم هو نفسه نور الله ، وكذا وحيه ومعجزاته وآياته "(٥)

هذا وقد اعتمد الصوفية فى قولهم فى الحقيقة المحمدية على عدد من الاحاديث التى وضعها أعداء الاسلام ، كحديث : (أول ما خلق الله العقل)

---

(١) احديه الجمع : الاستهلاك بالكلية والفناء عما سوى الله تعالى (التعريفات ص ٤٨)

(٢) هذه هى الصوفية ص٧٤ (نقلا عن محمد الدمرداش رسالة معرفة الحقائق ص٧).

(٣) انظر جامع الأصول ص ٧٦ الكمشخانوى

(٤) فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص١٦١

(٥) ابو محمد عبد الحق بن سبعين المرسى الاندلسى رسائل ابن سبعين ص٢٠٢ بتحقيق سيد الكيلانى .

الذى سماه ابن عربى ، الانسان الكامل ، أو الكلمة كما تقدم وحديث جابر الذى أخرجه عبد الرزاق فى المصنف وهو : " أول ما خلق الله نور نبيك ياجابر ..) وهو حديث طويل ، فيه أن الله خلق جميع الأشياء من ذلك النور . والحديثان غير صحيحين فلا تقوم بهما حجة .

فالأول قال عنه شيخ الاسلام ابن تيمية ، وتبعه غيره : انه كذب موضوع باتفاق ، كذا فى المقاصد الحسنة والحديث وان ذكر فى الإحياء لكن قال العراقى فيه : اخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط وابو نعيم باسنادين ضعيفين . (١)

---

(١) انظر العلامة على بن محمد بن سلطان المشهور بالملا على القارى (ت ١٠١٤) الاسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة (الموضوعات الكبرى) ص ١٢٤ / ١٢٥ وانظر ص ١٢٧ وانظر الفوائد المجموعة ص ٤٧٨ فقد جاء فيه : رواه ابن عدى عن أبى هريرة مرفوعا ، وفى اسناده الفضل ابن عيسى ، وقد قال فيه يحيى رجل سوء ، وحفص بن عمر قاضى حلب و قال ابن حبان فيه : يروى عن الثقات الموضوعات لا يحل الاحتجاج به بالاجماع ، وقد روى الدارقطنى من وجه آخر وفى اسناده سيف بن محمد وهو كذاب و رواه العقيلى مرفوعا وفى اسناده مجهولان ، وقال فى الميزان الخبر باطل ، وقد رواه البيهقى فى شعب الايمان باسناد غير قوى ، وهو مشهور من قول الحسن البصرى باسانيد واهية .

وجاء فى تنزيه الشريعة جـ١ / ٢٠٤ فقد قال الذهبى فى تلخيص الموضوعات بعد ذكر طرق الحديث المذكورة فى الأصل وله طرق أخرى لم تصح وقال ابن حبان ليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر صحيح فى العقل ، وقال العقيلى لا يثبت فى هذا الباب شىء والله أعلم وانظر المقاصد الحسنة ص ١١٨ .

وأما الحديث الثاني فقد قال عنه الامام محمد رشيد رضا في الفتاوى :

" لا نكاد نجده الا في القصص التي يسمونها الموالد الا قليلا ويروونه عن عبد الرزاق ... وأجمعهم للاحاديث الحافظ السيوطي ولم يذكر هذه الرواية في الخصائص الكبرى التي جمع فيها ما ورد في خصائصه عليه الصلاة والسلام من صحيح وغير صحيح ، ولا في الجامع الكبير او جمع الجوامع " (١)

ثم قال :

" هذا الحديث حديث جابر لا أصل له ، وليس فيه تعظيم لخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين ، بل هو مثار شبهات وشكوك في الدين يعسر تأويلها بما يقبله عقلاء الباحثين ، ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ (٢) وما الرسل الا بشر يوحى اليهم ما فيه هداية الناس ، وما البشر الا جند قليل من جنود الله التي لا يعلمها الا هو ، قال تعالى فيهم :

﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (٣)

ولو كان هو الأصل لجميع المخلوقات ، وفرضنا أن هذا معقول أو أنه تعالى يكلفنا ما ليس في وسعنا أن نعقله لصرح بذلك في كتابه المبين الذي ما فرط فيه من شيء من مهمات الدين ، أو لروى برواية صححها جمهور المحدثين ، وكل ذلك لم يكن ، فانفراد عبد الرزاق بهذا لا يكفي في القول بهذه المسألة التي لا يتصورها العقل ولا يشهدها النقل .

زيادة على ذلك ، فان عبد الرزاق وان احتج كثيرون بحديثه وروى عنه الأئمة وبجلوه ، فقد جرحه مسلم وغيره قال الامام أحمد :

اتينا عبد الرزاق قبل المئتين وهو صحيح البصر ، ومن سمع منه بعدما ذهب بصره فهو ضعيف السماع .

---

(١) الامام محمد رشيد رضا ، الفتاوى المجلد الثاني ص٤٤٣/٤٤٤ جمعها وحققها الدكتور صلاح الدين المنجد ، وآخر دار الكتاب الجديد بيروت لبنان .

(٢) آل عمران : ١٤٤

(٣) الاسراء : ٧٠

وقال النسائي : فيه نظر لمن كتب عنه بآخره وروى عنه احاديث مناكير .
وقال ابن عدى : حدث بأحاديث في الفضائل لم يوافقه عليها أحد ونسبوه الى التشيع .
وقال الدارقطني : ثقة ، لكنه يخطئ على معمر في احاديث .
وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبي عن عبد الرزاق ، يفرط في التشيع ؟
قال : أما أنا فلم أسمع منه شيئا ولكن كان رجلا تعجبه أحاديث الناس . وقال محمد بن عثمان الثقفي البصري : لما قدم العباس بن عبد العظيم ، من صنعاء من عند عبد الرزاق اتيناه فقال لنا : ألست تجشمت الخروج الى عبد الرزاق ، ورحلت اليه وأقمت عنده ، والله الذي لا اله الا هو ان عبد الرزاق كذاب والواقدي أصدق منه .

أورد الحافظ الذهبي هذا ثم قال : قلت هذا ما وافق العباس عليه مسلم ، بل سائر الحفاظ . وأئمة العلم يحتجون به الا في تلك المناكير المعدودة في سعة ما روى (١)

وقال رضا مصطفى عن هذا الحديث : " اول ما خلق الله نور نبيك يا جابر " وهو حديث ... لا تصح نسبته الى النبي صلى الله عليه وسلم . (٢)

وقال الشيخ أحمد عبد القادر الشنقيطي المدني : في رسالته " تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق : ان ثبت هذا الحديث في مصنف عبد الرزاق فهو من الطامات العظام التي في ضمنه كما أشار الى ذلك الحافظ بن حجر فانه قال : ان مصنفه مشتمل على عظائم الأخبار . والدليل على انه من المختلقات والمفتريات على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طوله المفرط مع ركاكة ألفاظه وغرابته ونكارته ، واعضاله عند نقاله ، ولانفراد عبد الرزاق به من بين من صنف في دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام ولعدم وجوده في ديوان من دواوين اصول الحذاق سوى مصنف عبد الرزاق ، ولمخالفته لدليل العقل وصحيح النقل من الكتاب والسنة واجماع الأمة ولخلوه من شروط قبول الحديث الستة " (٣)

ولقد روج لهذه الأفكار الهدامة اعداء الاسلام وساعد على قبولها والعمل بها الجهل بتعاليم الاسلام ، لأن الاسلام انتشر في بلاد ذات حضارات عريقة تمتز بها ، ولم يكن من السهل على البعض الانفكاك عنها والدخول في حظيرة الدين الجديد ، الذي أبطل كل الأديان المحرفة الزائفة كما ابطل كثيرا من نظرياتهم ، وعدل أفكارهم وبين لهم بطلان ما هم عليه من ديانات ، وان الدين الحق هو الاسلام .

---

(١) انظر الامام محمد رشيد رضا ، مجلة المنار المجلد الثامن ص ٨٦٨ ومابعدها عدد القعدة سنة ١٣١٥ هـ / ١٩٠٥ م

(٢) رضا مصطفى رسالة بعنوان " توضيح وتعليق على الحوار الذي تم بين فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الالباني وفضيلة الشيخ عبد الحميد طهماز ص ٤٨ بدون رقم للطبعة او اسم للمطبعة .

(٣) احمد عبد القادر الشنقيطي المدني ، تنبيه الحذاق ، على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق ص ٧/٨ ط اولى / سنة ١٣٩٢ هـ مطابع الرياض شارع المرقب .

ابن عربي بين الانصار والخصوم :

لقد قدمنا نماذج من أقوال ابن عربي نفسه فيما سبق توجب على كل مسلم يحترم عقله وعقول الآخرين ان يحط من قدر الرجل وأن ينزله المنزلة التي تليق به ، لانه اتبع غير سبيل المؤمنين ، ولكن للأسف نجد من يقرأ له ويؤيد مذهبه قديما وحديثا .

فالشعراني يلقبه بالشيخ الاكبر ، فيقول في مؤلفه " الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر " :

" هذا كتاب نفيس ، انتخبته من كتابي المسمى بلواقح الأنوار القدسية الذي اختصرته من الفتوحات المكية ، خاص فهمه بالعلماء الأكابر وليس لغيرهم منه الا الظاهر فقد اشتمل على علوم واسرار ومعارف ، لا يكاد يخطر علمها على قلب الناظر فيه قبل رؤيتها فيه ، وقد سميته بالكبريت الاحمر في بيان علوم الشيخ الاكبر .

ومرادي بالكبريت الاحمر ، اكسير الذهب ، ومرادي بالشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي رضي الله عنه ، أعني أن مرتبة علوم هذا الكتاب بالنسبة لغيره من كلام الصوفية كمرتبة اكسير الذهب بالنسبة لمطلو الذهب " (١)

ويقول في كتاب آخر له :

" ثم يا أخي انى طالعت من كلام اهل الكشف ما لا يحصى من الرسائل وما رأيت في عباراتهم أوسع من عبارة الشيخ الكامل المحقق مربي العارفين الشيخ محي الدين ابن العربي رحمه الله ، فلذلك شيدت هذا الكتاب بكامله من الفتوحات المكية ، وغيرها دون غيره من كلام الصوفية " (٢)

هذان النصان يشهدان بمكانة ابن عربي في نفس المؤلف ، اذ يصفه بالشيخ الأكبر ، والشيخ الكامل المحقق مربي العارفين ، ويقول في كلامه

---

(١) عبد الوهاب الشعراني الكبريت الاحمر مجلد ١ ص ٢ على هامش اليواقيت ط : دار المعرفة بيروت .

(٢) الشعراني ، اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر مجلد ٢ ص ٢

على ما يأخذه من فتوحاته ومؤلفاته الأخرى دون غيرها من كلام الصوفية .

ويقول النابلسى عنه فى رأيه فى وحدة الوجود :

" اعلم ان هذه المسألة وهى مسألة وحدة الوجود قد اكثر العلماء فيها الكلام قديما وحديثا ، وردها قوم قاصرون ، غافلون ، محجوبون ، وقبلها اخرون عارفون محققون ، ومن ردها فانما ردها لعدم فهمه لمعناها عند القائلين بها ، وتوهمه منها المعنى الفاسد فلا التفات لرده كائنا من كان ، لصده عن الحق ، وانما رده فى حقيقة الأمر واقع على ما فهمه من المعنى الفاسد لا على هذه المسألة فهو صور الضلال ورده .

وأما القائلون بها فهم العلماء المحققون ، والفضلاء العارفون من أهل الكشف والبصيرة ، الموصوفون بحسن السيرة وصفاء السريرة كالشيخ الاكبر محى الدين بن العربى والشيخ شرف الدين بن الفارض ، والعفيف التلمسانى والشيخ عبد الحق بن سبعين ، والشيخ عبد الكريم الجيلى وامثالهم قدس الله تعالى أسرارهم ، وضاعف انوارهم فانهم قائلون بوحدة الوجود هم واتباعهم الى يوم القيامة ان شاء الله ، وليس قولهم بذلك مخالفا لما عليه أهل السنة والجماعة وحاشاه من المخالفة ، وانما المنكر عليهم وعلى أمثالهم أنكر عن قصور فيه ، وقلة معرفته باصطلاحاتهم وعدم علمه بأن علومهم مبنية على الكشف والعيان وعلوم غيرهم مستفادة بالخواطر الفكرية والأذهان " (١)

ويقول :

" فلا طريق الا طريق السادة القادة ولا اعتقاد الا وحدة الوجود " (٢)

---

(١) عبد الغنى بن اسماعيل النابلسي ، ايضاح المقصود من وحدة الوجود ، لوحة رقم ٢٢ مخطوط تحت رقم ١٦٨٣ بمكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

(٢) نفس المصدر لوحة / ٢/ .

ويقول :

" فكلام المحققين من اهل الله تعالى فى مسألة وحدة الوجود ، من أعلى عليين ، وكلام غيرهم فيها من اسفل سافلين " (١)

ويقول فى كتاب آخر له :

قبر محى الدين من أسنى القبور
وهو للجاهل نار وهو نور
والذى يأتيه موسى يشرب
خاطب الحق بانواع الحضور
لا تقل نارففى النار سوى
أنت وأخرج من تأويل الظهور

.... الى أن يقول :

"شيخ الله تعالى الشيخ الكامل والعالم العامل سلطان المحققين ، وبرهان الموحدين ، وحجة الله تعالى على جميع العارفين فى كل وقت وحين الى يوم الدين ، البحر العباب ، وهبة الكريم الوهاب محى الدين ابن العربى الحاتمى الطائى قدس الله روحه ونور ضريحه ".

1 - نقد الشعرانى :

القارئ لكلام الشعرانى لا يجد الا مدحا وثناء على ابن عربى ومؤلفاته دون أن يقدم لنا ما يدل على أنه يستحق هذا الثناء كله ببيان هذه العلوم والمعارف التى احتوتها كتبه ومدى صحتها .

---

(١) نفس المصدر ص ٣

(٢) النابلسى ، نسخة من حدائق الغيب ق ١ مايكروفلم تحت رقم "١٣" لمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

نقد النابلسي :

من الملاحظ أن النابلسي لم يتطرق لبيان ماهية وحدة الوجود عند أصحابها وكان لزاما عليه أن يفصل سيما وأنه يزعم أن كل من لم يقل بها جاهل ، ويزعم كذلك أنها التوحيد الشرعي ، وأن على ولي الأمر أن يحمل الناس عليها ، وان قوله : " وقد وقفت على رسائل في بيان وحدة الوجود " يفيد أن الناس بينوا وحدة الوجود ، فكان من الواجب عليه أن يعرفنا بها ولو ببيان الناس لها ، ولكنه لم يفصل . ولربما كان الذي دعاه الى عدم تعريفها انها تتعلق عنده بالكشف والذوق ، فهو يحيل الناس في معرفتها الى أذواقهم ومكاشفاتهم واذا أحلنا كل انسان الى ذوقه ، فهل الأذواق متفقة ، فتتفق باتفاقها المعارف ، وهل يكون الذوق طريقا مأمونا يعتمد عليه ؟

على أن وحدة الوجود بمعناها الذي ارادوه تعني انه تعالى الوجود المطلق من حيث هو ، أي بقطع النظر عن كونه واجبا أو ممكنا ، ومن هنا لم يفرقوا بين وجود الممكن ووجود الواجب (١) ، وجعلوا هذا القول هو التوحيد مع أن التوحيد المعروف الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، هو افراده تعالى بالعبادة ، ومن تمام هذا التوحيد وصفه تعالى بما وصف به نفسه في كتبه وعلى ألسنة رسله .

واذا كان الوجود الممكن هو الوجود الواجب فمن الموحِّد ومن الموحَّد ؟ ومن المكلِّف ومن المكلَّف ؟

ثم أن الشرك الخفي الذي زعم أنه عدم القول بوحدة الوجود ، معروف في الشرع على غير ما زعم ، وهو أن يعمل المرء العمل الصالح يرائي به .

أهم أفهم لشرع الله من نبيه صلوات الله وسلامه عليه ؟!

واذا كان هذا هو التوحيد كما زعموا فأين بيانه في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؟!

---

(١) انظر/ شرح المواقف جـ ٨ ص ٢٩ وما بعدها

آراء العلماء فى ابن عربى :

وإذا بينا رأى بعض من غلوا فيه من أدعياء العلم ومعرفة الحقيقة وبينا زيف كلا منهم ، فلنستمع الى أقوال علماء الاسلام فيه وهم المأمورون بألا يكتموا علما علموه ، فبينوا للناس أمر دينهم •

قال أبو هريرة رضى الله عنه : (لولا آيتان من كتاب الله ما حدثتكم شيئا ، ان الله يقول :

﴿ ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ﴾ (١) هذه الآية والتى تليها ، ثم قال : ان الناس يقولون : أكثر أبو هريرة ، وذكر الحديث: (من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار) (٢)

ومن هذا المنطلق كان العلماء هم درع الاسلام الحصينة يحمونه من انتحال المبطلين ، وتحريف الغالين ، ويذودون عن حياض الدين ، ويصدون هجمات الملحدين ، ونذكر بعض آرائهم فى ابن عربى وأمثاله لتكون نبراسا يهتدى به من أراد الهدى واليقين •

رأى شيخ الاسلام العز بن عبد السلام فى ابن عربى :-

قال الذهبى :

" ونقل الينا رفيقنا أبو الفتح اليعمرى ، وكان متثبتا ، قال : سمعت الامام تقى الدين بن دقيق العيد يقول : سمعت شيخنا أبا محمد بن عبد السلام السلمى يقول : وجرى ذكر أبى عبد الله ابن العربى الطائى فقال :

(هو شيخ سوء كذاب) فقلت وكذاب أيضا ، قال : نعم (٣) وفى رواية (شيخ سوء وشيخ كذاب) (٤) وكلام الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، رواه

(١) البقرة : ١٥٩

(٢) جامع بيان العلم وفضله ص٥ ، ٦

(٣) ميزان الاعتدال ج٣ ، ص٦٥٩ بتحقيق على محمد البجاوى ، دار احياء الكتب العربية بيروت بدون تاريخ •

(٤) لسان الميزان ج٥ ، ص٣١١

البقاعي باسناد كله ثقات ،فيه ابن كثير وابن الشبكي ،وابن دقيق العيد ،قالوا سئل عن ابن عربي فقال : (شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا) (١)

رأى الشيخ علي بن علي بن ابي العز شارح الطحاوية :

يرى أن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة ،ارادوا ان يكيدوا للاسلام ، وأن يغيروا معالمه ، ولما لم يمكنهم أن يظهروا بهذا المظهر ،ادعوا لانفسهم الولاية ،وأعلوا من شأنها ،وجعلوها فوق مرتبة النبوة ، ويصرح بأن ابن عربي من القائلين بوحدة الوجود ،وأن كفره ظاهر لمن وقف على كلامه فيقول :

" ... ومنهم من يقول : ان الأنبياء والرسل ، انما يأخذون العلم من مشكاة خاتم الأولياء ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء ... وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق ،كابن عربي وأمثاله ، وهو لما رأى الشرع الظاهر لا سبيل الى تغييره ، قال : النبوة ختمت لكن الولاية لم تختم ، وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة ، وما يكون للأنبياء والمرسلين ... كما قال : مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي ... فمن اكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب وللرسول بلبنة فضة فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسول ،تلك أمانيهم ﴿ ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه ﴾ (٢)

وكيف يخفى كفر من هذا كلامه ، وله من الكلام أمثال هذا ... فلهذا يحتاج الى نقد جيد ليظهر زيفه ،فان من الزغل ما يظهر لكل ناقد ، ومنه ما لا يظهر الا للناقد البصير .

وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين ﴿ لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ﴾ (٣)

---

(١) برهان الدين البقاعي ، تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي ص ١٥٢ / ١٥٣

(٢) غافر : ٥٦ (٣) الانعام : ١٢٤

ولكن ابن عربى وأمثاله منافقون زنادقـة ،والاتحادية فى الدرك الأسفل من النار ، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين لاظهارهم الاسلام ... فلو أنه ظهر منهم ما يبطنونه من الكفر لأجرى عليهم حكم المرتد ،ولكن فى قبول توبة (المنافق) خلاف والصحيح عدم قبولها "(١)

رأى أبى حيان :

وقال أبو حيان فى تفسير قوله تعالى ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ﴾ الآية .

قال : (ومن بعض اعتقادات النصارى استنبط من تستر بالاسلام ظاهرا وانتمى الى الصوفيه ، حلول الله تعالى فى الصور الجملة ومن ذهب من ملاحدتهم الى القول بالاتحاد والوحدة كالحلاج والشعوذى وابن أحلى وابن العربى المقيم بدمشق ... واتباع هؤلاء ... وانما سردت أسماء هؤلاء نصحا لدين الله ، يعلم الله ذلك شفقة على ضعفاء المسلمين ،وليحذروا ،فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسوله ،ويقولون بقدم العالم ،وينكرون البعث ، وقد أولع جهلة ممن ينتمى الى التصوف بتعظيم هؤلاء وادعائهم انهم صفوة الله واولياؤه ، .

والرد على النصارى والحلولية والقائلين بالوحدة هو من علم أصول الدين ﴾(٢)

وقال أيضا :

" .. وانما حذرت منهم لأنهم ينتسبون الى الاسلام ، ويدّعون أنهم أعلم به من غيرهم ، الى جانب ما اخذوا به انفسهم من الرياضة ، وما ادعوه طريقا للمعرفة الصحيحة وهو الكشف "(٣)

---

(١) قاضى القضاة صدر الدين ، على بن على بن محمد بن ابى العز ، شرح الطحاوية ص٤٤٠/٤٤٣

(٢) البحر المحيط جـ٣ ص ٤٤٩

(٣) انظر البحث ص

رأى الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي :

قال البقاعي : قال شيخ شيوخنا الامام القدوة العارف شيخ الاسلام حافظ عصره الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي وقوله .. — يعني ابن عربي — في قوم نوح ﴿ لا تذرن آلهتكم ... ﴾ الى آخر الاية — كلام ضلال و شرك واتحاد والحاد ، ثم قال في معرض جواب له — على قول ابن عربي : وكان الياس الذي هو ادريس ، يرى سريان الحق في الصور الطبيعية والعنصرية وما بقيت له صورة الا و يرى عين الحق عينها • قال العراقي بتوحيد إلياس بعثت الرسل كلها لان الملل كلها ، وما جاءت به الرسل لم يختلفوا في التوحيد والاقرار به ، وقد نزه الله سبحانه نفسه عن الشبه بقوله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ (١) ، و ليت شعري ما الفائدة من بعثة الرسل اذا كان من عبد شيئا من المخلوقات عابدا لله تعالى ، و ليت شعري ماذا يقول هذا القائل في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في نهيهم عن عبادة الأوثان ، وكسرها ، هل يقول : كانوا بعبادتها مصيبين ، عابدين لله تعالى ، وانه ما حصل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم اتساع ، فأنكر عليهم كما قال في حق هارون عليه السلام ، ولا شك أن الرسل كلهم يتفقون في التوحيد ، وكأنه انما سكت عن ذلك خيفة من السيوف المحمدية ، فان هذه الموءلفات التى كان يسرها الى أصحابه ، و يسرها أصحابه الى أصحابهم ، ولو كان حقا لاظهروه على رؤوس الأشهاد » (٢)

ثم ساق الآيات التى كذب بها ابن عربي بسبب هذه المقالة ، ثم قال : وجاء هذا المخالف لله ولرسوله ولجميع الموءمنين — يعني ابن عربي — فصوب فعلهم — يعني عبدة العجل من بني اسرائيل — وصرح بأنهم من العارفين بقوله : ان العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء ، ولا شك ان شرك قائل هذا أشد من شرك اليهود والنصارى ، فان اولئك عبدوا عبدا من عباد الله

---

(١) الشورى ، الآية : ١١ (٢) تنبيه الغبي ص ١١٢

المقربيــن و هذا يرى ان عبادة العجل والصنم ،عــين عبادة الله ،بل يوءدى كلا مه الى أنه يرى الحــق عين الكلب والخنزير ،وعــين العذرة ، وقد أخبرنى بعض الصادقين من فضلاء أهل العلم ،أنه رأى شخصا ممن ينتحل هذه المقالة القبيحــة بثغر الاسكـندرية ، وأن ذلك الشخص قال له :

ان الله تعالى هو عــين كل شــيء .

فمر بـهما حمار ، فقال : و هذا الحمار ؟ فقال : و هذا الحمار ،فراث الحمار من دبره فقال له : و هذا الروث ؟ فقال : و هذا الروث ، فنسأل اللـــــه السلامة والتوفيق. (١)

ويذكر ابن تيمية رحمه الله حادثة شبيهة بهذه ،فقال : (مر شــهخان — التلمسانى والشيرازى — على كلب أجــرب ميت بالطريــق عــند دار الطعم ، فقال الشيرازى للتلمسانى ،هذا — يشير الى جثة الكلب — أيضا هو ذات الله ؟ فقال : وهل ثم شــيء خارج عـنها ؟ نعم الجميع ذاته (٢)

رأى ابن العراقــى :

وقال الامام ولى الدين أحمد العراقى بن الشيخ زين الدين : " و لا شك فى اشتمال الفصوص المشهورة على الكفر الصريــح ،الذى لا شــك فيه ، و كذلك فتوحاته المكيــة ، فان صح صدور ذلك عــنه ،واستمر الى وفاته فهو كافر مخــلد فى النار بلا شــك ،وقد صح عــندى أن الحافظ المزى (٣) نقل من خطـــه فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ان الذين كـفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهــم لا يوءمنون ﴾ كلاما ينبو عــنه السمــع و يقتضــى الكــفر ، و بعض كلماته لا يمكن تأويلها " (٤)

---

(١) تنبيــه الـغبــى ص ١٢٢ / ١٢٣

(٢) انظر مجموعة الرسائل والمسائل ج١ ص ١٠٥

(٣) المزى : هو الحافظ الجليل يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن عبد الملك ابــو الحجاج جمال الدين ولد سنة ٦٥٤ هـ بالمعقلية بظاهر حلب سمع منه ابن تيمية وقد اوذى المزى بسببه توفى سنة ٧٤٢ هـ انظر هامش التنبيه / ١٣٥ .

(٤) تنبيه الغبــى ص ١٣٥

رأى ابن تيميـة فيـه :

ويكتب ابن تيمية في الرد على ابن عربـي رسالة خاصة سماها " الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم " بجانب ما اشتملت عليه مؤلفاته من تزييف كلامه ، ومما جاء في هذه الرسالة قوله :

" وما تضمنه كتاب فصوص الحكم ، وما شاكله من الكلام فانـه كـفر باطنا وظاهرا ، وهذا يسـمى مذهب أهل الوحدة وأهل الحلول والاتحـاد ، وهـم يسمون أنفسهم المحققين .

فأقوال هؤلاء ونحوها ، باطنها أعظم كـفرا والحادا من ظاهرها فكل من كان أخبر بباطـن هذا المذهب ووافقهم عليه ، كان اظهر كـفرا والحادا " (١)

ولم يقف ابن تيمية رحمه الله عـند هذا الحد بل كفـر من شـك فـي كـفرهم بعد معرفته لمخـالفتهم للاسلام فقال :

" ولقوال هؤلاء شر من أقوال اليهود والنصارى ... فهذا كله كـفر باطنا وظاهرا ، باجماع كل مسلم ، ومن شـك في كـفر هؤلاء بعد معرفة قولهـم ، ومعرفة دين الاسـلام ، فهو كافر كـمن يشـك في كـفر اليهود والنصـارى والمشركـين " (٢)

وفي بعض كتبه بعد ان ذكر اقوال ابن عربـي وأمثاله ـ كالشيخ على الحريري وتلميذه النجم الاسرائيلي ـ وأنها مخالفة للدين الذي بعث الله به رسله كما تخالف المعقول الصحيح (٣) دعا عليهم قائلا :

" ... فقبح الله طائفة يكون الهها الذي تعبده ، هو موطـوءها الـذي تفترشـه ، وعليهم لعنة الله والملائكـة والناس اجمعين ، لا يقبل الله منهـم صرفا ولا عـدلا ، ومن قال : ان لقول هؤلاء سرا خفيا ، وباطن حـق انه مـن

---

(١) ابن تيمية ، الرد الأقوم على ما في فصـوص الحكم ، ص ٤١ مايكروفلم بمركز البحث بجامعة أم القرى تحت رقم ٧٨ـ١٠ـ٤٤٠

(٢) المصدر السابق ص ٤٧

(٣) انظر مجموعة الرسائل والمسائل جـ١ ، ص ٦٦

الحقائق التى لا يطلع عليها الا خواص الخلق فهو أحد رجلين : اما ان يكون من كبار الزنادقة أهل الالحاد والمحال ، واما ان يكون من كبار اهل الضلال ، فالزنديق يجب قتله ، والجاهل يعرف بحقيقة الأمر ، فان أصر على هذا الاعتقاد الباطل بعد قيام الحجة عليه وجب قتله " (١)

رأى الجرجانى :

وقال العضد الجرجانى فى معرض كلامه عن الحلول والاتحاد " ... ورأيت من الصوفية الوجودية من ينكره يقول لا حلول ولا اتحاد ، اذ ذاك يشعر بالغيرية وهذا العذر أشد من ذلك الجرم " (٢)

رأى ابن حجر العسقلانى :

وساق ابن حجر فى لسان الميزان ما قاله الذهبى فى الميزان عن ابن عربى ثم قال :

" ... ومن تصانيفه (يعنى ابن عربى) — كلمات ينبو السمع عنها ، وزعم اصحابه أن لها معنى باطنا غير الظاهر " (٣)

رأى ابن كثير :

وقال العلامة ابن كثير فيه :

" ... كتابه المسمى بالفتوح المكية فى نحو عشرين مجلدا فيها ما يعقل ، وما لا يعقل ، وما ينكر ، وما لا ينكر ، وما يعرف ، وما لا يعرف ، وله كتابه المسمى بفصوص الحكم فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح " (٤)

---

(١) الرد الأقوم على ما فى فصوص الحكم ص ٥٢/٥٣

(٢) شرح المواقف جـ٨ ص ٢٩

(٣) لسان الميزان جـ٥ ص ٣١٥

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٥٦ ط ثانية سنة ١٩٧٧م المعارف بيروت .

رأى ابن هشام :

وكتب ابن هشام النحوى على نسخة من فصوص الحكم الأبيات التالية :

هذا الذى بضلالـــــه ضلت اوائل مع أواخـــــر
من ظن فيــه غيـــــر ذا فلينأ عنى فهــو كافـــــر

هذا كـتاب فصوص الظلم ، ونقيض الحكم وضلال الأمم كـتاب يعجز الذم عـن وصفــه قد اكـتنفه الباطل من بين يديه و من خلفه ، لقد ضل مؤلفه ضــلالا بعيدا ، وخسر خسرانا مبينا ، لأنه مخالف لما ارسل الله به رسـله وانزل به كتبه وفطر عليه خليقته " (١)

ويقول المرحوم الدكتور محمد حسين الذهبى فى كتابه " التفسير والمفسرون " بعد أن ساق نمانج من التفسير الا شـا رى يقول :

" ... و رأيى الذى ادين الله عليه أن مثل هذا التفسير القائم علـــى نظريــة " وحدة الوجود " ما كان لنا ان نقبله مهما كان قائله ".(٢)

وكيف يقبل المسلم تفسيرا يؤلـــه الكافـــر ويفضله على الرسول صلـــــى الله عليه وسلم ، ورحم الله الذهبى ".

ونختم هذا الفصل ، بما عـقب به الامام الذهبى — فى كتابه ميزان الاعـتدال على كلام شيخ الاسلام العزبن عبد الســـلام فقال :

" فوالله لأن يعيش المسلم جاهلا خلف البقر لا يعرف من العلم شيئا ســوى سو ر من القرآن يصلى بها الصلوات ويؤمن بالله واليوم الاخر ، خير له بكثير مــن هذا العرفان و هذه الحقائق ، ولو قرأ مائة كـتاب ، أو عـمل مائة خلوة " (٣)

والله تعالى أجل وأعلـم ، وصلى الله على نبينا محمد و على آله وصحبـــــه وسـلم .

---

(١) تنبيه الغبـــى الى تكـفير ابن عربى ص ٢٦٥ (٢) د/محمد حسين الذهبى ، التفسيـــر والمفسرون جـ ٢ ص ٣٥٠ ط ٢ سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م دار السعادة بمصر .

(٣) ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبى ، ميزان الاعـتدال فى نقـــد الرجـــال المجلد ٣ ص ٦٦٠ تحقيق على محمد البجاوى دار المعرفة بيروت بدون

خاتمة البحث

اشتمل هذا البحث على نتائج هامة كثيرة مبثوثة في صفحاته نذكر منها أهمها :

(١) - بعد الاطلاع على آراء العلماء في معنى الولاية توصل البحث الى أن " القرب " هو المعنى الأول للولاية في اللغة ، وما عداه من المعاني متفرع عنه وعائد اليه .

وان الولاية تنحصر في نوعين :

ولاية الله - وولاية الشيطان

(٢) - الايمان هو طريق الولاية وهو تصديق ، وقول ، وعمل يزيد وينقص يزيد حتى يرفع صاحبه الى مصاف الصديقين وينقص حتى يدخل صاحبه النار .

والطريق الى الولاية الحق واحد هو اتباع الصراط المستقيم الذى بينه الرسول صلى الله عليه وسلم بهديه القويم ، وترك عليه اصحابه وما عداه فهو سبيل الشيطان .

(٣) - الولى الكامل هو المتحقق بالتقوى مع الايمان .

(٤) - مسألة تفضيل الولى على النبى التى قال بها بعض المتصوفة زندقة وكفر والحاد ، بل نبى واحد افضل من ملء الأرض وليا غير نبى .

(٥) - مراتب الولاية الحقة اربعة ذكر الله اصحابها في قوله تعالى :

﴿ ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾

(٦) الخضر عليه السلام من أنبياء الله ، والرحمة والعلم اللدنى هما النبوة والوحى ، ومات قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم . وقصته مع موسى عليهما السلام التى اتخذ منها المتصوفة ذريعة لكثير من عقائدهم المنحرفة ، ليس فيها ما يدل على أن الخضر افضل من موسى ، بل موسى افضل منه على انه نبى ومن باب أولى ان يفضله اذا كان وليا ، بل حينئذ يكون كثير من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كأبى بكر وعمر افضل منه .

(٧) – ما يزعمه المتصوفة من اجتماعهم لادارة الكون افتراء ودعوى باطلة لا اساس لها .

كما أن الأسماء الدائرة على ألسنتهم في مراتب الاولياء كالغوث – الاوتاد – الاقطاب – الابدال – ... الخ لا حقيقة لها وليس لها وجود في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا في كلام السلف الصالح ، وبهذا يتبين ان ترتيب الأولياء على حسب ما ادعوه في معاني هذه الأسماء ليس حقا .

(٨) – الكرامة جائزة عقلا وشرعا وواقعه بالفعل وهي امتداد للمعجزة يؤيد الله سبحانه بها دينه ويكرم بها وليه .

(٩) – التصوف على ما اتضح من أمره فكر دخيل على الاسلام وان الصلة بينه وبين مذهب الشيعة الباطنية وثيقة الامر الذى جعل العلماء يحاربونه وينتقدون اساطينه كالغزالي وابن عربي الحاتمي .

حيث قالوا في الغزالي انه تأثر بالفلاسفة وخاصة ابن سينا . كما قالوا انه تأثر باخوان الصفا وانتقده في ذلك الامام ابو عبدالله المازري ، وأحرق اهل الأندلس كتبه ورموا بالزندقة كل من يمتلكها .

كما قالوا في ابن عربي انه زنديق وشيخ سوء وشخص كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا .

(١٠) – التعويل على الكشف في المعرفة نتيجة تشكيك في البدهيات لا يصح الأخذ به .

(١١) – ابن الفارض من الاتحادية وليس من اصحاب وحدة الشهود كما ان الحلاج من اصحاب الحلول وهو باطني زنديق ، وليس وليا صديقا .

(١٢) – نظرية وحدة الوجود التى ادخلها ابو يزيد البسطامي في الفكر الصوفي ، انبنى عليها كثير من أفكار الهدم الصوفي كتأليه المخلوق ووحدة الأديان .

﴿ ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾

" اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد "(١)

---

(١) متفق عليه

ثبت المراجع

مرتب على حسب حروف الهجاء مبدوء بذكر الكتاب أولا ، ثم مؤلفه من غير اعتبار لـ " ال " أو " كتاب " .

أولا : امام هذا الثبت :

١ — القرآن الكريم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

(أ)

٢ — الابانة عن أصول الديانة —

لامام المتكلمين وناصر سنة سيد المرسلين الشيخ ابى الحسن على بن اسماعيل ابن سالم بن عبد الله بن موسى بن بلال بن ابى موسى الاشعرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المتوفى سنة بضع وعشرين وثلاثمائة من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٩٧٥م

٣ — الاحكام فى اصول الاحكام —

الامام ابو محمد على بن حزم ت ٤٥٦ هـ

باشراف احمد محمد شاكر ، ن . زكريا على يوسف م . العاصمة بالقاهرة .

٤ — الايمان —

شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى ت ٧٢٨ هـ

صححه وعلق عليه د / محمد خليل هراس

دار الطباعة المحمدية بالازهر م انصار السنة

٥ — الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

لا بن تيمية — بتحقيق صلاح الدين المنجد

دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م

٦ — الارشاد

قواطع الادلة فى اصول الاعتقاد — لامام الحرمين : عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى ت ٤٧٨ هـ — تحقيق وتعليق د / محمد يوسف موسى وآخر م . دار السعادة بمصر سنة ١٩٥٠م

٧ ـ الانصاف

فيما يجب اعتقاده و لا يجوز الجهل به ـ لامام المتكلمين : القاضى ابى بكر ابن الطيب الباقلانى ت سنة ٤٠٣ هـ ـ تحقيق وتعليق : زاهد الكوزى

ط ثانية مؤسسة الخانجى سنة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م

٨ ـ الاعتصام

للامام ابى اسحق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمى الشاطبى الغرناطى

ط دار المعارف .

٩ ـ الاربعين فى اصول الدين

للامام الغزالى : ابو حامد محمد بن محمد بن محمد ت سنة ٥٠٥ هـ

١٠ ـ الاربعين فى اصول الدين

للامام فخر الدين محمد بن عمر الرازى ت ٦٠٦ هـ

ط دار المعارف حيدر اباد الدكن سنة ١٣٥٣هـ

١١ ـ الاصابة فى تمييز الصحابة

الامام شهاب الدين ابو الفضل احمد بن على بن حجر الكنانى العسقلانى

ت ٨٥٢ ـ ط اولى سنة ١٣٢٨ هـ الكتبخانة الخديوية .

١٢ ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة

لعز الدين ابن الاثير ـ ابى الحسن على بن محمد الجزرى ت ٦٣٠

بتحقيق محمد ابراهيم البنا واخرين ـ ط . الشعب

١٣ ـ ابكار الافكار للآمدى

تحقيق د / احمد المهدى ر/د لم تطبع

١٤ ـ اصول الدين

عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى

ط . اولى استانبول سنة ١٣٤٦هـ : ١٩٢٨م

١٥ ـ الانسان الكامل

عبد الكريم بن ابراهيم الجيلى ت ٨٠٥ هـ

ط ثالثة ١٣٩٠هـ : ١٩٧٠م مصطفى الحلبى بمصر

١٦ـ اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن
الشيخ محمد الامين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي
ط • ثانية ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩م
١٧ـ اسرار التوحيد في مقامات الشيخ ابي سعيد
تاليف محمد بن المنوربن ابي سعيد بن ابي سعود بن الخير ت :اسعاد
عبد الهادي قنديل •
١٨ـ احياء علوم الدين للغزالي
ط• دار المعرفة للطباعة والنشر (بدون)
١٩ـ ادب النفس مطبوع مع كتاب الرياضة
كلاهما للحكيم الترمذي : محمد بن علي
تحقيق أ •ج اربري و د / علي حسن عبد القادر
مطبعة الحلبي القاهرة سنة ١٩٤٧م
٢٠ـ الاشارات والتنبيهات لابن سينا
بتحقيق د / سليمان دينا ط• دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨م
٢١ـ أساس البلاغة
محمود جار الله الزمخشري ـ ط الشعب سنة ١٩٦٠م
٢٢ـ آثار البلاد
للقزويني •زكريا بن محمود ت (١٢٨٣) ط• وستنفيلد
٢٣ـ اتحاف الفحول الى تحقيق الحق في علم الاصول
للامام محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠هـ ـ ط مصطفى الحلبي سنة ١٩٥٦م
٢٤ـ الاسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة أ (الموضوعات الكبرى)
العلامة نور الدين علي بن محمد بن سلطان الشهير بالملا علي القاري •
حققه وعلق عليه محمد الصباغ •دار الامانة مؤسسة الرسالة ١٣٩١هـ/١٩٧١م
٢٥ـ الابريز
عبد العزيز الدباغ ـ ط • مصر (بدون)

٢٦ـ الاعلام

خير الدين الزركلي ـ ط الاميرية سنة ١٣٤٧ هـ

٢٧ـ آراء ابي بكر بن العربي الكلامية

د / عمار طالبي ـ الشركة الوطنية للتوزيع والنشر الجزائر (بدون)

٢٨ـ ايضاح المقصود من وحدة الوجود

عبد الغني بن اسماعيل النابلسي

مخطوط تحت رقم ١٨٨٣ بالمكتبة المركزية بجامعة ام القرى بمكة المكرمة

٢٩ـ الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام

د / علي عبد الواحد وافي

دار نهضة مصر للطبع والنشر / الفجالة القاهرة (بدون)

٣٠ـ اصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردي

د / محمد علي ابو ريان

طـ ١٩٧٨ م دار النهضة العربية للطباعة و النشر [illegible] بيروت

٣١ـ الانسان الكامل

محمد علوي مالكي ـ ط اولى سنة ١٤٠٠هـ

٣٢ـ اساليب الغزو الفكري

د / علي محمد جريشة و محمد شريف الزيبق

دار الاعتصام طاولى سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م

٣٣ـ الاثار المتناقضة للتصوف في الاسلام

مقال للدكتور عمر فروخ بمجلة الباحث العدد الرابع (١٠) السنة الثالثة

يناير سنة ١٩٨٠م .

٣٤ـ ابو حامد في الذكر المئوية مهرجان الغزالي بدمشق

بحث محمد جواد مغنية

(ب)

٣٥ - بغية المرتاد

في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية وهو " المنعوت بالسبعينية "

شيخ الاسلام ابن تيمية - مطبعة كردستان العلمية مصر القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ

٣٦ - البداية والنهاية

ابو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي ت سنة ٧٧٤ هـ

ط ثانية سنة ١٩٧٧م مطبعة المعارف .

٣٧ - البدعة ، تحديدها موقف الاسلام منها

د / عزت على عيد - دار الكتب الحديثة (بدون)

(ت)

٣٨ - تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آى القرآن /

للامام محمد بن جرير الطبري

بتحقيق محمود محمد شاكر مراجعه وخرج احاديثه احمد محمد شاكر

ط دار المعارف (بدون)

٣٩ - التفسير الكبير للامام فخر الدين بن عمر الرازي

ط اولى ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م وطبعة ثانية (بدون)

٤٠ - التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط

للامام اثير الدين ابي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الاندلسي

الشهير بابي حيان م النصر الرياض (بدون)

٤١ - تفسير ابي السعود

للامام محمد بن محمد بن محمد العمادي - دار احياء الكتب لبنان

٤٢ - تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير

بتحقيق عبد العزيز غنيم واخرين م . الشعب .

٤٣ - تفسير الجلالين : (الجلال عبد الرحمن السيوطي ، والجلال محمد بن احمد

المحلي) ط . مصر سنة ١٣٧٠ هـ

٤٤ـ تفسيرالخازن

علاء الدين على بن محمد البغدادى ـ دار الفكر بيروت

٤٥ـ تفسير النسفى

للامام الجليل العلامة ابى البركات عبدالله بن احمد بن محمود النسفى

طـ عيسى الحلبى وشركاه بمصر

٤٦ـ تفسير القرآن الحكيم

محمد رشيد رضا ـ مطبعة المنار سنة ١٣٢٤هـ

٤٧ـ تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل محمد جمال الدين القاسمى

دار احياء الكتب العربية / عيسى الحلبى وشركاه ط٠ اولى ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م

٤٨ـ التفسير والمفسرون

د/ محمد حسين الذهبى دار الكتب الحديثة

ط ثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٦م م٠ السعادة ميدان الازهر

٤٩ـ تفسير ابن عربى أو (تاويلات القاشانى)

عبد الرزاق القاشانى ط٠ الاميرية سنة ١٢٨٣هـ

٥٠ـ التبصير فى الدين

لابى المظفر الاسفراينى بتحقيق محمد زاهر الكوثرى م٠ الانوار ١٣٥٩/ ١٩٤٠م

٥١ـ التبصرة

للامام ابى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ت ٥٩٧ هـ

تحقيق د/ مصطفى عبد الواحد ط٠ عيسى الحلبى (بدون)

٥٢ـ تلبيس ابليس لابن الجوزى

ط٠ ادارة المطابع المنيرية سنة ١٣٦٨هـ

٥٣ـ التعرف لمذهب اهل التصوف الكلاباذى : ابوبكر محمد

بتحقيق محمد امين النواوى ط٠ اولى سنة ١٣٨٨هـ : ١٩٦٩م

٥٤ـ تنبيه الغبى الى تكفير ابن عربى

العلامة برهان الدين البقاعى ـ بتحقيق عبد الرحمن الوكيل (بدون)

٥٥ـ تهذيب اللغة .

ابو منصور محمد بن احمد الازهري بتحقيق عبد السلام محمد هارون

المؤسسة العامة للتاليف والترجمة الدار القومية للطباعة والنشر

٥٦ـ تاج العروس فى جواهر القاموس

للامام اللغوى ابو منصور محمد بن محمد بن عبد الرزاق الملقب بمرتضى الحسينى

الواسطى الزبيدى

٥٧ـ تاج اللغة وصحاح العربية

اسماعيل بن حماد الجوهرى ـ المطبعة الكبرى ١٢٩٢ هـ

٥٨ـ تاريخ بغداد او مدينة السلام

للحافظ ابى بكر احمد بن على الخطيب البغدادى

ن . دار الكتاب العربى بيروت لبنان

٥٩ـ ترتيب القاموس على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة الطاهر أحمد الزاوى

ط ثانية دار احياء الكتب عيسى الحلبى (بدون)

٦٠ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة

ابو الحسن على بن محمد بن عراق الكنانى ت ٩٦٣

بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وآخر .

ط . اولى سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م دار الكتب العلمية لبنان

ن . دار الباز بمكة المكرمة

٦١ـ تحفة الاخيار فى احياء سنة سيد الابرار

لابى الحسنات محمد بن عبد الحى بن محمد عبد الحليم بن محمد امين اللكنوى

ط المصطفائى بالهند .

٦٢ـ تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم القاضى الحافظ الضابط المحدث المفسر الشهير محمد بن على بن محمد الشوكانى ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان

٦٣ـ تحفة المريد على جوهرة التوحيد

الشيخ ابراهيم الباجوري المنوفي

المطبعة الخيرية اليعقوبيـة الارثوذكسية سنة ١٢٩١هـ

٦٤ـ التعليقات على الجوهرة

الشيخ المرحوم محمد يوسف الشيخ

٦٥ـ تراجم القرنين السادس السابع المعروف بالذيل على الروضتين للحافظ المؤرخ

شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بابي شامـــــة

ت ٦٦٥ هـ ط ـ دار الجيل بيروت

٦٦ـ تاريخ المذاهب الاسلامية

محمد ابو زهرة ـ دار الفكر العربي م• السعادة بدون

٦٧ـ التصوف الثورة الروحية

د / ابو العلا عفيفي ـ ط اولى ١٩٦٢م دار المعارف

٦٨ـ التصوف الاسلامي

د / زكي مبارك ـ دار الجيل لبنان (بدون)

٦٩ـ تاريخ التصوف في الاســلام

د / قاسم غنى ـ ترجمة عن الفارسية صادق نشأت وآخرين

ط سنة ١٩٧٠م م• النهضة المصرية •

٧٠ـ ترجمان الاشواق

محى الدين عربي ـ ط بيروت ١٣١٢هـ / ١٩٣٢م

٧١ـ تربيتنا الروحية

الاستاذ سعيد حوى

دار الكتب العربية بيروت / دمشق ط اولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

٧٢ـ تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الانام من حديث النور المنسوب

لمصنف عبد الرزاق ـ احمد عبد القادر الشنقيطي المدني ط اولى ١٣٩٢هـ

٧٣ـ التصوف الاسلامي بين الدين والفلسفة ـ ابراهيم ابراهيم هلال

دار الاتحاد العربي للطباعة ط اولى ١٣٩٥هـ : ١٩٧٥م

ن • دار النهضة العربية

٧٤- توضيح وتعليق على الحوار الذى تم بين فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الالبانى
وفضيلة الشيخ عبد الحميد طهماز -تأليف : رضا معطى
بدون ذكر للمطبعة وتاريخ للطبع
٧٥- التعليقات على فصوص الحكم
د / ابو العلا عفيفى ن. دار الكتاب العربى بيروت لبنان
٧٦- كتاب التمهيد
للامام القاضى ابى بكربن الطيب الباقلانى عنى بتصحيحه ونشره
الأب رتشرد يوسف مكارتي - المكتبة الشرقية بيروت ١٩٥٧ م

(ج)

٧٧- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله
للامام العلامة ابى عمر يوسف بن البر النمرى القرطبى ت ٤٦٣ هـ
صححه وراجع اصوله : عبد الرحمن محمد عثمان
المكتبة السلفية بالمدينة المنورة م العاصمة بالقاهرة ط ثانية ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م
٧٨- الجامع لاحكام القرآن
لابى عبدالله محمد بن احمد الانصارى القرطبى
مصور عن طبعة دار الكتب المصرية
دار الكتاب العربى للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م
٧٩- جامع الاصول فى احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم
الامام مجد الدين ابى السعادات المبارك بن محمد بن الاثير الجزرى
بتحقيق وتخريج وتعليق عبد القادر الارناؤوط
مطبعة الملاح م. الحلوانى ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م
٨٠- جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم
زين الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين احمد بن رجب الحنبلى
البغدادى . ط ثالثة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م مصطفى الحلبى

٨١ـ الجانب الالهي من التفكير الاسلامي

د / محمد البهي ط خامسة ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م دار الفكر بيروت

٨٢ـ جولات في الفقهين الكبير والاكبر واصولهما

تاليف : سعيد حوى ط ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ط اولى دار الارقم .

٨٣ـ جامع الاصول في الاولياء وانواعهم واوصافهم واصول كل طريق و مهمات المريد وشروط الشيخ

تاليف :احمد الكمشخانوي النقشبندي (بدون)

٨٤ـ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء (ح)

الحافظ ابو نعيم احمد بن عبد الله الاصفهاني ت ٤١٢ هـ

م. السعادة بجوار محافظة مصر ه مكتبة الخانجي ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م

٨٥ـ حاشية الدسوقي على شرح ام البراهين

للشيخ محمد السنوسي ـ دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبي

٨٦ـ حاشية الطالب بن حمدون على شرح بحرق على لامية الافعال لا بن مالك

ط دار احياء الكتب عيسى الحلبي

٨٧ـ الحديث والمحدثون

الشيخ محمد محمد ابو زهو ط اولى

٨٨ـ كتاب الحوادث والبدع

للامام ابي بكر محمد بن الوليد الطرطوسي ت ٥٢٠/٥٢٥ هـ

بتحقيق محمد الطالبي ط. تونس (بدون)

٨٩ـ حياة الصحابة

الشيخ محمد يوسف بن محمد الياس ـ ط دار القلم بدمشق ١٣٨٦هـ/١٩٦٩م

٩٠ـ الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية

د / عبد الفتاح عبد الله بركة ط. مجمع البحوث الاسلامية بدون تاريخ

٩١ـ حاضر العالم الاسلامي

لوثروب ستوارد الامريكي / ترجمة عجاج نويهض و علق عليه الامير شكيب ارسلان ـ ط ثالثة ١٣٩١هـ/١٩٧١م دار الفكر

(د)

٩٢ـ دليل الفالحين لطارق رياض الصالحين

محمد بن علان الصديقي الشافعي ـ ط الحلبي ١٣٨٥هـ

٩٣ـ الدرة الفاخرة مطبوع مع اساس التقديس

الامام فخر الدين بن عمر الرازي ـ ط الحلبي ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م

٩٤ـ دراسات في العقيدة الاسلامية والاخلاق

الفته لجنة من قسم الفلسفة بكلية اصول الدين بالازهر

ط اولى ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥م مكتبة الازهر

٩٥ـ دراسات في الفلسفة الاسلامية

د / محمود قاسم ط خامسة سنة ١٩٧٣م

٩٦ـ ديوان ذي الرمة

غيلان بن عقبة بن مسعود

ط ثانية المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م

(ر)

٩٧ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم

ابو الفضل شهاب الدين محمود بن عبد الله بن الحسين الالوسي

ط اولى ١٣٠١هـ المطبعة الكبرى الميرية ببولاق

٩٨ـ رسائل الكندي

رسالة ابي يعقوب بن اسحاق الكندي في القول في النفس

تحقيق د / ابي ريدة ط دار الفكر ١٩٥٠م

٩٩ـ رسالة المسترشدين

للمحاسبي / الحارث بن أسد ت ٢٤٣هـ

حققه وخرج احاديثه وعلق عليه د / عبد الفتاح ابي غدة

ط ثانية ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ن مكتب المطبوعات الاسلامية

١٠٠ـ الرد الاقوم على ما في فصوص الحكم لابن تيمية

مايكروفيلم بمركز البحث العلمي بجامعة ام القرى تحت رقم ٧٨=١=٤٤

١٠١ــ الرسالة المدنيـة لا بن تيمية

ط ثالثة سنة ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م انصار السنة المحمدية

١٠٢ــ رسالة الصــلاة

لا بن قيم الجوزية : ابو عبدالله محمد بن ابى بكر ت ٧٥١ هـ

مطبوع ضمن المجموعة النجدية علق عليها المرحوم السيد رشيد رضا

المكتبة السلفية المدينة المنورة

١٠٣ــ كتاب الرياضة وادب النفس للحكيم الترمذى

تحقيق أ ــ ج آربرى و د / على حسن عبد القادر

ط. مصطفى الحلبى القاهرة ١٩٤٧م

١٠٤ــ رسائل ابن سبعين

ابو محمد عبد الحق بن سبعين الاندلسى

بتحقيق سيد الكيلانى بدون تاريخ

١٠٥ــ الروضة الندية شرح العقيدة الواسطـية ــ زيد بن عبد العزيز بن فياض

ط ثانية ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م مكتبة الرياض الحديثة

١٠٦ــ رسالة التوحيد والفرق المعاصرة

كمال الدين الطائى

م/ سليمان الاعظمى بغداد ط ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م

١٠٧ــ الرسالة اللدنية للغزالى

ضمن مجموعة القصور العوالى ط الجندى

(ز)

١٠٨ــ زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى و مسلم

العلامة الحافظ حجة الاسلام الامام سيدى محمد حبيب الله بن الشيخ سيدى

عبدالله المشهور بما يأبى الجكنى .

ط . مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيـع .

١٠٩ــ كتاب الزهد والرقائق

للامام شيخ الاسلام عبدالله بن المبارك المروزى

بتحقيق و تعليق حبيب الله الاعظمى .

١١٠- كتاب الزهد

للامام العالم الربانى والصديق الثانى الامام ابى عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيبانى - دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

١١١- زاد المعاد فى هدى خير العباد المصطفى صلى الله عليه وسلم لابن قيم الجوزية - بتحقيق محمد حامد الفقى ط. السنة المحمدية .

(س)

١١٢- سنن ابى داود

للامام الحافظ المتقن ابى داود سليمان بن الاشعث السجستانى الازدى بمراجعة : محمد محيى الدين عبد الحميد دار احياء السنة

١١٣- سنن الترمذى

الامام ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى

ط. مطبعة الفجالة الجديدة .

١١٤- سنن ابن ماجة

بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - دار احياء التراث العربى

١١٥- سنن الدارمى

الامام عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمى السمرقندى الدارمى

(ش)

١١٦- شرح الموطأ مالك

ابو عبد الله محمد بن يوسف الزرقانى - ط. مصطفى الحلبى بمصر

١١٧- شرح المقاصد

سعد الدين التفتازانى - المطبعة العامرة دار الخلافة ١٢٧٧ هـ

١١٨- الشامل فى اصول الدين

ابو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى امام الحرمين

بتحقيق د/ على سامى النشار

ط. منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٦٩م

١١٩ـ شرح الطحاوية

قاضي القضاة العلامة صدر الدين على بن على بن محمد بن أبي العز الحنفي

بتحقيق احمد محمد شاكر م • الرياضة الحديثة

١٢٠ـ شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية

ط كردستان العلمية مصر القاهرة ١٣٢٩هـ

١٢١ـ شرح الأصول الخمسة

القاضي عبد الجبار بن احمد ـ علق عليه الامام احمد بن الحسين بن ابي هاشم

وحققه د / عبدالكريم عثمان

ن مكتبة وهبة ط اولى بمصر مطبعة الاستقلال الكبرى ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م

١٢٢ـ شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم لابن كثير

تحقيق مصطفى عبد الواحد ـ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان

١٢٣ـ شرح المواهب اللدنية

الامام محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي

١٢٤ـ شفاء السائل تهذيب المسائل

لابي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

ن • وتعليق الأب اغناطيوس اليسوعي المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت لبنان

١٢٥ـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب

للمؤرخ الفقيه الاديب ابي الفلاح عبدالحي بن عماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ

المكتب التجاري للطباعة والنشر •

١٢٦ـ شرح ثلاثيات/الامام احمد بن حنبل

الشيخ محمد السفاريني

ط ثالثة ١٣٩٩هـ المكتب الاسلامي بيروت

١٢٧ـ شرح منازل السائرين

للشيخ عبدالمعطي اللخمي الاسكندري

تحقيق س• دي لوجسيه •دي بوركي الدومنيكي

مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة سنة ١٩٥٤م

(ص)

١٢٨— صحيح البخاري

للامام ابى عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن مردزبه البخاري الجعفي ت ٢٥٦هـ

١٢٩— صحيح مسلم

للامام ابى الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت ٢٦١ هـ

حقق اصوله ورتبه محمد فوءاد عبد الباقي

ن رئاسة ادارة البحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية ط سنة ١٤٠٠/ ١٩٨٠

١٣٠— صفة الصفوة

ابن الجوزي ٥٩٧ هـ تحقيق محمود فاخوري

ن دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ط ثانية ١٣٩٩/١٩٧٩

١٣١— صحيح مسلم بشرح النووي

للامام محي الدين يحي بن شرف النووي

ط ثانية سنة ١٣٩٢/ ١٩٧٢ دار احياء التراث العربي بيروت لبنان

١٣٢— صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم من التكبير الى التسليم

محمد ناصر الدين الالباني ط سادسة المكتب الاسلامي سنة ١٣٩١هـ

١٣٣— الصوفية والفرق الاسلامية

بحث القاه الشيخ مصطفى عبد الرزاق في موءتمر تاريخ الاديان بليدن سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م ونشر بذيل كتاب " اعتقادات فرق المسلمين " للامام الرازي بتحقيق د/ علي سامي النشار

مطبعة النهضة المصرية ١٣٥٦/١٩٣٨

١٣٤— الصلة بين التصوف والتشيع

د/ كامل مصطفى الشيبي ط ثانية دار المعارف بمصر بدون تاريخ

١٣٥— الصوفية في الاسلام

المستشرق ر–ا–نيكلسون ترجمة نور الدين شريبة

ن مكتبة الخانجي ١٣٧١/ ١٩٥١م

١٣٦ـ الصحاح فى اللغة والعلوم تجديد صحاح العلامة الجوهرى

اعداد وتصنيف نديم مرعشلى وأخيه دار الحضارة ببيروت ط اولى سنة ١٩٧٤م

(ض)

١٣٧ـ ضحى الاسلام

احمد امين ط سابعة مكتبة النهضة المصرية

(ط)

١٣٨ـ الطبقات الكبرى لابن سعد

محمد بن سعد دار صادر (بدون)

١٣٩ـ طبقات الشافعية الكبرى

لابن نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى

تحقيق د / محمد محمود الطناحى وعبد الفتاح الحلو مطبعة عيسى الحلبى

ط اولى سنة ١٣٨٤/ ١٩٦٥

١٤٠ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين

ابن القيم تصحيح محب الدين الخطيب ط السلفية ١٩٧٥م

١٤١ـ الطبقات الكبرى

عبد الوهاب بن احمد الشعرانى ت ٩٧٣ هـ

١٤٢ـ الطبقات

محمد النور ضيف الله تحقيق د / يوسف فضل حسن

ط ثانية دار الطباعة الخرطوم سنة ١٩٧٤

١٤٣ـ الطواسين

مطبوع مع ديوانه الحلاج وكتب اخرى له.

١٤٤ـ طبقات الصوفية

لأبى عبد الرحمن السلمى بتحقيق نور الدين شريبه

ط دار الكتاب العربى بمصر سنة ١٣٥٣/ ١٩٧٢

(ع)

١٤٥ــ عمدة القارى

شرح صحيح البخارى للامام الحافظ قاضى القضاة بدر الدين ابو محمد بن احمد المعروف بالبدر العينى

١٤٦ــ العبودية لابن تيمية

تحقيق محمد حامد الفقى ط انصار السنة المحمدية ١٣٦٩/١٩٤٧

١٤٧ــ عقيدة اهل السنة والفرقة الناجيه لابن تيمية

مكتبة أنصار السنة

١٤٨ــ العبادة فى الاســلام

د / يوسف القرضاوى ط ؛ موسسة الرسالة ط ثانية ١٣٩١/١٩٧١

١٤٩ــ العقد الفريد

للامام الفاضل شهاب الدين احمد المعروف بابن عبد ربه الاندلسى المالكى

ط اولى بالمطبعة الازهرية ١٣٢١هـ

١٥٠ــ عارضة الاحوذى بشرح صحيح الترمذى

الامام الحافظ ابن العربى المالكى

١٥١ــ عوارف المعارف

ابو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهرور دى

مطبوع مع احياء علوم الدين جـ ٥ دار المعرفة للطباعة والنشر

(غ)

١٥٢ــ غاية المرام فى علم الكلام

سيف الدين الآمدى تحقيق حسن محمود عبد اللطيف

ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية القاهرة ١٣٩١/١٩٧١

(ف)

١٥٣ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى
الامام ابن حجر
دار المعرفة بيروت لبنان / المكتبة السلفية
١٥٤ـ الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم
مكتبة المثنى بغداد (بدون)
١٥٥ـ الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان لابن تيمية
تصحيح وتعليق محمود عبد الوهاب فائد
١٥٦ـ الفرق بين الفرق
العالم عبد القاهر بن طاهر التميمى تحقيق د / محمد محى الدين عبد الحميد
ط محمد على صبيح بميدان الازهر (بدون)
١٥٧ـ فوات الوفيات
محمد بن شاكر الكتبى ت . محمد محى الدين
ط السعادة بمصر م النهضة المصرية
١٥٨ـ الفتوحات المكية
ابو عبد الله محمد بن على المعروف بابن عربى الحاتمى الطائى دار صادر (بدون)
١٥٩ـ الفتاوى
الامام محمد رشيد رضا جمعها وحققها د / صلاح الدين المنجد وآخر
ط دار الكتاب الجديد بيروت لبنان (بدون)
١٦٠ـ فى التصوف الاسلامى وتاريخه
الاستاذ رينولد ـ أ ـ نيكلسون
نقله الى العربية وعلق عليه د / ابو العلا عفيفى
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٦ / ١٩٤٧
١٦١ـ الفلسفة الصوفية فى الاسلام
مصادرها ـ ونظرياتها ومكانها من الدين والحياة د / عبد القادر محمود
ط اولى سنة ١٩٦٦ م مطبعة المعرفة القاهرة

١٦٢ــ في الفلسفة الاسلامية

ابراهيم بيومى مدكور ط ثانية ١٩٦٨ دار المعارف بمصر

١٦٣ــ الفكر الشيعى والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثانى عشر الهجرى

د / كامل مصطفى الشيبى

ط اولى سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م مطابع دار التضامن بغداد

١٦٤ــ فصوص الحكم لا بن عربى

ن دار الكتاب العربى بيروت لبنان

(ق)

١٦٥ــ قطر الولى على حديث الولى

الامام الشوكانى تحقيق ابراهيم ابراهيم هلال

ط دار الكتب الحديثة (بدون)

١٦٦ــ القاموس المحيط

الشيخ مجد الدين بن يعقوب الفيروزابادى ط دار الجيل (بدون)

١٦٧ــ قوت القلوب فى معاملة المحبوب ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد

للشيخ ابى طالب محمد بن ابى الحسن على بن عباس المكى

دار صادر (بدون)

١٦٨ــ القول النضر فى ترجيح موت الخضر

(ك)

١٦٩ــ كنز العمال فى السنن والاقوال والافعال

على بن حسام الدين الهندى البرهان فورى ط اولى سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م

١٧٠ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل

ابو القاسم جار الله الزمخشرى

ط مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر

١٧١ــ الكبريت الاحمر : مطبوع على هامش اليواقيت والجواهر

عبد الوهاب الشعرانى ط دار الجيل بيروت لبنان (بدون)

١٧٢ـ كيمياء السعادة

ابو حامد الغزالى

مطبوع مع المنقذ من الضلال / تعليق وتصحيح محمد محمد جابر

مطبعة الجندى (بدون)

١٧٣ـ الكامل فى اللغة والأدب

العلامة أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ت ٢٨٥ هـ ط.مصر ١٣٢٣هـ

(ل)

١٧٤ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان

اماما المحدثين ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن

بردزبة البخارى ، وابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى

فى صحيحيهما اللذين هما اصح الكتب المصنفة .

وضعه محمد فؤاد عبد الباقى

دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبى القاهرة سنة ١٣٦٨/ ١٩٤٩

١٧٥ـ لسان العرب لابن منظور

جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى الدار المصرية للتاليف والترجمة

١٧٦ـ لسان الميزان لابن حجر

ط. مؤسسة الاعلمى ١٣٩٠ بيروت لبنان

١٧٧ـ اللمع لأبى نصر السراج الطوسى

تحقيق عبدالحليم محمود طلتزم الطبع دار الكتب الحديثة مطبعة دار السعادة

١٧٨ـ اللآلىء المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة

للامام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى المكتبة التجارية الكبرى (بدون)

١٧٩ـ لوائح الأنوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية بشرح الدرة المضية فى عقد

الفرقة المرضية ـ محمد بن احمد السفارينى مطبعة المنار سنة ١٣٢٣هـ

١٨٠ـ لمع الأدلة فى قواعد عقائد السنة والجماعة لامام الحرمين

تقديم و تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود

الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م

(م)

١٨١ـ الموطأ للامام مالك بن أنس

دار احياء الكتب العربية عيسى البابى

١٨٢ـ المسند للامام احمد بن حنبل

ط• المكتب الاسلامى بيروت (لبنان) (بدون) وطبعة ثانية بتحقيق احمد محمد شاكر

١٨٣ـ المستدرك على الصحيحين

لابى عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابورى

ط مكتب المطبوعات المصرية

١٨٤ـ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين

ابو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى

بتحقيق محمد عبد الحميد ، م النهضة المصرية ط ثانية ١٣٨٩هـ

١٨٥ـ مجموع الفتاوى الكبارى لابن تيمية

تصويره الطبعة الاولى سنة ١٣٩٨هـ

١٨٦ـ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية

ط لجنة التراث العربى (بدون)

١٨٧ـ مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية

جمع وتصحيح وتعليق ابى عبدالله محمد بن على الحنبلى البعلى

دار ن• الكتب الاسلامية كوجرانواله باكستان ط اولى سنة ١٣٩٧/١٩٧٧

١٨٨ـ الملل والنحل

ابو الفتح محمد بن عبدالكريم بن ابى بكر الشهرستانى تحقيق محمد سيد كيلانى

دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ط ثانية سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م

١٨٩ـ المغنى فى ابواب التوحيد والعدل

املاء القاضى ابى الحسن عبد الجبار تحقيق د / عبدالحليم محمود واخرين

الدار المصرية للتاليف والترجمة (بدون)

١٩٠ـ مقاييس اللغة

ابو الحسين احمد بن فارس بتحقيق عبد السلام محمد هارون ط الشعب سنة ١٩٦٠م

١٩١ ـ المقدمة : لكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر

ابن خلدون ، ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد التونسى الحضرى

الاشبيلى ط مصطفى محمد

١٩٢ ـ المختصر فى اصول الدين ضمن مجموعة العدل والتوحيد

عبد الجبار بن احمد ط مؤسسة الهلال سنة ١٩٧١

١٩٣ ـ منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل

د / محمد محى الدين ط رابعة سنة ١٣٨٤هـ

١٩٤ ـ محيط المحيط

الياس ملون ظ بيروت سنة ١٢٨٦هـ

١٩٥ ـ مناهج الادلة فى عقائد الملة

القاضى ابو الوليد : محمد بن رشد ت ٥٩٥هـ

بتحقيق د / محمود قاسم ط الانجلو المصرية (بدون)

١٩٦ ـ كتاب المسامرة

لكمال الدين بن ابى شريف فى/ شرح المسايرة الكمال بن الهمام

ط ثانية سنة ١٣٤٧هـ مطبعة دار السعادة

١٩٧ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

الحافظ نور الدين على بن ابى بكر الهيثمى ط ثانية دار الكتب العربى

١٩٨ ـ المنقذ من الضلال للغزالى

نشر وتحقيق مع مقدمة د / عبد الحليم محمود

ط ثانية سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ط الجندى

١٩٩ ـ مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين

للامام ابن قيم الجوزية تحقيق محمد حامد الفقى

مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م

٢٠٠ ـ الموافقات للامام الشاطبى

ط ثانية المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م

٢٠١ـ ميزان الاعتدال فى نقد الرجال

ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبى تحقيق على محمد البجاوى

دار المعرفة بيروت (بدون)

٢٠٢ـ المخصص

أبو الحسن على بن اسماعيل النحوى اللغوى الاندلسى المعروف بابن سيدة

المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣١٦هـ

٢٠٣ـ المدخـــل

لابن الحاج : ابى عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدرى الفاسى

ط ثانية سنة ١٩٧٢ دار الكتاب العربى بيروت (بدون)

٢٠٤ـ المختار من كنوز السنة

د / محمد عبد الله دراز

٢٠٥ـ مجموعة الحواشى البهية فى شرح العقائد النسفية للتفتازانى

مطبعة كردستان العلمية سنة ١٣٢٩هـ

٢٠٦ـ المصطلحات الاربعة فى القرآن الكريم

ابو الاعلى المودودى دار التراث العربى (بدون)

٢٠٧ـ الميزان فى تفسير القرآن

السيد حسين الطباطبائى ط ثانية بيروت سنة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م

٢٠٨ـ مجموع ثلاث رسائل فى التصوف

عبد الواحد الملقب بأوحد الدين النورى

مخطوط بمكتبة مكة المكرمة تحت رقم (٧) تصوف

٢٠٩ـ مفتاح/دار السعادة

طاش كبرى زادة ط الهند (بدون)

٢١٠ـ المواقف

تاليف الامام القاضى عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الانجى بشرح

الجرجانى ط اولى سنة ١٣٢٥هـ مطبعة دار السعادة

٢١١ــ معجم متن اللغة

الشيخ احمد رضا طـ دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م

٢١٢ــ مشكاة الانوار للغزالى

مطبوع ضمن مجموعة " القصور العوالى "

ط شركة الطباعة م ٠ الجندى

٢١٣ــ موافقة صريح المنقول لصحيح المنقول لا بن تيمية

مطبوع على هامش منهاج السنة المطبعة الكبرى ط اولى سنة ١٣٢١هـ

٢١٤ــ منهاج السنة لا بن تيمية

المطبعة الكبرى ط اولى سنة ١٣٢١هـ

٢١٥ــ المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الاحاديث على الالسن للا مام الحافظ

شمس الدين ابى الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى دار الكتب العلمية بيروت

٢١٦ــ مقارنة بين الغزالى وابن تيمية

د / محمد رشاد سالم ط السلفية ١٣٩٥/ ١٩٧٥

٢١٧ــ من اين أستقى محى الدين ابن عربى فلسفته الصوفية

مقال كتبه د / ابو العلا عفيفى بمجلة كلية الاداب جامعة مصر ١٩٣٣ م

٢١٨ــ مجلة المنار

٢١٩ــ المعجم المفهرس لايات القرآن الكريم

وضعه محمد فوءاد عبد الباقى دار الفكر بيروت

٢٢٠ــ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى

رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ونشره د / أ ٠ ى ٠ ونستك

٢٢١ــ مفتاح كنوز السنة

وضعه بالانجليزية الدكتور ا ٠ ى ٠ فنسنك

نقله الى العربية محمد فوءاد عبد الباقى

ادارة ترجمان السنة لاهور ط ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م مطبعة معارف لاهور

(ن)

٢٢٢ـ النبوات لا بن تيمية

ط دار الفكر بيروت (بدون)

٢٢٣ـ نقض المنطق لا بن تيمية

تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة وآخر

ط اولى سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م مطبعة السنة المحمدية

٢٢٤ـ نفح الطيب الطيب

الشيخ احمد محمد المقرى التلمساني بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد

ط اولى سنة ١٣١٧هـ/ ١٩٤٩م

٢٢٥ـ نهج البلاغة

بشرح ابن ابى الحديد : عز الدين ابى حامد عبد الحميد

ط م ٠ دار الكتب العربية الكبرى بمصر مطبعة الحلبي (بدون)

٢٢٦ـ نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها

د / عرفان عبد الحميد فتاح

ط المكتب الاسلامى بيروت سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م

٢٢٧ـ نزهة المجالس ومنتخب النفائس

الشيخ عبد الرحمن الصفورى مطبعة احمد الحلبي سنة ١٣٠٧ هـ مصر

٢٢٨ـ نشأة الفكر الفلسفى الاسلامى

د / على سامى النشار ط سابعة دار المعارف

٢٢٩ـ نسمة من حدائق الغيب

عبد الغنى بن اسماعيل النابلسى

ميكروفيلم بمركز البحث العلمى بجامعة ام القرى تحت رقم (١٣)

٢٣٠ـ كتاب النجاة القسم الثالث

ابن سينا

ط ثانية سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٥٨م مصطفى الحلبي

(هـ)

٢٣١ـ هذه هي الصوفية

عبد الرحمن الوكيل

الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م دار الكتب العلمية

(و)

٢٣٢ـ ولاية الله والطريق اليها

دراسة وتحقيق لكتاب قطر الولي على حديث الولي .

ابراهيم ابراهيم هلال ـ دار الكتب الحديثة مصر (بدون)

(ى)

٢٣٣ـ اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر

ط دار المعرفة بيروت (بدون)

فهرس الآيات القرآنية مرتبة حسب حروف الهجاء

(ى)

فهرس الأحاديث مرتب حسب حروف الهجاء

فهرس الأعــــــــلام

(أ)

(ب)

(ز)

(س)

(ش)

(ك)

(ل)

(م)

<u>(ن)</u>

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس الموضوعـــات

*